

ابتسم فانت ميت

رواية



حسن الجندي

لا يمكنك أن تجبر أحد على الابتسام .. إلا وهو ميت

تصميم الغلاف : إسلام عليم



إهداء ...

أهدي هذا الكتاب إليك أنت يا من وقفت بجاني وتحملت
قسوتي وطفولتي .. لو كان بمقدوري أن أكتب اسمك هنا
بحروف من ذهب لفعلت .. لكن لن أقدر .. مش بخل والله
بمس انتي عارفة جرام الذهب بقى بكام دلوقت؟- علشان كده
هاكتفي بالحبر وانتي سيد مني بقدر يا ست البنات.

عبدالله

الحكاية الثانية

عماد الدين 2002

وقف (سيد) و(صادق) و(أمجد) يحملون حقائبهم يتأملون العمارة القديمة بالشارع المتفرع من شارع (عماد الدين) بوسط البلد. كانت ملامح الفخر على وجه (صادق): لأنه هو الذي أحضر لهم تلك الشقة المفروشة بوسط البلد، بحث كثيرًا عن شقة مفروشة بجانب جامعة القاهرة تقبل بثلاثة من الخُزَاب فرفض الجميع.

اللهم إلا بعض الشقق المفروشة ذات السمعة السيئة، والتي كان سيقبل بها. لكن أصحابها يطلبون ما لا يقل عن 1500 جنيه في الشهر. وبالطبع هذا رقم لن يرضى به (أمجد) لأنه سيشاركه في الإيجار. بعكس (سيد) الذي لن يدفع جنبها واحدًا على سبيل الشفقة حتى.

أخرج (أمجد) من جيبه علبة سجانه. وأشعل واحدة وأعاد اللعبة لجيبه وهو يقول:

- وقعت على شقة مفروشة هنا أزاى ؟

أدخل (صادق) يده في جيب (أمجد) وأخرج علبة سجانه وأخرج واحدة لنفسه ثم أعطى سيجارة لسيد وهو يقول:

- أهو سمسار وذاني لمسار لحد ما واحد فهم قالي إن فيه شقة مفروشة في شارع عماد الدين مقفولة من زمان وعفشها قديم. ويمكن نقدر نأجرها بمسعر حلو.

قال (سيد) بلهجتة الريفية:

- والله راجل ابن حلال .

- مش ابن حلال أوي يعني. هو أخذ مني 100 جنيه علشان يغليتي
اتكلم مع البواب.

- هو البواب صاحب الشقة؟

- ما هو أنا لما رحلت للبواب عرفت الحوار كله.

- إيه الحوار؟

نظر (صادق) حوله ثم قال:

- لما نطلع الشقة هافهمكم كل حاجة.

تقدمهم (صادق) وهو يدخل من باب العمارة.

انفتح باب الشقة ودخل منه (صادق) وهو يدعو البقية للدخول.
كانت الشقة قديمة جدًا. وكان صادق بدلًا من أن يفتح باب الشقة قد
فتح بابًا للماضي. في العقود التي كانت أبواب الشقق من الضخامة
بعيث تعبر منها قافلة جمال بكل سهولة.

لا مشكلة بالنسبة لصادق: فقد رآها من قبل. ولكن المشكلة كانت
بالنسبة لأمجد و(سيد) اللذين لم يستوعبا تلك الشقة.

شقة ذات نمط قديم في البناء: صالة واسعة جدًا. ربما تكفي
الصالة لتكون شقة صغيرة. ثلاث غرف يمكنك دخولها من الصالة.
وممر جانبي طويل وعريض يقود إلى الحمام وهو على اليمين. والمطبخ
وهو على اليسار.

سفرة طعام ضخمة مزخرفة في الصالة وبجانبها أريكة قديمة ومقاعد جلوس ومنضدة صغيرة تحتوي على أدراج بأسفلها تشبه الكومود، وُضِعَ عليها "جرامافون" قديم ومنضدة أصغر بجانب الكومود وُضِعَ عليها هاتف كبير أسود اللون مزخرف بقرص دوار.

أعلى الجرامافون على الحائط عُثِّت صورة قديمة بالأبيض والأسود، ولكن اللون يميل للأصفر. يجلس رجل في الأربعينات على مقعد مرتدياً جلباباً داكن اللون وتظهر على وجهه المَزِينُ بشارب ضخمة، الجدية، وبجانبه تقف امرأة في العشرينات يظهر عليها الجمال تضع يدها على كتفه، وأمام الرجل يقف طفلان متبايني الطول يرتديان "شورتان" طويلين ويضع أصغرهما يده في جيبه مبتسماً.

أما أغرب ما في الشقة والذي يُعْتَبَر غريباً على هذا الجو القديم: طيور محنطة معلّقة على أحد الحوائط، طائر يشبه العقاب يفرد جناحيه وتبرق عيناه برغم الأنثى التي تغطيه، وصقور مختلفة الأحجام وجميع الطيور تفرد أجنحتها، عددها 6 طيور من قام بتحنيطهم كان خبيراً لدرجة أنهم حافظوا على رونقهم كأنهم أحياء: لدرجة أن (أمجد) متممًا استعاذ بالله وهو يتأملهم بجانب صاحبيه.

- إيه متحف الشمع ده يا (صادق). مين ابن المجنونة اللي نعت الحاجات دي؟

- دي منحطة يا أميل.. تلاقي اصحاب الشقة القدام اشتروهم، ما الحاجات دي أكيد بتتباع.

- سيبك أنت.. أنا حاسن اتي هاسمع صوت سي السيد وهو بيتلنح
ووراه (أمنية) بتقوله (ومن شر النفاثات في العقد).

- نكتة حلوة بس بلاش تقولها ثاني والنبي

لم يرد (أمجد) وهو يضع حقيبته ويسير إلى إحدى الغرف ويفتحها.
وجد داخلها فراشاً كبيراً قديماً ودولاباً ضخماً ومراة وتسريحة ذات مراة
مزخرفة، وبجانب الفراش على الكومود لعبان محنط لا يزيد طوله عن
التر. النف حول نفسه ووقف جزء صغير من رأسه كأنه يتأمل (أمجد).

- إيه الذوق المقرف ده، الناس دي كانوا مجانيين.

- كل واحد فينا ياخذ أوضة .

قالها (سيد) وهو يتجه إلى الغرفة الثانية ويفتحها، فوجد فراشين
مجاورين لبعضهما ودولاباً قديماً ومكتبين صغيرين بمقعدين.

- لا يا خفيف منك له، الأوضة الثالثة فيها كراكيب الشقة، صاحب
الشقة ممكن يعوزها في أي وقت.

قالها (صادق)، فخرج (أمجد) و(سيد) من الغرف فوجدا (صادق)
يجلس على الأريكة مسترخياً وهو يسحب من سيجارته أنفاساً طويلة.
جلس (أمجد) بجانبه و(سيد) على مقعد مجاور والأخير يقول:

- طب ما ترسينا على الحوار من الأول.

- أنا لما وصلت للبواب وسألت على الشقة قاللي انها مقفولة من
سنتين طويلة، يجي من الخمسينات كدة، واللي ورثها كان راجل غني

عايش برا في انجلترا. ساهبا لابنه الي كان يبيعت كل سنة مبلغ للبواب
علشان يطلع ينضيفها كل سنة مرة ويتأكد من الكهربية والمية. بس الراجل
مكنش في دماغه يأجرها أو يركز معاها. أنا فضلت ازن على البواب
علشان يقنعه انه يأجرها مقروش. ونفحته 200 جنيه.

- إيه يا عم انت فلوسك حرام ولا إيه؟

قالها (سيد).

- وانت مال أهلك. هو انت هتدفع حاجة من جيبك ما انت هانعيش
على قفانا.

- قفا مين ياد. اومال مين اللي هايذاكرلكم السنة دي. مش ده
اتفاقنا !!

- خلاص يا (سيد) صلّ على النبي. بس على فكرة يا (صادق) انت
إيدك سايبة في القلوس.

اعتدل (صادق) في الأريكة ورفع قدمه ليطفىء السيجارة في كعب
خدانه ثم يضع العقب على منضدة صغيرة أمامه:

- هاقولكم يا كاوركات أنا بدفع ليه كده. صاحب الشقة أو الوريث
الحالي ليا عمره ما نزل مصر إلا مرة أو مرتين. دا حتى البواب بيقول إن
العربي بتاعه مكسّر في التليفون أما بيكلمه كل سنة ولا حاجة. أنا
خليت البواب بتصل بيه ويقنعه ان أحسن ليه يأجرها لحد لأن شركة
الكهريا هاتوقف عداها علشان يقالها أكثر من 40 سنة من غير ساكن.
والقانون بيقول كده؟

- قانون إيه ده؟

قالها (سيد) مندهشاً فرد عليه (صادق):

- قانون امك... طبعا مفيش قانون كدة. دي افتكاسة مني. المهم ان البواب أقنعه يأجرها بـ 250 جنية في الشهر. وقاله إنها كده غالية أوي كمان. الراجل طلع عبيط ومش فارق معاه الفلوس أصلاً. راح عمل توكيل في السفارة للبواب علشان يقدر يأجرلنا الشقة. طبعا البواب هياخد منا 50 جنية فوق الإيجار كل شهر في الخبيبي. دا غير حلاوته كل شهر اللي بياخذها من كل شقة في العمارة. وادينه 100 جنية كمان علشان يجيب كهربائي يغير لمض الشقة وشوية اكباس كهربا على الخفيف كده علشان يقضونا في استخدامنا.

- الله !! ما انت بتفهم أهو يا عم. امال بتشيل مواد كل سنة ليه؟؟

قالها (سيد)

- همنتك انت السنة دي معانا يا (سيد) علشان نطلع بامتياز.

نهض (سيد) من مقعده وهو يقول:

- إبقوا قاهلوني.

أخرج (صادق) من جيبه شيئاً صغيراً جداً ملفوف بورق حراري فضي. بحجم الإصبع وقال:

- لو كملت تريقة علينا مش هاندوق حاجة من دي.

عاد (سيد) ليجلس على مقعده وقال بلهفة:

- إنت معاك (حشيش)؟

- قولتلي بقى نبقى نقابلك فين لو جينا امتياز؟

- خلاص يا عم حقت علي. أنا محقوقك.

قالها (سيد) فأخذ (أمجد) قطعة الحشيش وفض عنها الورقة لتظهر
قطعة بنية صلبة.. نظر لها بشوق وهو يقول:

- كده نافصلنا موزة.

نهض (سيد) متفعلاً وهو يقول:

- لا كله إلا الحرام.

أخذ (صادق) قطعة الحشيش وهو يقول ساخراً:

- وهو الحشيش اللي حلال. إوعى تعترض وإلا والله مش هاتشرب
حاجة وهاضبع مستقبلك.

- هاتضبعه ازاي؟

- هاحرمك من الميراث وهاتبقى لا ابني ولا اعرفك.

هنا قال (أمجد) بجدية:

- "نكتك رخمة أوي يا (صادق). وانت يا (سيد) روح قوم بقى روق
الشقة وشوف هانطبخلنا إيه؟"

- طب حد فيكم يساعدني.

- لا يا حلو. إحنا اتفقنا إن الحاجات بينا بالنص. إنت تطبخ وتمسح
الشقة وتذاكرلنا، واحنا علينا مصاريف الشقة والأكل.

انتفض (صادق) قائلاً:

- والحشيش.

سار (سيد) بعيداً عنهما فقال (صادق):

- على فكرة المطبخ مقهوش بونجار. هاتلاقي باجور قديم عندك. أنا
خليت البواب يضيفه ويسلكه ويجعلك جاز.

- طب حد فيكم ينزل يجيلي أكل علشان اتقبل عمله بعد ما اظيف.

- إكتبلي كل اللي انت عايزه في ورقة وأنا هانزل دلوقتي.

مرتدياً ملابس بسيطة وممسكاً بغرقة من القماش، راح (سيد)
ينظف الشقة التي ملأ الفبار كل ركن منها.

كان (صادق) قد خرج ليشتري ما طلبه منه (سيد). بينما راح (أمجد)
يعبث بمحتويات الشقة بفضول. مُرَكِّزاً اهتمامه على الغرفة الغربية
المليئة بالكراكيب.

كان (سيد) بدنن بأغنية وهو ينظف الشقة:

- أنا هويته وانتهيت. وليه بقى لوم العرول.. يجب.

قطع عليه (أمجد) اندماجه وهو يخرج من تلك الغرفة وفي يده كتاب
قائلاً فجأة:

- ولا يا (سيد). كتابك ده؟

أجفل (سيد) وهو يلتفت إل (أمجد) قائلاً.

الله يخرب بيتك، مش تخطب الأول، خضعتي يا أخي كتاب ايه يا
عم؟

مدُّ له (أمجد) يده له ليريه الكتاب، كان كتاباً قديماً من تلك الكتب
التي انتشرت طباعتها في تسعينات القرن الماضي، له غلاف خشى بسيط
كان أرزق فيما مضى لكنه الآن صار باهناً مائلاً للخضار

لم يحمل غلاف الكتاب رسمة أو شكلاً مميزاً، فقط عنوانه بخط
عريض واسم مؤلفه بخط أصغر (سحر الكُهان في حضور الجان) لعبد
الفتاح السيد الطوخي.

تناول (سيد) الكتاب من يد (أمجد) ونظر أولاً إلى غلافه ثم فتحه
ليقلب بين صفحاته قارئاً عناوين الفصول بعينه بسرعة في البداية، ثم
ما لبث أن اتسعت عيناه وارتفع صوته وهو يقرأ قائلاً:

- جلب القربس- لطائف الجن السفلي- الأنوار العلوية، علوية من يا
عم؟

ضحك (أمجد) وهو يقول:

- مش امك اسمها (علوية) برضة؟

بخوف وعصبية قال (سيد):

- ده كتاب سحر ده ولا إيه يخربيتك؟

أطلق (أمجد) ضحكة عاتية وهو يقول

- يا عم أنا مالي هو بتاعي؟ أنا فاكهه بتاعك.

باستنكار شديد قال (سيد) وهو يلقي الكتاب إلى (أمجد) كأنه يتغني تهمة عن نفسه:

ويبقى بتاعي ليه ان شاء الله، سلامّ قولاً من رب رحيم، إنت لقيته
فمين ده؟

أشار (أمجد) إلى غرفة الكراكيب بعدم اكترأث وهو يقول.

- في أوضة الفيران دي.

أشاح (سيد) ببده كأنه يحاول إبعاد الكتاب عنه بقدر الإمكان وهو يقول:

- طب ارميه الله لا يسببك إحنا مافصير بلاوي

- طب ما نعتني نسال (صاديق) اما يرجع يمكن يكون بتاعه

بعصبية أكبر رد (سيد):

- ويبقى بتاع (صاديق) ليه؟ أنت مش بتقول إلك لاقينه في الأوضة
الرفت دي. يا عم ارمي البتاع ده لا تلبس

في تلك اللحظة سمع الإنسان صوت المفتاح وهو يدور في الباب تلاه
(صاديق) الذي دخل حاملاً عدداً من الأكياس البلاستيكية وهو يقول:

بترعقوا وتجبوا ف سيرتي ليه؟ صوتكم جابب لغاية برة.

ضحك (أمجد) وهو يقول:

- صاحبك عبيط وخايف من حقة كتاب.

اقترب منهما (صادق) ووضع الأكياس على اقرب كرسي له، وسأول
الكتاب من يد (أمجد)، قرا الاسم باستهزاء

سحر الكهان في حضور الجان. إيه ما عم الهل ده، ده انا لف ورق
الكتاب ده بمره

باستمناع عايت قال (أمجد):

- عشان تبقى سيجارة بنت جفينة.

رد (صادق):

-أنا رايي ان انا وانت بيطل خمة دم علشان شكلنا بقى وحش أوي

بصوت مرتجف قليلاً قال (سيد)

- ارموا الكتاب احنا مش اد الكلام ده

بطرله (صادق) ضاحكاً قبل ان يقول مداعبا

- نئه، إيه يا وحش، اومال عاملني فيها سيع رجالة ف بعض، وشعت
لنساهة في بلديا، والغولة شاورتلي وانا ماشي على التربة، وانا اللي كنت
فاكرت استاذ أحمد عبد العزيز في ذناب النجيل

حاول (سيد) تمالك نفسه وهو يقول:

من خاف سلم، ارموا بقى الرقت ده ومتمسبوش اعصاب أكثر من
كده.

ابتسم (صادق) وهو يقول بهنو:

- خلاص يا عم قلبك أبيض. أنا هخليه معيا ابص فيه شوية
وبعدين الف فيه سجار. المهم. هتاكلنا إيه بقى عشان أنا جعان"

- مكرونة.

- مكرونة سادة كده؟

- لا بالصلصة

- ولا. أنا مش شايل كل الطلبات دي على قلبي عشان في الآخر أكل
المكرونة المعجزة بناعتك. إعمل لنا حاجة عدلة تناكل.

- طيب بس ترموا الكتاب الأول.

قالها (سيد) ثم أخذ الأكياس بعصبية واتجه إلى المطبخ وهو يبرطم
بلهجته الريفية:

- أبوكوا على ابو الكتاب المعفرت على الباجور المتبل ده في يوم
واحد. باجور. حد اليومين دول بيطبخ على باجور. دي ستي كان عندها
بوتاجاز أربعة شعلة.

نظر (صادق) و(أمجد) إلى بعضهما البعض وهما يضحكان من طريقة
(سيد) في الحديث. والذي اختفى داخل المطبخ وهو لا يزال يبرطم.

صوت في ياتي من المطبخ مختلطاً بروائح الطعام التي يتشممها
(صادق) بسنمتاع وهو يدخن سيجارة حشيش في الصالة حيث جلس
على الأريكة فاردًا قدميه باسترحاء على المقعدة الصغيرة امامه. بينما
وقف (أمجد) بجواره يقول.

- إنت مش هنقوم نرّص هدومك ولا ايه؟ عايرين تمصي الصالة من
الشلط دي.

أسبل (صادق) جفنيه وبمّث سحابة من الدخان وهو يقول

يعني هي شط امي انا نس اللي مصايقاك. ما نرّص يا حوبا
حاجتك. إنت مالك ومالي.

- أحسن. انا اللي استاهل واهي مصلحة عشان احجر الأوصة
الكبيرة.

لوح (صادق) بيده بعدم اكتراث. فالتقط (أمجد) حقابه ليماجا
بسيد وقد خرج من المطبخ فجأة ممسكاً (كبشة) في يده كانه يمسك
سلاحاً وهو يقول تتعبّ بدا مصعكاً لهجته الريفية

- أنا سمعت حد قال الأوصة الكبيرة. ده بجد ده ولا دي تهبّوات؟

ايه ياد مالك كل شوية تطلعنا كده فجأة ري الخاروق. ثم تهبّوات
ايه. دول لغوا الكلمة دي من أنام ستك أم اربعة شعلة

قالها (صادق) ل(السيد) الذي لم يُعزّه اهتماماً وهو بواجه (أمجد)
الذي قال:

- أبوة، أنا قلت الأوضة الكبيرة، أنا عايزها.

ثم نظّر لصديق وقال:

- احنا مش اتفصنا نبطل خفة دم احنا الاتنين

- انت تعور زي ما انت عايز، الأوضة الكبيرة دي بتاعتي

- وده ليه ده ان شاء الله؟

- عشان أنا اللي طلعت عيني في تنضيقي وتنضيف البيت كله .

- لا ده استكراص بقى مات كده كده عليك الطبخ والتنضيف، دخلت دي في دي ليه؟ دي حاجة ودي حاجة، اختيار الأوض ما يبقاش كده"

- أومال يبقى ازاي يا خفيف؟

ارتسمت ابتسامة خميفة مأكرة على شعبي (أمجد) وهو يقول:

- يا اللي يعجز الأول.

قالها (أمجد) ثم جرى بسرعة وقصر ليدخل الغرفة ويلقي حقائبه بداخلها وهو يطلق صيحة انتصار بينما (سيد) لا يزال يقف في مكانه في الصلاة واضعاً يديه في وسطه وهو يقول بتعجب:

- برضك الأوضة بتاعتي.

لا يا حلو انا سيقنتك، (صديق) في التراوة ومش فارق معاه اصلاً وانا جهزت الأوضة خلاص بشنطي.

- أنا حجرتها بهدوم.

- ايه؟

- افتح الدولاب وانت تعرف.

فتح (أمجد) صلبه من الدولاب الضخم ليجد ملابس (سيد) مُعلّقة ومهدمة بداخل الدولاب فرور بصيقي وهو يقول.

نت هتخد الأوضة دي كلها لوحديك يا (سيد)؟

- ماتت كنت من ثواني عابر تاخدها انت لوحديك. ثم انت مش قلت

أنه بالعجز

- طب احط هدمم الخروج عندك على الأقل. دولاب الأوضة الثانية

صغير اوي يا (سيد) ثم انت هتعمل ايه بالدولاب ده كله يعني؟ ده هم

بطلوبين وقمبص اللي حيلتك. انت هتعيش!

- حط يا حويا. عندك الصلف اللي على الشمال مفتحتها اصلا

- شكراً يا (سيد) يا أمير

- بس متبوظش أي حاجة عندك.

- حاضر يا (سيد).

- ومكش دعوة بالصلف بناعني خالص متلمسهاش

- حاضر يا (سيد).

وتحط حاجتك وتخرج من الأوضة بسرعة عشان بقرف

- روح يا (سيد) شوق اللي وراك لتعرقلنا الأكل

قالها (أمجد) بنفاد صبر فعاد (سيد) لينحه إلى المطبخ وممر على

(صاديق) الذي يجلس في الصلاة.

- إنت قلت حاجة يا (سيد)؟

قالها (صادق) وهو يحدق في وجهه بنظرة شبه ذاهلة ولسانٍ ثقيل نوعاً ما.

- كنت بكلم التطلع الي جوة ده.

- لا أنا سمعتك بتقول با (صادق) "

- أنا ما كلمتكش أصلاً.

- أو مال مين اللي ندهني؟

قالها (صادق) بدهشة أكبر في حين قال (سيد) بنفاد صبر.

- بقولك إيه أنا مش فابق لك. إنت شكلك عليت. كفاية كده واطفي السيجارة اللي ف إيدك دي وقوم رُصْ هدمك في الدولاب. ونزل رجلبك من على الترابيزة وحياة أبوك أنا لسة متضيفها

غاب (سيد) داخل المطبخ في حين طلَّ (صادق) في مكانه وهو ينظر حوله بشكٍّ فتوقفت عبيه على الصورة القديمة المعلقة. نظر لها قليلاً. ركز على عبون الموجودين بها. على الطفلين الصغيرين بالذات، لم يعرف مسبب أو مصدر الخوف الذي دث في قلبه فجأة

هو متأكد أنه سمع شخصاً ينادي باسمه لكنه غير متأكد أن أحدا ناداه بالفعل. ربما هي السيجارة. ربما كان "الديلر" صادقاً حين قال له إنه توصى به فعلاً. وأن الحشيش هذه المرة فوق العادة.

وضع (صادق) سيجارته على طرف المطفأة أمامه وهو يقول:

- كفاية كده فعلاً.

نفض (صادق) إحساس الخوف عنه، أو تظاهر أنه فعل، وهو ينهض حاملاً إحدى حقيبته متجهًا بها إلى غرفة النوم بخطى ثقيلة، لم يكن من طبيعته أن يعمق أي إحساس يأتيه، كان دائمًا ما يأخذ كل شيء بخفة، لذلك ضحك وهو يدخل الغرفة ويقول لميمه:

- سيجارة بنت حرام بصحيح.

في الغرفة الكبيرة، أخرج (أمجد) مجموعة من قمصانه من حقيبته الموضوعة فوق الفراش لبضعها على أحد أرفف الدولاب وهمّ بسحب يده لكها اصطدمت في طرفها بشيء ما.

- إيه ده؟

قالها (أمجد) بدهشة وفضول وهو يسحب مجموعة من الأوراق المصفرة والصور القديمة ذات اللونين الأبيض والأسود. تمكّن منه الفضول فأخرج قمصانه من الدولاب ووضعها على الفراش لينمحص الرف جيدًا، فوجد صورًا أخرى وأقصوصات من جرائد مختلفة، جميعها قديمة.

جلس على طرف الفراش مُفسكًا بكل ما وجدته في الدولاب متأملًا ياه، رفع أول صورة أمام عينيه، صورة بالأبيض والأسود لطملي، أحدهما عابس والآخر ميسم، ويبدو أن العابس يكبر الآخر بقليل، نظر للصورة بتمعّن.

ربما لأنه شعر أنه رأى هذين الطفلين من قبل، أو ربما لأن الصورة نفسها تحمل إحساساً عربياً، ربما كان الوصف الأدق كلمة "طاقة". لكن عقلية (أمجد) لم تكن بهذا العمق، لم يكن قاموسه يحمل تعبيرات مثل "طاقة نفسية".

لم يجد تعريفاً لما يشعر به وبراہ سوى أنه "غريب". لقد مرّ مروراً عابراً أمام الصورة المعلقة في الصالة لذلك لم تحتفظ ذاكرته بعلامح الطفلين الموجودين فيها. ولذلك أيضاً لم يدرك أنهما نفس الطفلين في الصورة التي بمسكها الآن. لكنه أيضاً لم يدرك أمراً آخر غاية في الأهمية، لم يدرك (أمجد) أن هذين الطفلين، وفي هذه اللحظة، يقفان على عتبة الغرفة التي يجلس بداخلها.

وقف (سيد) أمام الباجور مهمكاً في إعداد الطعام، كان ما يزال ساخطاً على صديقيه بسبب استخفافهما براه في الكتاب، لا تزال ضحكاتهما ترن في أذنه، سخرية منه ومن خوفه، لم يكن يرى نفسه جباناً بل يرى أنهما هما المستهتران.

لا يزال الضحك يرن في أذنه رغم صوت القلي الذي يملأ المطبخ. قطب (سيد) جبينه فجأة عندما سمع ضحكة فعلية هذه المرة، ثم استدار نحو باب المطبخ ليرى من منهما الذي بصحك منه الآن، لكنه لم يجد أحداً!!.

لا بد أنه مرّ إلى الصالة إذن. قمر (سيد) من المطبخ إلى الطريقة إلى الصالة. المكان خالي تماماً، وقف (سيد) مدهوشاً بنظر حوله. نمي

المسخط ليحس التوجس محله لكنه سرعان ما أقبع نفسه بانه ما يزال
فلقًا بسبب الكتاب.

لا داعي لإزعاج أو اهانة نفسه أكثر من ذلك. حاصبه بعد الموقف
لمسابق. ألقى (سيد) نظرة خيرة على الصالة الخالية ثم عد في خطوات
بطيئة نحو المطبخ

لقد نبئنا حتمًا انه سمع تلك الصيحة

يريد ذلك الإحساس الغريب عند (امجد) ثم يكن يشعر انه ليس
بمعهده في الغرفة بل هو متأكد من ذلك. رفع عينيه بسرعة نحو الباب
لكنه لم يجد حذاء غريبه. لقد ظن أنه رأى خيالاً لشخص ما يقف
هناك. وظنه في البداية (سيد) وقد جاء ليستخف عليه ويتأكد أنه لم
يعثر بأشيائه. أعاد عينيه مرة أخرى للصور والأوراق وحاضر غريب
يدور في رأسه.

من عقله يصير على أن خيال (سيد) كان اقصر من طول المعهود
ويبدو كما لو كانا خياليين ليس خيالاً واحداً. بمص الخطر الذي بدا له
مضحكاً وقتها وهو يعود بتركيزه الى الصور

وجد مجموعة صور لعنات يرتدين ملابس قديمة ملابس من
أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. ولكنه لم يستطع تحديد الحقبة
الرسمية لتلك القمصان والمصمفات. فقد بدت له قديمة وحسب

ملأ (أمجد) من صور القنابات اللاتي بدون جميعًا متشابهات في نظره.
فوضع الصور كلها بجانبه على الفراش وبدأ في تأمل الأوراق المصفرة
القديمة. كانت مكتوبة بحبر أرق يمتد لونه قليلًا، امسك (أمجد) ورقة
منها وبدأ في القراءة:

"لماذا أشعر بشعورٍ مختلف تجاه (أميمة) ؟ لم أشعر بمثل هذا مع
كل من سبقونا. لماذا أشعر للمرة الأولى ان (أميمة) تنقرب مني حبةً في.
لماذا ليست رخيصة كمن سبقها. منذ أن عادت وجدت معها ذكرياتي
القديمة وأنا عاجز على الاستمرار فيما كنت فيه"

- أنا مش.. مش عارف أصورك -

قالها (منصور) بخجل وعلى وجهه ابتسامة مرتبكة لأميمة التي تجلس
أمامه على كرسي التصوير بوجهها الملانكي وعلى وجهها ابتسامة حاملة وهي
تنظر له قائلة:

- ليه؟ هو أنا وحشة أوي كده؟

تريد عبارتها من ارتباك (منصور) الذي يقول:

- ياخير لا طبعًا بالعكس. ده انتي.. يعني.

تسبح ابتسامة (أميمة) وهي تنظر له في مودة كأنها تريد أن يكمل،
وبالرغم من ابتسامتها المشجعة وعينها العيونتين (لا ان (منصور) لم
يكمل الجملة كما كانت ترغب، ثمالت نفسه وتنهج وهو يقول:

أقصد يعني إن مش ده السبب اللي مخليني مش عارف أصورك

- أومال إليه المنيب؟

- إنك إنك مش بتبصي للكاميرا.

قلها (منصور) وهو يبعد عينيه عما كانه يتعاشي النظر إليها. لم تكن (أميمة) تنظر للكاميرا بل كانت تنظر إليه هو. إلى ملامحه العادية ووجهه المقطب أغلب الوقت.

لقد اقتربت بما يكفي لألمح لها بمشكلتي بأنني لا أقدر على المعاشرة الجنسية. كان يجب أن تتعد عني لكنها أصرت أكثر على الاقتراب. أصرت على احتصاني. أصرت على مداواتي لقد حاولت أن تثبت لي بطريقة غير مقصودة أنها ليست كأني...

تأمنها قليلاً من وراء الكاميرا وهو يفكر. كانت ومازالت (أميمة) جميلة. أجمل امرأة راها (منصور) في حياته ربما ليمنت أجمل امرأة في نظر الكاميرا لكنها أجمل امرأة في نظره هو. جمالها ليس طاهرنا فحسب بل هو ينثي من الداخل. لهذا كانت الأجمل في نظره على الإطلاق. حميمة لكنها ليست ساقطة.

حيوة لكنها ليست منساهلة. كان بطن أن كل نساء الأرض لمن سوى صور مختلفة في المطهر لكنها مكزرة من جوهر مه العريب أنها مارالت تحبه. رغم أنه ليس وسيما ولا ثريا رغم أنه عاجز جنسياً كيف تحب المرأة رجلاً يحجر عن اشباع رغباتها؟ هكذا بدون سباب أو مقابل. كيف؟

- أنت كنت بتقده عليًا من شوية؟

رفع (أمجد) عينيه فجأة كانه بصحو من غموه أو يفيق من حلم ال
(سيد) الذي ألقى ذلك السؤال وهو يقف على باب العرفة، هزّ (أمجد)
رأسه نعيًا وهو لا يرال شاردًا بعض الشيء

أما (سيد) فقد نظر ال (أمجد) بشك لم ينتبه له هذا الأخير. كان
موضوع الضحكة لا يرال بصأيقه رغم تطأفره لنفسه انه لا هتم وكان
سؤاله الذي القاه بطريقة عابرة يحمل في باطنه استجوابا، يريد ان
يعرف من فعلها، ولما كان الصدق واصحًا بشدة في وجه (أمجد) فلا بد
انه (صادق) إذن.

- إيه ده؟ بتقرا ف إيه؟

- ده ورق قديم على شوية صور لقيتهم في الدولاب جوه. شكلهم بتوع
الناس اللي كانوا عايشين هنا قبلنا

- طب حطهم في أي حنة لغاية ما ماكل وتعدبن ابقي ادبهم للبواب
برجّعهم لصاحب الشقة لما بيعي مصر.

نهض (أمجد) يللمم الأوراق والصور وهو لا يرال يفكر بالكلام العرب
المكتوب في الورق. وفي الخياليين اللدين خُيل إليه أنه راهما، (سيد) ايض
كان يمكر فيما إذا كان (صادق) هو الذي ضحك أو. أو من. أو ماذا؟ كان
بعكر وهو ما يرال يراقب (أمجد) في شك كانه يتوقع أن ينفجر صاحكا
فور أن يوليه ظهره.

خرج الاثنان من الغرفة التي يفترض انها حالية الآن، لكنها ليست كذلك. والا فلن هذا الانعكاس الذي يظهر في المرأة، إنه انعكاس لرجلي غير واضح المعالم يتبعه نحو الدولار ليصحه، يرى صلصة الدولار بفتح بالمعل لكنها تفعل ذلك من تلقاء نفسها فلا احد يفتحها ولا احد يقف فعليًا في الغرفة.

عندما خرج (امجد) و(سيد) إلى الصالة وجدا (صادق) جالسا هناك على الأريكة يقرأ في الكتاب اياه بجدية. نظر له (سيد) بسخط وهو يتجه إلى المائدة ليعدها في حين قال (امجد) ميمسًا:

- بت قاعد نقرأ ف كتاب العشاريت ده؟

راح (سيد) يرّص الأطباق على المائدة وهو يقول

- قول لصاحبك برمي البتاغ ده أنا حدرته من شوية، والله لبتلس ويتجس.

رفع (صادق) عينيه إليهما وهو يقول لامجد باستمناح

سببك من (سيد) ده جبان، الكتاب ده كيمي أكثر من الحشيش

نظر له (سيد) بغل وسخط وقد صار شبه متأكد أن (صادق) هو الذي كان يصحك منه لكنه كنتم إحساسه بداخله كي لا يؤكد نهمة الجبن على نفسه أكثر. اما (امجد) فقد جلس بجوار (صادق) على الأريكة وهو ينظر معه إلى الكتاب ويقول:

- اشمعني؟

ازداد استمتاع (صادق) وهو يقول:

مليان كلام كوميدي عن تحضير العان والقرين، بس كل ما احي
أقرأ حاجة يقولي هات بخور مش عازف إيه وطبق واكتب عليه كلام
غريب، لكن لقيت بقى كلام بتقوله وخلص علشان تحب واحد من
خدام الأيام السبعة.

بدهشة وفضول تسأل (أمجد):

- خدام الأيام السبعة؟؟

لم يستطع (سيد) السيطرة على مشاعره أكثر من ذلك وهو يهتف
بفضيب حاول إخفاء رنة الخوف فيه:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بطلوا كلام في الحاجات دي.

لم يعرفه (صادق) اهتماماً وأكمل كلامه مع (أمجد) وهو يقرأ من
الكتاب في نفس الوقت:

- يعني يوم السبت الملك الأرضي بتاعه (ميمون أبانوخ)، والملك
العلوي (كسفابيل)، ويوم الأحد الملك الأرضي (المذهب) والملك العلوي
(روقيانيل)، ويوم الاثنين الملك الأرضي (الأبيض بن الحارث)، والملك
العلوي (جبرائيل).

اشتعل الغضب والخوف بداخل (سيد). لا هو ليس جباناً. هو فقط
يريد أن يوقف هذه المهزلة قبل أن يحدث ما لا يُحمد عُقباه. ترك
الأطباق من يده واندفع نحو (صادق) وهو يصيح مدعوزاً.

- كمية بقى.. بطل قراية يا (صادق).

- إني أنت له مصدق يا (سيد).

قالها (أمجد) وهو ينهض من جانب (صادق) فاندفع (سيد) ليجلس مكانه واقتص على (صادق) في محاولة لأخذ الكتاب منه لكن (صادق) راوغه وجذب الكتاب إليه وهو يقول

- هات بقى الكتاب وما تبقاش غلس

فتحه وهو يجلس على الأريكة ويقرأ بصوت عالٍ بينما وضع (سيد) يديه مُعْطِئًا بها أذنيه كي لا يسمع ومع ذلك فقد وصله الصوت.

- مغيب مغيب مهرباء مهرباء لفي قلبى قلبود قلبود بدوح بدوح
بسوح بدوح يا لطيف يا لطيف اجب يا مذهب وانت يا احمر وانت يا
برقان وانت يا شهوروش وانت يا زووعة وانت يا ميمون ذو القدرة
والعظمة والمجد والسرور والبخور وعهدنا عليكم يكون السرور اقسمت
عليكم بالعهد الماخود عند باب الهيكل الكبير ببابل، وهو بالعشاقش
مهراقش اقش مقش شقموش شقموشش أن تأتوني مسرعين ولعربتي
سامعين وأفعلوا ما تؤمرون الأرض بكم ترجف والسماء من فوقكم
تقدف شمعاهير برداح احضروا الي في كل ساعة و . "

انقطعت الأصواء عن الشقة وصرح (صادق) فجأة.

عادت الأصواء إلى الشقة بعد فترة قصيرة من انقطاعها، لكن المشهد الذي رآه (سيد) كان غريباً، (صادق) ملق على الأرض على وجهه بالقرب من باب الشقة، اتسعت عينا (سيد) وهو يهرع نحوه صارخاً في رعب

- يا نهار اسود. (صادق).. (صادق) ماله؟

وصل (سيد) إلى موضع (صادق) وهو في حالة صدمة، نزل على ركبتيه بجواره وقلبه على ظهره. كانت عينا (صادق) بيضاوين، مقلوبتين إلى الأعلى تمامًا. راح (سيد) يهزه في لوحة وهو يهتف:

-(صادق).. مالك يا (صادق)؟ (صادق) رد عليا.

مرت ثوابٍ ظلّ فيها (صادق) صامتًا متغشّب الجسد، وعيناه البيضاوات تطهران من خلف جميعه المرتجفين. وفجأة، فتح فمه ليطلق صرخة عالية في وجه (سيد) الذي شفق فرغًا وهو يترك جسده ليسقط هو على ظهره.

أحس (سيد) أنه اوشك على فقدان الوعي من كثرة الصدمات المتتالية، شعر بالفعل بتنميل في أطرافه وبانفصال مؤقت عن العالم لم يبق منه إلا على صوت الضحك، ضحك؟؟

لم تكن الضحكة الأولى عند باب المطبخ قد فارقت أذنيه بعد لتأتي هذه الضحكات وتكمل على ما تبقى من أعصابه. كان كلاهما بضحك هذه المرة. (أمجد) و(صادق) الذي نهض من رقدته وقد دمعت عيناه من شدة الضحك وهو يقول:

- بطريقت شكلك ده انت مسخرة.

- إنتوا إنتوا بتضحكوا؟؟

قالها (سيد) في شبه ذهول فأجابه (أمجد) وهو لا يزال يضحك:

وزيت امب لو شفت وشك في المראה لتضحك معانا.

راح (سيد) يقف بصره بين وجهيهما يتساؤل ودهول في حين قال
(صادق) مجنبًا على كل ما دار بخلده من اسئلة:

(أمجد) اشترى الكتاب من على الرصيف باتين جنبه وانفق معانا
عشدين بعمل فيك المقلب ده وهو اللي شال فيور الكهرت بعد ما خلصت
قراءة ورجّعه تاني

ههه (سيد) من سقطته وقد حل العصب والعصبية محل الخوف
ولدهول بداخله وهو يدفع عنه (صادق) الذي ما زال يصحك. في حين
اندفع (امجد) بحوه محاولا دغدغته لكن (سيد) دفعه بقوة هو الآخر.

- واخديها هار من كده طب والمصعف لتقنب جد عليكوا.

قالها (سيد) وعيابه تلتمعان ثم اسدع الى غرفة النوم وصفق بيها
خفيه. لم يستطع (صادق) و(امجد) تحديد ما اذا كانت هذه لثمعة
بسبب دموع الخوف ام الغضب. ولا حتى (سيد) نفسه استطاع ذلك

ورغم ذلك لم يتوقف ايا مهما عن الضحك. فقد كانا دائما ما يربان
أن غضبة (سيد) ليست سوى مشهد من فيلم كوميدى. خصوصًا مع
لكنه الرفقة لكن الموقف اليوم يحتلف.

لم يدرك (أمجد) ان كان السبب هو التمتع عين (سيد) او الحملة التي
نطقها. لكنه شعر في داخله بشيء مقبض. وبالرغم من ذلك فقد ظل
يضحك بقوة كأنه يحاول كبت شعوره هذا عن (صادق) وحتى عن
نفسه

الغريب أن (صادق). الذي كان مستغرقاً في الضحك مثله. كان يشعر بذات الشيء. لكنه اخفاه في داخله هو الآخر.

- "يقولوا يقابلوني إن فلعوا"

قالها (سيد) لنعمه تنهكماً على صديقيه وهو يجلس على ماندة السفرة وحبداً في الشقة وأمامه مجموعة ضخمة من الكتب والملزم وجانهم سيجارة حشيش لم يشعلها بعدما تركها له (صادق).

القلم في يده اليمنى وكوب الشاي الذي يفصله ثقيلًا دومًا في اليسرى. أما (صادق) و(أمجد) فقد كانا بالخارج مع بقية الشلة إحياء لطقوس يوم الخميس المقدسة لدى أغلب الشباب المصريين. لوى ركن فمه بسغرية مرة أخرى وهو يسترجع الحوار الذي دار بينهم قبل خروجهما.

- من عايز حاجة من تحت يا (سيد)؟

كان عطر (صادق) قد سبقه إلى الصلاة وهو يقول تلك العبارة لـ (سيد) الذي كان في نفس مجلسه على المائدة بين الكتب. رفع (سيد) عينيه متأملًا ملابس (صادق) الأنيقة ووجهه المحلوق بعناية بدهشة وهو يقول:

- إنت نازل؟

صحك (صادق) وأشار إلى نفسه قائلاً:

- اومال عامل كل ده ف نفسي عشان امدد في البلكوبة مثلاً

- لا العمو، أكيد فيه سات ف الموضوع طبعاً

- مانت حلوفاهم كل حاجة أهو.

أكيد عرفت طالما مغرق بمسك ربعة

- ربعة !! اسمها كلوتيا يا جاهل

- طب والمذاكرة بيبي.

خرج (أمجد) من العرفة هو الآخر في تلك اللحظة، فأجاب قائلاً:

- مذاكرة ايه يا(سيد) ما تصلي على النبي، الهاردة الخميس.

كان (أمجد) هو الآخر لا يقل اناقة عن (صادق)، صحيح أن أي منهما لم يكن يتمتع بوسامة أو جاذبية بالعه لكنهما كانا يعرفان كيف يتناقش ويتعطرا، يعرفان كل الطرق والحيل التي تجذب الفتيات، على عكس (سيد) الذي يرتبك لو حُتته فتاة في الجامعة

كان يشعر أنه بجسده البحيل وبشرته المائلة للاستمرار أقل منهما بكثير، وربما كان جزء من رفضه لدخول الفتيات في حياته مجرد حيلة دفاعية منه ضد الفتيات لرفضهن له، ورغم تفوقه الدراسي إلا أنه كثيراً ما يقع على تأخره الاجتماعي والعاطفي، لذلك نظر لـ (أمجد) و(صادق) بنوع من الغيظ وهو يقول:

- هو أنتوا مش كنتوا عابزيتي أنفيل اذاكرلكوا؟

بابتسامة ساخرة قال (صادق):

- عادي يا (سيد) لما نرجع.

ماتوا مترجعوا نعبابن ومهدودين. بالكثير متنعشوا وبعدين
تنقلبوا تناموا.

ضحك (أمجد) وهو يقول:

- طب وانت إيه اللي مرعك أوي كده؟

لم يكن من الممكن أن يفصح (سيد) عن السبب الحقيقي وراء
غيبته منهما. ارتشف رشمة من كوب الشاي الموصوع أمامه وحمف من
حدة صوته وهو يقول متظاهراً بعدم الاهتمام.

- أنا على مستقبلكوا يعني.

- لا متخافش أنا مأمن مستقبلي كويس

قال (صادق) تلك العبارة صاحكاً واتجه مع (أمجد) نحو باب الشقة
استعداداً للخروج.

- طب ومفيش مرة نمكروا تاخدوني معاكوا.

توقف كلٌّ من (صادق) و(سيد) عن السير واستدارا ببطء نحو (سيد)
الذي قال تلك العبارة فجأةً بطرفه أدهشته هو نفسه. شعر بالارتباك
والخجل ونظرات صديقيه المدهشة تعاصره.

- مانت... مانت ملكش في الخروجات دي يا (سيد)

- ده على أساس ان انتوا بتاخدوني معاكوا ف أي حفة أصلاً.

إرداد إحراج (سيد) من لسانه الذي بدا وكأنه يتنطق الجمل من تلقاء نفسه. أما (صادق) و(أمجد) عقد تبادلًا النظر مارتياك وكأن كل واحد منهما يبحث عن الإجابة في وجه الآخر، أخيرًا أتقدما (سيد) من خيرتهما وهو يقول ضاحكًا:

- أنا بهزر معاك يا ص است وهو. والا انتوا بس اللي بتعرفوا تهرروا. هو انا أصلاً يشرفني اخرج مع عالم هايفة زبكوا. بلا يا حوب منك له اجري الحق المزة بتاعتك لا حد يعلقها منك

انخفضت درجة الإحراج والارتباك داخلهم جميعًا بعد عبارة (سيد) لضاحكة. إلا انها ظلت ظاهرة في ابتساماتهم المتوترة التي تبادلوها قبل أن يسرع (صادق) و(أمجد) بالخروج كاهما يخشيان أن يلقى (سيد) جملة أخرى على شاكلة الجمل السابقة

أما (سيد) فقد ظلّ يطر نحو باب الشقة المغلق نثي؛ من الحزن لقد كان ثلاثتهم يعرفون أنهم لم يصطحبوا (سيد) معهم خجلًا من بعض تصرفاته التي قد تسبب لهم الإحراج

لأنه كان كما يقول التعبير الدارج "لخمة". كان الثلاثة يعرفون ذلك جيدًا لكن احداً لم يمنح ذلك الموضوع من قبل. فبماداً فتحه هو الآن بغباهه وكأنه يقصد إحراج نفسه بنفسه. لماذا؟؟

حاول (سيد) إعادة تركيبه إلى الأوراق أمامه وهو يرشف ورشفة أخرى من الشاي. استغرق الأمر بضع دقائق قبل أن يتمكن من تسيان كل ما يتعلق بـ (صادق) و (أمجد) والبنات ليصب تركيزه كله على ورق المادة التي يذاكرها.

مرت خمس دقائق لم يُسمع خلالها في الشقة سوى صوت تقليب الأوراق ورشقات الشاي. شعر بحاحته لدخول الحمام فهض مسرعاً وهو يمر عبر الطرقة. ضغط على زر الإضاءة. غرق الحمام في الضوء الأصفر المنبعث من المصباح الصغير المعلق في السقف منذ يوم

الحمام واسع يحتوي على صنوبر مزخرف قديم كبير ومراة نقشرت أطرافها تعلوه. حوص استحمام من السيراميك تعبّر لونه الأبيض واصبح باهتاً مُصْفَراً. و"تواليت" تعلوه سلسلة رفيعة أخيره (صادق) أن يجذبها بعدما ينتهي لأنها تعمل عمل "السيقون"

انتهى (سيد) وجذب السلسلة ثم توقف أمام الحوض وهو يرى حوض الاستحمام في المراة. فتح صنوبر الحياة ليفسل يديه. شعر بحركة في المراة. رفع عينيه إليها فمشاهد شاب يجلس على مقعد يولي له ظهره ويفعل شيئاً ما يعوض الاستحمام وقطرات كثيرة من الدماء تناثرت على أطراف الحوض الأبيض.

تراجع (سيد) للوراء شاهقاً، ثم نظر إلى الحوض برعب فلم يجد شيئاً. نظر للمرأة فوجد نفس المشهد ولكنه مبر وجود أدوات معدنية على أرض الحمام داخل انعكاس المراة. فجأة نظر الشاب الذي في المراة وراءه

فرأى وجهه الذي تغطيه كمامة بيضاء، تراجع (سيد) للوراء بحركة عنيفة وهو يستعيد بالله وبكبر.

عند رجوعه نُعْتُر فسقط بجانب الحوص فتھض وهو ينظر له فوجده خاليًا، بلع ريقه وهو شعر بصعوبة في النعس وصعوبة في خروج الكلمات من حنجرته، نظر للمرأة فوجد انعكاسه بها طبيعيًا.

وَزُع نظراته بين المرأة والحوص وقد شُلَّ عقله عن التفكير أو محاولة تفسير ما رآه، خرج من الحُمام مسرعًا وهو يحاول أن يتمهل في السير كي لا يتضاعف دعره، وصل إلى الصالة

صنك أذني (سيد) صوت الرنين أجمل وهو ينظر حوله بدهشة باحثًا عن مصدر الصوت، لم يكن جرس الشقة ولا تليفونه المحمول الذي أعطاه له (أمجد) من فترة، هذا الرنين يبدو وكأنه ينبعث من أحد الهوائى القديمة، ولكن هل هناك خط هاتف أصلاً في هذه الشقة؟

لا زال الرنين مستمرًا، تحرك (سيد) من موضعه واتجه الى المنضدة الصغيرة في الركن حيث يقع التليفون، اقترب منه وهو يتساءل بداخله عن شخصية المتصل وكيفية معرفته لذلك الرقم، ربما أعطاه (صادق) أو (أمجد) لأحد أصدقائهم.

وربما كان ذلك المتصل هو (صادق) نفسه، أو (أمجد)، نظر إلى الحُمام بارتباك وهو ينتلع ريقه وشعر بان رده على الهاتف سيُشعره بالأمان أمسك بالسמاعة بهيئة وفضولٍ اختلطاً بالقليل من القلق، شعر بقشعريرة غريبة تسري في جسده عند ملامسة معدن السماعة البارد لأذنه قبل أن يأتيه ذلك الصوت العميق قائلاً:

- مش ناقص غير إنهم يحذقوك بالطوب ويجروا وراك وهما يقولوا
العبيط اهو. وانت عامل نفسك مش واحد بالك. عايشين بالطول
والعرض وفي الآخر أهاليم هيقفوا جنهم حتى لو فشلوا في التعليم. أما
انت بقى مش هتنفعك رهنتك ولا تمفيق عينيك. هتفصل فاكر نفسك
صاحيهم وانت مسخرتهم. وفي الآخر انت بس اللي هتقع .

تتسع عينا (سيد) وهو يهتف بفزع وغضب:

إنت بتقول إيه؟ إنت مين أصلاً؟

- مش مهم أنا مين.. المهم انت ناوي تعمل إيه معاهم

ظلّ (سيد) ممسكاً بسماعة الهاتف بعد أن صدر عنه صوت يشبه
نكة انقطاع الخط. راح يصرخ في جنون قاتل
- الو.. الوووو.

لم يجد جواباً ولم يسمع صوتاً. رفع سماعة الهاتف عن أذنه وهو
ينظر لها بدهول. من هذا وكيف عرفه وما هذا الذي قاله؟ وضع (سيد)
السماعة وعاد إلى مكانه في صمتٍ بشعرٍ برُجٍ في عقله. كأن الكلمات التي
سمعاها في الهاتف قد أسكرته.

لم يدر (سيد) كم مرّ عليه من الوقت وهو جالس أمام أوراقه وكتبه
التي لم يقرأ منها حرفاً بعد تلك المحادثة الهائنية الغريبة. نسي ما رآه في

الجُثَام بلا سنب وترك عقله يصرح وعينيه تشرد اما يده الممسكة بالقلم فقد تحركت بعشوائية على الورق ترسم خطوطًا عابثة أجمل عندما سمع صوتًا يصدر من جهة باب الشقة ليثبيى بعدها أنه صوت المفتاح يدور في الباب وان (صادق) و(أمجد) قد عادا احبزا.

- سلام عليكم.

قلبا (صادق) الذي دخل أولًا وانجه من هوره إلى الأريكة ليجلس عليا ويرفع قدميه على المنصدة امامه. ثم تدعه (أمجد) الذي جلس على مقعد يجاوره ويد بعل رباط حدانه وهو يقول:

- ازيك يا (سيد)؟

طلّ (سيد) ينظر لهما بتجهيم وصمت. لم يفهما ما باله ولم يهتم كثير. تمطى (امجد) وهو يهض ممسكا بحدانه وانجه نحو غرفة النوم لثدية. في حين ظل (صادق) في مكانه وأسبل جفنيه وهو يتشاءب.

- مين فيكوا اللي اتصل؟

فتح (صادق) عينيه ببطء وكسل في حين توقف (امجد) قبل أن يبلغ باب القرفة وأدار راسه نحو (سيد) وهو يقول:

- اتصل بيمين؟

اعاد (سيد) سؤاله بإصرار كأنه لم يسمعه قائلًا

- مين فيكوا اللي اتصل؟

أدار (أمجد) جسده كله ليواجه (سيد) بوجه متسانل في حين قال
(صادق):

- اتصل بعين يابتي؟؟

حاول (سيد) السيطرة على أعصابه وهو يقول:

- بها..

- أنا ما اتصلتشر، انت كلمته يا (صادق)؟

- أنا معيش رصيد أسامنا.

- بفولكوا إيه أنا مش ناقص استعباط. إخلصوا وقولوا مين فيكوا
اللي اتصل.

- ما قلبالك محدش كلمك يا ابني انت فيه إيه. انت جالك اتصال
من رقم غريب يعني؟ ودهوني طيب يمكن اعرفه.

قالها (أمجد) وهو يمسك هاتف (سيد) المحمول الموضوع على المائدة
لكيه فوجيء - (سيد) ينهض فجأة لينقش عليه وينتزع الهاتف من يده
وهو يقول بعدة:

- سيب المحمول. أنا ما بتكلمش عليه. أنا بتكلم على تليفون البيت

هنا تكلم (صادق) ليقول بصوت خامل ونبرة ساخرة.

- تليفون بيت إيه يا ابني. إنت السجارة اللي ادبتالك شعشعت
معاك ولا إيه؟

صرخ (سيد) فيهما فجأة قائلاً.

- إبتوا ما بتزققوش! كفاية مقالبت بتي.

اعتدل (صادق) وهو يقول بجدية:

- مقالبت يه يا (سيد) هو حد جه جيبك دلوقتي. إبت اللي عمّال
تقول من اللي اتصل وتليمون البيت. تليمون إيه الشقة ما فيهاش
تليفون أصلاً.

- أومال إيه ده؟ مش تليفون ده؟

قالها (سيد) مشيراً إلى الهاتف الموضوع على الممضدة في الركن بطر
(صادق) إلى حيث يشير (سيد) قيل أن يعيد بصره إليه قائلاً.

- أيوه بس مفهوش حرارة.

ارتسمت نظرة غريبة على وجه (سيد). بدا وكأنه لم يفهم ما قاله
(صادق) لوهلة ثم ما لبث أن عاد وجهه ليتجهّم وترثّم عليه نظرة حادة
وهو يقول:

- إنت كذاب.

باستنكار قال (صادق).

- وأنا هكذب عليك ليه؟

- عشان المقالبت اللي انتوا بنموتوا فيها.

- مقالِب إيه يا (سيد)، بص

كانت تلك من (أمجد) الذي ادارا عينيهما إليه ليجداه يمسح سلك التليفون الطويل حتى وصل إلى هيائته. فقد كان القابس غير متصل بأي شيء

اتمعت عينا (سيد) بذهول وهو يقول

- ازاي؟

اجابه (صادق) بهدوء:

- مانا قلنلك مفبش حرارة، البواب كان فايلى أصلا من الأول، واهي فيشة التليفون تمسها كمان مش معطوبة، إبت شكلك كنت بتحتم ولا كان بيتهيا لك.

بعصبية قال (سيد):

- بيتهياي إيه؟ التليفون ده زن، أنا سمعته بوداني

- يمكن كان تليفون حد من الجيران.

- لا، أنا رفعت السماعة وفيه راجل رد عليا.

- تلاقبك سمعت شوية خروشة ولا حاجة"

- لاه بقولك، الراجل كلمتي.

- كلمك قالك إيه؟"

صمت (سيد) وهو يتذكر الكلمات فعاد (صادق) يكرر سؤاله:

- قالك إيه يا بني.

- أنا دلوقتي بس فهمت كل حاجة.

قائها (سيد) بحرم فصحك (صادق) وهو يقول

- فهمت انك كنت محمّش. صبح؟ يا بني انت دماغك خميمة. دا انت

كنت بتسطل حتى من الحشيش الفستك

ضحك (أمجد) لما قاله (صادق) لكن صحكته بُرت عندما قال له

(سيد) فجأة:

- شديت لمبشة يا (أمجد)، مش كده؟

- فبشة إيه؟

- زي ما رحت بردو تشيل فيور الكهربا من غير ما اخد ناي.

- أبا صاحب السلك قدامك يا (سيد). هشدّها امي؟

كفاية بقى يا (أمجد). كفاية اللي بتعملوه ده بعد

- يا بني انا ما عملت...

قاطعه (سيد) صارخًا:

- كفاية بقى

ندفع من فوره إلى غرفة النوم الرئيسية صافقًا الباب حمله بعد

عبارة تلك. تاركا (صادق) و(أمجد) في حالة من الدهشة والحيرة.

- وصلة نكد ملهش أي داعي.

قالها (صادق) لـ (أمجد) بعد غياب (سيد) داخل الغرفة فردّ (أمجد) قائلاً:

بس تفنكر فيه حد كلمه في التليفون بجد يا (صادق)؟

- كلم مين انت راخر. ده مسطول. وبعدين انا هخلص منه تطلعني انت، قوم يا (أمجد) شوف وراك إيه بلا قلبه دماغ، قوم.

هض (أمجد) متجهاً إلى الحمام في حين اتجه (صادق) إلى غرفة النوم الثانية وتناول ببطاله الملقى على الفراش بإهمال ليتفقد جيبه ليخرج قطعة (الحشيش) الملفوفة بالورق الفضي. فتح (صادق) أحد أدراج المكتب ليتناول منه كيساً صغيراً قبل أن يعود إلى الصلاة مرة أخرى.

جلس على الأريكة وبدأ بتفريغ محتويات الكيس أمامه ليبدأ في إعداد قطعة (الحشيش) ولف السجائر. حانت منه النفاتة سريعة إلى الهاتف الأسود.

نظر حوله ليتأكد من كونه وحيداً قبل أن يمد يده بتردد ليرفع السماعة ويضعها على أذنه لثوانٍ. أطلق (صادق) ضحكة نهكية قصيرة وهو يسخر من نفسه فهو لم يسمع أي شيء، لكنه حين أبعد السماعة بضعة ملليمترات عن أذنه سمع. أو ربما خُيِّل إليه أنه سمع. "خلي بالك من (سيد)".

تعدت الساعة الثانية صباحاً عندما سمعوا جميعاً صوت الطرقات.
طرقات على باب الشقة؟ وفي مثل هذا الوقت؟

لم يكن (صديق) قد نام حتى تلك اللحظة. كان في حالة من الجذر
التي تسبق النوم حين سمعها. نهض من فراشه ونظر إلى ساعة هاتفه
المحمول وهو يحاول ان يمين ثم اتجه إلى فراش (أمجد) لهرزه قائلاً:

- (أمجد).. (أمجد). قوم فيه حد ببخبط ع الباب.

بتمنمل ودون ان يفتح عينيه. قال (أمجد):

- طب ما تروح تفتح انا مالي.

- افتح إيه الساعة اتلين بالليل.

فتح (أمجد) عينيه بنثاقل وهو ينهض من الفراش ببطء ثم يخرج هو
(وصديق) من الغرفة ليقابلا (سيد) الذي بهض بدوره قائلاً:

- مين ببخبط يا جماعة؟؟

- يكونمهي البواب.

قالتها (أمجد) وهو ما يرال تصيف باسم فردٌ عليه (سيد) بغيط.

- بواب إيه اللي جاي دلوقت؟ إبت عبيط؟؟

- وتا إيش عزفتي! شايفي أما اللي ببخبط!!

- خلاص يا جماعة. روح يا (أمجد) افتح شوف مين.

- خدامتك فوزية يا مي (صادق) حاضر ما افتحه.

اتجه في خطوات الية نحو الباب ليقفحه. و(صادق) و(سيد) يتبعانه مقتربين قليلاً منه.

اما (أمجد) فقد تبخرت كل ذرة إحساس بالنوم داخل عقده وهو يفتح الباب ليرى تلك الفتاة تقف خلفه وتتساءل بابتسامة:

- مش هنا ستوديو (منصور) بردو؟؟

لم يدر (أمجد) من أين يبدأ تعجبه من جمال الفتاة. أم من ملابسها وتصميغة شعرها الغريبة. من وجودها أمام الباب في الثانية بعد منتصف الليل. أم من سؤالها عن ستوديو (منصور) هذا؟؟

هز (أمجد) رأسه نعيًا وهو يحملق في ملامح الفتاة يتمعن كأنه يحاول أن يتذكر شيئًا ما وهو يقول:

- لا يا أمة. هو انا شفت حضرتك فين قبل كده؟؟

- ما اطلش. أنا ما شوفتكش قبل كدة. يبقى أكيد انت كمان ما شوفتليش.

قالت الفتاة عبارتها وابتسمت لأمجد ثم عادت للسلم ونزلت درجاته لتختفي من أمامه. أغلق (أمجد) الباب وهو ما يزال متعجبًا وبسخر خلقه لصادق و(سيد) اللذين بدوا أكثر تعجبًا ودهولًا منه ويقول:

- البنت دي أنا حاسس ابي شفتها قبل كده

- بنت مين؟

قالها (صادق) متسانلاً وهو سطر لأمجد كأنه مجنون هيجيب (أمجد)
بتناقبية وهو يشير نحو باب الشقة:

- التي كانت واقفه هنا تنسال على الاستوديو دي.

واقمة فين ي (أمجد)، مفيش حد كا واقف على الباب

بخطوات بطيئة سار (أمجد) نحو الأريكة وهو ينظر إلى الأرض في
ذهول و(صادق) يتبعه قائلاً:

- إنت كنت بتكلم مين؟

لم يعطه (أمجد) جواباً كأنه لم يسمعه أصلاً وهو يجلس على الأريكة
في شروء داهن. فجلس (صادق) بجواره وهو يهره قائلاً

-(أمجد).. (أمجد) إنت شفت إيه؟

ظلّ (أمجد) صامتاً في حين وقف (سيد) امامهم صائخاً:

لنوا عابرس تخوفوني تاني. مش كده. بس انا عارف إلك بتهرر ي
(أمجد).

رفع (أمجد) وجهه المقلّط إلى وجهه وهو يقول بجديّة:

- لو بهزر معاك يبقى اراي باب الشقة خُطّ لوجهه؟؟

نظر (سيد) إلى وجه (أمجد) العجاء بشكّ في البداية لكن وجهه لا
يتسم ولا يهمل. انه صادق بلا شك. ثم إن باب الشقة طُرق من نقاء

نفسه فعلاً. نظر (سيد) نحو الباب بخوف ورأسه تمليء بتخيلات مُرعبة لا حصر لها.

- إبت شفت إيه؟ ومين اللي انت كنت بتتخيل انك بتكلمها دي؟

ألقى (صادق) سؤاله بنبرة هادئة على (أمجد). كان يشعر أن الموقف متوتر بما فيه الكفاية فلا داعي للمزيد من العصبية كي لا يبرده احتقاناً. ثم إنه..

ثم إنه غير مقتنع أن في الأمر شيئاً مُخيفاً. هناك تفسير منطقي حتماً لما حدث، وهذا التفسير مع (أمجد).

- بست في العشرينات لابس فستان وبنسأل على ستوديو (منصور)، حاسس إني شوفت وشها قبل كده. بس مش عارف شوفته فين.

نظر (صادق) إل (أمجد) بجمود خارجي لكن اقتناعه الداخلي بدا بالترجح. (أمجد) يبدو صادقاً وواثقاً جداً مما يقول، فإما أن ما يقوله صحيح وإما أنه يحاول أن يخدعهم بمقلب، ولكن..

ولكنهم جميعاً سمعوا الطرقات. أما (سيد) فقد ازداد خوفه بجنون وهو يتابع الحوار الدائر أمامه. كان يعلم جيداً أنه لا خدعة ولا مقلب في الموضوع، خاصة بعدما تذكر موصوع الحمام لكنه يجب أن يقنع نفسه بذلك. من الأفضل له أن يكون صديقه شقيين من أن يكون الـ.

- أنا متأكد إنكم يتكذبوا عليا، انتوا لسة عايزين تهرروا، أنا داخل انام وساييكم. عايزني اخاف من العفارت، طب انا مش هخاف منها"

قالها (سيد) بصوت عالٍ كأنما يحاول أن يكبح جماح أفكاره هو شخصيًا، قالها ثم اتجه نحو غرفة النوم في عصبية، لكنه لم يكذب يخطو خطواته الأولى حتى جاء صوت طرقات عالية من غرفة النوم الرئيسية تبعها صوت طرقات من الطريقة المؤدية للحمام

انتمص الجميع في أماكنهم مع صوت الطرقات خاصة (سيد) الذي صرخ.

- إيه ده!!!!!! -

لم يكذب صدى الطرقات ينلأش حتى جاء من الممر المؤدي للحمام صوت رجل يصرخ، هنا هت (صديق) و(أمجد) واقفين منسعي الأعين، أما (سيد) فكاد يتعثر ويسقط وهو يتراجع بصرخ مرددًا بعض الآيات القرآنية بصوت مسموع.

- أنا مش فاهم حاجة؟؟

قالها (صديق) بتوتر فيه تلف (سيد) قائلًا بفصيح:

- هلستفادوا إيه لما تخوفوني؟؟؟

فتت أعصاب (أمجد) فجأة ليصرخ في (سيد) قائلًا:

- يا بني اهدد بقى قلبالك ده مش احنا، إبت ما بتهممش، ما احنا واقمين قدامك اهو ربنا ربك، استنى بقى اما تشوف آخره المصيبة دي إيه؟

اههار (سيد) تمامًا ويبدو كما لو كان على وشك البكاء وهو يقول:

- آخرتها ابي هاسيب المشقة بنت الكلب دي واسيبكم معاها.

خرس الكل فجأة حينما أتاها صوت طرقات عالية من الممر وكأنه يأتي من حوائط الممر بشكل طرقات، تبعه صوت صرير باب غرفة النوم الرئيسية. تجمدت عيونهم في فرع وهم يراقبونه ينفث ببطء، فجأة خرج شخص ما من الغرفة، شخص لا يظهر منه سوى سيلويت أسود وتماصيل لا تظهر ملامح وجهه

ولكنه بالرغم من ذلك نظر ال (سيد) الذي انشغل لسأله خوفاً، وصل الرجل إلى الغرفة الثالثة واختص فجأة، هنا استعد (سيد) قدرته على الكلام جزئياً وأشار بإصبع مرتجف إلى باب الغرفة الثالثة قائلاً بلسان شبه معوج من شدة الخوف:

- شفتوا؟

١٥. باب أوضة النوم انفتح لوحده.

فألها (أمجد) مجيباً فعاد (سيد) ليقول:

- لا، أنا باتكلم عن الرجل اللي خرج منه وراح عند أوضة الكراكيب

رد (صادق) بخوف:

- أنا ما شوفتش حد خارج من أوضة النوم.

وأكد (أمجد) كلامه قائلاً:

- ولا أنا.

اتسعت عينا (سيد) وهو ينظر إلى كل من (أمجد) و(صادق) قبل أن يتجه نحو الأريكة ليجلس ويقول وأيقامه تتلاحق بعصبية:

إنّوا عابرين تجنّبوني. يقولكم فيه راجل خرج من أوصة اليوم.

كان (أمجد) يصدقه ويرك جيّدًا ما يشعر به فقد مرّ مند دقائق
موقف مشابه. لذلك جلس إلى جواره ورت على كتفه وهو يقول.

- إهدى يا (سيد).

- أما لازم أمشي.

قالها (سيد) بعصية وتصميم فأجابه (صادق).

- مش لوحذك اللي هتمشي. بكرة كلنا بروج شقة تانية.

أكد (أمجد) على كلامه:

- وانا بكرة هارل للبواب واسلمه مفتاح الشقة واخذ منه الإيجار
اللي دفعناه

نظر (صادق) بخوف نحو غرف اليوم قيل أن يقول

- بس لازم نستنى لبكرة الصبح عشان نعرف بلم هدومنا.

أوما له (سيد) و(أمجد) برأسهما موافقة والآخر يقول:

- يبقى نستنى هنا في الصالة كلنا لعابة ما الهار يطلع.

تبدل الجميع نظرات صامتة بعد عبارة (أمجد) الأخيرة وكأنه لم يعد
في جعبتهم كلام يقال.

جلس (صادق) بجوار صديقيه على الأريكة بعد أن خاف أن يجلس بعيداً عنهما حتى ولو على المقعد المقابل. ودونما اتفاق. التقت أعين الثلاثة على نافذة الصالة التي يطل سواد الليل من خلف رجاجها وهم يتمنون في قرارة أنفسهم لو يلبد هذا الظلام سريعاً



فتح (أمجد) عينيه بثناقل وهو يجيلهما فيما حوله ببطء. استغرق بصع ثوانٍ ليدرك أنه في صالة الشقة وأنه كان نائماً في وضع الجلوس على الأريكة وجواره (سيد) الذي مال رأسه قليلاً إلى اليسار.

أما (صادق) - الذي يبدو أنه نهض من جانبها خلال الليل - فقد كان يغط في النوم هو الآخر على مقعد قريب وقد فرد ساقيه على المنضدة الصغيرة أمامه.

نهض (أمجد) بهدوء شاعراً بضعف خفيف في ساقيه ونشويش مضيق في عينيه من أثر النوم. سار بخطوات بطيئة نحو غرفة النوم الرئيسية ووقف أمام الدولاب ليقفح الصلصة اليسرى حيث وضع ملابسه.

أخرج قميصاً وسروالاً من الجينز وبدأ بخلع ملابسه. وهجأة شعر بشيء يتحرك عند المرأة الضخمة.

أدار (أمجد) رأسه بسرعة نحوها ليجد رجلاً يرتدي سروالاً بحمالة وقميصاً أبيض ويقف الرجل بداخل المرأة. ليس أمامها بل بداخلها. كأنه

النعكاس لشخص غير موجود. كان الرجل يولي ظهره لـ(أمجد) الذي اقترب من المرأة بخوفٍ وذهولٍ.

وقف (أمجد) أمام المرأة تمامًا وهو يتطلع إلى سطحها الذي يقف الرجل خلفه. قرَّب (أمجد) وجهه من السطح الذي تساقط الطلاء في بعض أنحاءه. رمش بعينه ليتأكد أنه لا يتوهم واقترب بوجهه أكثر. وفجأة، استدار الرجل خلفه لينظر إلى عينيه مباشرة. وقد ظهر وجهه المنيء بالجروح ورقبته التي تغطيها الدماء وقال بصوت عالٍ.

• امشوا من هنا.

انسعت عينَا (أمجد) عن أحدهما وتراجع بحركة حادة فارتدَّ فمه ليصرخ لكنه لم يجد صوتًا يخرج من حلقه. فوجيء برأسه يصطدم بشيء من الخلف فانتمص قلبه بقوة أكبر وشق وهو يستيقظ من نومه

يُظن (أمجد) حوله بدمولٍ مطلقًا إلى الصالة. تحمس مؤخرة رأسه التي اصطدمت بظهر الأريكة. كان (سيد) و(صادق) نائمين.

ستغرق بضع ثوابٍ ليسيطر على أنفاسه ويدرك أنه كان يحلم. مسح عرقه العربر وهو يهض. كان ما يزال يسمع صوت دقات قلبه عاليًا في أذنه وهو يوقظ صديقيه النائمين.

وقف (سيد) يراقب الماء الذي اوشك على الغليان في "الككة" التي وضعها أمامه على الباحور. سمع خطوات تقرب من باب المطبخ فتذكر موقف صبيحة أمس الذي صار متأكدًا الآن أنه لم يكن طبعيًا

دار (سيد) فجأة بحركة حادة ليجد (صادق) واقفاً هناك وقد بدّل ثيابه وارتنى ملابس الخروج.

- آيه يابني فيه إيه، خضعتي

تنفّس (سيد) الصعداء عند رؤيته وقال

- مانت يا عم اللي جاي تنسحب.

- إبت اللي بصيت وراك فجأة سرعتي، إحنا ماقصير لئش.

- قول لنفسك.

بنفاد صبر قال (صادق):

- خلاص خلصنا، بقولك إيه، (أمجد) نازل بكلم البواب وان هانزل

معاه، هو يتصرف مع البواب وأنا أروح للمعمار يجيبلك شقة النهاردة
عدشان لنقل فيها.

نظر (سيد) حوله قبل أن يقول له لأنما:

- وهتسيبونني هنا لوحدي؟

- ما تخافش، أديك عرفت ان الصبح مفيش حاجة بتحصل ف
الشقة.

قاله (صادق) ثم استدار وسار ميتعدا، أخذ (سيد) الكنكة وصبّ
الماء المغلي في كوب صغير ثم قلب الشاي والسكر وتناول الكوب ليخرج
من المطبخ.

سمع صوت باب الشقة يُفتح ويُغلق فجأة فنظر حوله بخوفٍ وشكٍّ،
فرغم كلمات (صادق) المطمئنة ورغم أنه رأى بنفسه أنه لا شيء يحدث
في الشقة نهذاً إلا أنه لم يُجرب أن يبقى بين هذه الحوائط المخيمة وحيثما
بعد ما حدث أمس.

حاول تمالك اعصابه التي عادت لتهازمه أخرى هور أن حط إلى
الصالة، فهناك، في ركنٍ بعيد على أحد المقاعد، ومرتدياً ملابس المبرل
كان يجلس (صادق).

ابتفض جسد (سيد) من المفاجأة قبل أن يتسمر في مكانه مُتخسباً
وهما عدا يده التي راحت ترتجف حتى كاد كوب الشاي يسقط منها بטר
له (صادق) بدھشة وهو ينهض مُقترباً منه متسائلاً.

- مالك؟؟

- إنت مش لسة قايلاي في المطبخ انتك بازل مع (امجد)؟

ارتسمت ابتسامة على شفتي (صادق) وهو يقول

- أنا قلت كده؟

- اه، وكنت لابس لبس غير ده كمان.

اتسعت ابتسامة (صادق) وهو يقترب من (سيد) الذي راح يتراجع
خوفاً متجنباً ببطء إلى المطبخ وهو يقول بصوت مرتجف:

- انت مين؟

- أنا (صادق) يا (سيد)، مالك؟

- لا إنت مش (صادق)، قول لي مين دكتور القانون الجاني في الجامعة عندنا.

نظر له (صادق) لقوان قبل أن يطلق صيحة ساخرة قصيرة ويقترب منه أكثر بخطوات سريعة وهو يقول:

- طبعا ما اعرفش.

فجأة ألقي (سيد) بالشاي المعلي في وجه (صادق) الذي أمسك وجهه صارخا بينما جرى هو الى المطبخ وألقى بالكوب الفارغ ليتشم على الأرض سمع (سيد) صوت (صادق) يماذي اسمه بغضب فأسرع بالتقاط سكين من على منصدة المطبخ واستدار ليوأجه (صادق) الذي وصل في تلك اللحظة عند الباب وقد بدا في عيني (سيد) غريبا مخيفاً بوجهه الأحمر من أثر الاحتراق والفعالاته العاضية وهو يصرخ:

- إيه اللي أنت عملته ده؟

اقترب (صادق) من (سيد) في نفس الوقت الذي أشهر فيه (سيد) السكين ليخترق طرفها بعمق يطن (صادق) الذي تراجع وهو يمسك بطنه متأبهاً وينظر إليها مفزوعاً.

هل طعنه (سيد) فعلاً؟ هل سيموت؟ هل... اختلطت الأسئلة والاحاسيس بداخله. الا انه لم يشعر بألم قوي في موضع الطعنة. كان هناك تميل خفيف جعله يتأكد أنه يحلم بالتأكيد.

لم يمر شريط حياته امامه كما في الروايات والأفلام، ربما لأنه لم يصدق او يستوعب أنه سيموت حقًا. بالأمس فقط كان يدخن ويضحك ويصنع المقالب والآن الدماء تخرج بهزارة كنافورة من بطنه.

هل اذا هم الكتاب فعلاً أم ان كلمات (سيد) عندما حذّرهم بأن مُرحلتهم ستقلب عليهم كالبيوة التي تحققت؟ هل كان هذا السادح يخطط للانتقام مهما يهدأ الشكل بسبب مقلب حقاً أم أن الشقة قد اصابته بالجنون؟ ولكن. ولكنها كانت مجرد مرحلة يا (سيد) مرحلة والله

ارتجفت يد (سيد) الممسكة بالسكين وهو ينقل بصره بين سيل الدم المتدفق من بين اصابع (صادق) الممسكة ببطنه ووجه الداهل المثلث وهو يقول:

معرفش اسم ائدكتور لـ. لاني مبررز، حش الجامعة انا وو. (امجد)
علشان كدة علشان كده جبناك تشرح لما با عي

لم يستطع (صادق) أن يقول أكثر من ذلك، لم يقو على أن يُعسر و يبرر او يسأل أو يلوم، حاول الاقتراب من (سيد) أكثر لكن نوارنه اختلّ فمسط على ركبتيه

حاول مرة أخرى الإمساك بملابس (سيد)، لا يدري ان كان يريد أن ينتقم منه أو ان يستنجد به، صحيح أنه هو الذي طعنه لكنه ما يرال صديقه وربما كان ما حدث خطأ غير مقصود من (سيد). برددت في دمه

العبارة التي خُيل إليه أنه سمعها من الهاتف "حُلي بالك من سيد". قد لا يزال يملك فرصة في النجاة إن..

طاشت يد (صادق) فلم يستطع الإمساك بـ(سيد). ثم حارت قواه فسقط على وجهه عند قدمي (سيد) الذي كان ما يزال يقبض على السكين بيده المرتعشة كأنما يحاول السيطرة عليها. راح ركن فمه يرتجف في حركة عصبية ولسانه المئمل لا يردد سوى جملة واحدة

- كل ده هراز. انتوا بتهرروا معايا كل ده هراز. انتوا بتهرروا معايا

بهده من لا يدري شيئاً عما جرى بالداخل. فتح (أمجد) باب الشقة ودخل وهو يقول رافعاً صوته كي يسمعه الجميع.

- البواب مصمم ما برجعش حاجة من الفلوس.

ما إن خطا (أمجد) داخل الصالة حتى وجد (سيد) يجلس هناك على الأريكة وفي يده سكين يزلله لأسفل. رفع (سيد) عيني ذاهلتين إلى وجه (أمجد) المدهش وقال بخفوت وبطم

- كنت فاكرك عقرت.

قالها (سيد) بلهجة ضعيفة مستسلمة كأنه يدافع عن نفسه. لم يصم (أمجد) شيئاً في البداية وهو ينظر بدهشة إلى وجه (سيد) المنصعل

عن الواقع ثم يهبط بعينيه إلى يده فيستبه إلى المسكين التي يقطر الدم من
طرفها المدبب.

اتسعت عيانه تدريجيًا وقد خُيِّل إليه أنه فهم. حاول عمله أن يرفض
ما «ستوعبه وهو ينادي على (صادق)، دخل عرف اليوم ليقفدها بلهفة
ثم جرى إلى المطبخ ودخله و..

لا يعرف (أمجد) كم مرَّ من الثواني أو ربما الدقائق وهو واقف متسع
العينين على باب المطبخ ينظر إلى الجسد الملقى على وجهه وسط بركة
صغيرة من الدماء.

ظلَّ عقله متمسكًا بفرصية أن هدد الجثة فد لا تكون لصديقه رغم
ملايسه وشعره وهيئته التي يعرفها جيدًا هبط. أو سقط (أمجد) على
ركبتيه بجوار الجسد ليقبّله. ليرى الثقب الدامي في بطنه. ليرى وجه
(صادق) الشاحب وجفنيه المطبقين. نادى عليه (أمجد) بذهول وهو
يهره بلوعة رغم معرفته التامة أنه لن يرد ولن يستجب.

- (صادق).. (صادق).

سمع (أمجد) صوت خطوات تقترب فرفع عينيه إلى باب المطبخ ليجد
(سيد) واقفًا هناك ينمى النظرة الذاهلة المغيبة في عينيه. المسكين لا
يزال في يده ينمى الوصعية ونفس الجملة لا ترال تتردد على لسانه

- كنت فأكره عفرت.

صرخ فيه (أمجد):

- أنت اتجننت . إيه ألي انت عملته ده!!

اقترب (سيد) منه أكثر وهو يقول:

أنت مش هاتصدفني وهاتقولهم إني قصدت أقتل (صادق)

انتبه (أمجد) مرة أخرى للسكين في يد (سيد). نسي أمر (صادق) والشفقة وكل شيء تقريبًا وأصبح همه وحوفه الوحيد هو السكين التي يمسكها (سيد) والذي ما عاد يعرف ما يدور في رأسه ولا ما يمكن أن يُقدم عليه. يخوف نقل (أمجد) بصره بين وجه (سيد) والسكين التي يحملها ونهض وهو يقول بارتباك:

- سيب السكينة ألي ف إيدك دي يا (سيد)

- إنت متشهد إني قتلته يا (أمجد). وأنا مش السبب. إنتوا ألي بتحبوا تهرروا. بمن هراكم قلب بعد.

تذكر (أمجد) العبارة التي قالها (سيد) أمس. هل كان (سيد) يخطط لهذا من البداية! مستحيل. (سيد) الصاذج الطيب الذي يخاف من خياله. لا. لا بد أنه الكتاب. أو الشقة. لا يمكن أن يكون كل هذا بسبب مزاحهم معه بالأمس. لا يمكن أن يبلغ انتقامه منهما حد القتل!

- محدش هزر فينا دلوقتي يا (سيد).

قال (أمجد) عبارته وهو يوقف عقله عن التفكير في دوافع (سيد) المهم الآن هو تعاشيه أو مواجهته بأي ثمن. فجأة وبياس أعطى (أمجد)

ظهره لسيد وهو يبحث بيديه عن أي سلاح على منضدة المطبخ ليدافع به عن نفسه كحركة غريزية.

لكن يديه توقفنا وعيبيه اتسعتا فجأة وهو يشعر بالسكين تخترق ظهره بعنف. دار مواجهتها (سيد) الذاهل. بدا الألم واضحاً على وجهه وهو يقول بحزن:

- ليه !!

دمعت عينا (سيد) وهو ينظر إلى (أمجد) الذي راح يتنفس بصعوبة وهو يستند إلى منضدة المطبخ. فجأة تعلقت عيناها بنقطة ما خلف (سيد). إنه يراه الآن. ذلك الرجل الذي رآه داخل المرأة في حلمه. كان ينظر له ول(صادق) المهت.

رفع (أمجد) يده ناحية الرجل كأنه يشير إليه لكن صوته لم يخرج من حلقه. بالضبط كما حدث في الحلم سالت دموع (سيد) بعراة على وجهه وهو يرى صديقه الثاني يسقط قرب الأول والسكين التي قتلتهما بها منفرة في ظهره.

لم يستطع (سيد) أن يعدد ما إذا كان ذلك خوفاً أم حزنًا. لكن شمنه راحتا ترتجفان ودموعه تهطل بلا توقف وهو يراقب صديقيه الملقبان على أرض المطبخ وسط الدماء. لا زال لا يصدق أنهما قُتلا. وأنه هو الذي قتلتهما.

لا يرأى وجه (سيد) يحمل ذلك التعبير المتأزج بين الخوف والحرن.
كان ذلك التعبير صارقناغا ملتصقا بوجهه لكن (سيد) الآن ليس واقفا
في المطبخ ولا في الشقة كلها. انه جالس في غرفة وكيل النيابة الذي جلس
خلف مكتبه وبجانبه الكاتب الذي يدون المحضر

- لسة مصمم على كلامك يا (سيد)؟؟

لم نجيب (سيد) ولا حتى نظر لوكيل النيابة الذي عاد يقول-

- مش هيفيدك انك تقول ان الشقة مسكونة. الكلام ده مش
هيفيلك نتحول لمستشفى الأمراض العقلية لو انت فاكر كده اعترف
وقول السبب الحقيقي اللي حلاك تفنل (امجد إبراهيم) و(صادق
المسيد).

أدار (سيد) عينيه ال وكيل النيابة وهو يقول بنصميم ونصوب
مرتفعش خانف.

- الشقة مسكونة.

الحكاية الأولى

عام 1936 - القاهرة

كانت (قاهرة) الثلاثينيات تختلف كل الاختلاف عن (القاهرة) التي
براها اليوم. خاصة في منطقة وسط البلد. صحيح أنها تحمل نفس
الهيكل العمراني والمعصري تقريبا الا ان الاختلافات كانت في كل ما عدا
ذلك في المتاجر. في اشكال الناس وملابسهم. في كمية السيارات المارة
بين الطرقات.

بل وفي نوعية تلك السيارات نفسها وبما ان شارع (عماد الدين) الذي
اخذ اسمه من اسم شيخ مشهور عاش في حقبة الممالك بالمحروسة
قديمًا يقع في منطقة وسط البلد فقد كانت تلك القاعدة تنطبق عليه
هو كذلك

في شارع جامي وعند مدخل البناية رقم 2. ستشاهد شطرًا صغيرًا من
الشارع الذي بد شبه خالٍ في ذلك الوقت المبكر من النهار. على اليسار
سيارة (كاديلاك) موديل السنة توقفت امام متجر صغير للخردوات.

وعلى اليمين عربة فول وُصع عليها القدر الكبير وبضعة أطباق تمنىء
بالملائح والسلطات والمخلل وأرغمة كبيرة من الخبز وقد وقف صاحبها
حنفها مهمكًا في عزف فوله الساحر في الأطباق التي ترد إليه من رباته
الذين توقف بعضهم أمامه ليتناول افطاره واقفا.

تمر امام المدخل سيارة (مرسيدس) سوداء تتبعها بمسافة كبيرة عربة
حنطور تسير ببطء مع البغمة المميرة لاصطكاك الخلي التي تربها هي
وحصانها ببعضها البعض

على الرصيف. هناك عدد قليل من المارة من بينهم فتاة مصرية
رشيقة تردي فستانًا بسيطًا وأخرى دلُّ شعرها الأشقر على أوروبيتها يسير

بعوارها رجل يرتدي حُلَّةً وقُيَّةً، على مقربة منهما يسير رجل آخر كبير السن يرتدي جلبانًا وطربوشًا وحذاءً جلديًا.

أما تلك المرأة الجميلة ذات "اليشمك" فقد مضت تنهّدي بملاءتها المحبوكة جيدًا حول جسدها الممتلئ حتى وصلت إلى بقالة صغيرة على اليمين ووقفت للشترى بعض الطعام وهي تحدث البائع بصوت رفيع.

برغم أن البناية رقم 2 في شارع جانبي إلا أن لها عراقة ببايات شارع عماد الدين) الرئيسي. حيث يعود تاريخها إلى عام 1914 لذا فهي مبنية على الطراز الكلاسيكي الذي ميّز القاهرة الخديوية.

مكوّنة من 6 طوابق يبلغ ارتفاع الواحد منها قرابة 4 متر، أي ما يعادل حوالي طابق ونصف من البنايات الحديثة، وقد ازدادت بعدد من الخزاف والتمائيل الصغيرة المنحوتة على هيئة وجوه بشرية وملائكة مجنحة.

في تلك البناية العريقة يطواقها السنة. وفي تلك الشقة في الدور الثالث، الشقة التي تحمل رقم "9"، فهنا تعيش أسرة الحاج (عبد الباقي) العطار والتي تتكون من الحاج نفسه وزوجته وطفليه الصغيرين.

أما زوجته (عريزة) فقد استبفظت اليوم كعادتها. غادرت الفراش النحاسي المرتفع ذا الماوسية ببطء حتى لا توقظ زوجها النائم وتوجهت إلى المشجب الذي النقطت من عليه جلبانًا مزليًا ارتدته بعد أن خلعت قميص نومها وعلّقته مكانه ثم وقفت أمام المرأة لتمشط شعرها الأسود الكثيف وتعقسه في صغيرة طويلة تصل حتى خصرها.

ورغم النعمة الربعية في وجهها وخُذوه تقرباً من الرنة إلا أن الجمال بدا واضحاً عليه. تماماً كحسدها المنفوف الممتلئ الذي لم يصلح جلبها المرلي. لتواسع في مداراة مقانته بشكل كامل.

غادرت غرفة النوم واعلقت الباب وراءها بهدوء ثم خرجت إلى الصالة وتوجهت كفادها إلى "الجرامافون" الموضوع على منصة جانبية صغيرة من الخشب المرخرف.

أدارت الدراع الجانبية له ثم وصفت الإسطوانة ليخرج منه صوت المطرب الذي كان مشهوراً وقتها (صالح أحمدي عيد الحّي) راحت (عربرة) تهر رأسها وتندس بخفوت مع أغنية "ليه يا بفسج" التي أبغثت من بوق "الجرامافون" لئلا صالة الشقة الواسعة التي راحت تنطقها بسرعة وخفة وهي تهر رأسها مع لحن الأغنية قبل أن تنجّه إلى الطرفة الجانبية وتدخل إلى المطبخ لتبدأ في إعداد طعام الإفطار.

كان الكل ما يزالون نياماً وصوت (صالح أحمدي عيد الحّي) ما يزل بصدح في الصالة حين خرجت إليها (عربرة) تحمل أطباق الفول والملافل والبيض ولخبير لتضعها على مائدة السمرة الضخمة والتي أردأت هي ومقاعدتها الثمينة برخارف محمورة في الخشب الثقيل. حين انتهت من رص المائدة أخيراً.

اتجهت إلى غرفة نوم طفلها. (مصور) ذو التسعة أعوام و(سعيد) الذي يصغره بعامين. لتوقظهما بهص الصبيين متكاسلين واعتسلاً بسرعة برشاش أمهما ثم ذهبا ليجلسا على المائدة ليتناولوا طعام الإفطار ويتبادلوا البكات الصبيانية بصوت حميص

- يلا خالصوا ألكلوا بسرعة عشان اصغي أبوكوا يفطر

تزامنت جملة (عزيرة) تلك مع صوت دقات الساعة العشبية الكبيرة ذات البندول معلنة عن تمام الساعة صباحاً.

نهض (سعيد) اثر جملة والدته على الفور في حين راح (ملصور) بحشر بعض قطع الفلافل في فمه ليتكور خذيه بشكل مضحك قبل أن يندفع حلف أخيه نحو الحمام كي لا تراه أمه التي لمعته رغم ذلك.

- يا واد قلت لك مية مرة ما تحشرش الأكل في بُقك. كده عيب اخشعي.

قالتها (عزيرة) وهي تنجبه إلى غرفة النوم الرئيسية لتوقظ (عبد الباقي) وتهزه برفق قائلة:

- الفطار جاهز يا حاج.

فتح (عبد الباقي) عينيه واعتدل ليتمطر بقوة وهو يقول:

- العيال فطروا؟

- فطروا يا خويا وبجهزوا عشان المدرسة.

قالتها (عزيرة) وهي تفتح الدواليب الكبير وتلتقط منشفة نظيفة ناوحتها لـ (عبد الباقي) الذي خلع جلباب النوم ليظهر من تحته سرواله وصديريته الداخليين، وضع المنشفة على كتفه ونهض وهو يتسحج بصوت قوي من اثر المعسل الذي يتناوله كل ليلة.

خرج من الغرفة متجهاً إلى الحمام وهو ما يرآل متنحج بصوته الأجلش
الذي كان يرعب (منصور) و(سعيد) ويدفعهما إلى المرار إلى عرفتهما
احتراماً

خرج (عبد الباقي) من الحمام إلى مائدة الطعام مباشرة وهو ما يرآل
بالسروال والصديري. أما (عزيزة) فقد جلست إلى جواره وراحت
تماعده وتقرب له الأظباق.

- عالي قوي البتاع ده.

فأثا (عبد الباقي) مشيراً إلى "الجرامافون" فقالت (عزيزة).

- أهو بيمسلي وانا قاعدة لوحيد.

- أبقي شغلية بعدين لما انزل. ياوليي القلة

ناولته (عزيزة) القلة فشرب حتى ارتوى ثم نعض يديه وهو يهض
فأسرعت (عزيزة) لنقول:

- ما تفعد تكمل يا حاج، مش أكلتك

- مصاريني وجعاني شوية هيفي أكل أي لقمة بعدين. عايز الحق أروح
الوكالة عشاي ورايا شعل كثير لازم أخلصه قبل ما أسافر.

- تسافر؟

أه. عندي سفرة بعد بكرة لـ (بورسعيد)

- سفرة إيه خير؟

- وَجَّي يس البتاع ده الأول.

قالها (عبد الباقي) بتذمر وهو يتجه إلى الحفام. أما (عزيرة) فقد استبد بها العصبول وهي تسرع لخفض صوت "الجرامافون" قبل أن تلحق به (عبد الباقي). الذي انتهى من غسل يديه واتجه إلى غرفة النوم. لتساعده في ارتداء ثيابه مُحاولَةً إخفاء الفضول واللفه في صوتها وهي تفتح الدولاب لتتناول جلباب خروج دا لون بني داكن ونقول:

- إيه حكاية السفرده يا حاج؟

- شغلانة كده ممكن توسع علينا وتدخل لنا قرشين كورسين.

- شغلانة إيه؟

قالتها (عزيرة) وهي تساعد (عبد الباقي) في ارتداء وهدمة جلبابه في حين قال هو:

• وساطة بين جماعة فلاحين في (طنطا) وناجر في (بورسعيد) هتاخذلها جمعة.

تغير وجه (عزيرة) قليلاً وارتسمت نظرة غريبة في عينيها حاولت إخفاءها وهي تشرح بوجهها بعيداً لتجلب عبائه السوداء من على المشجب ونقول:

- وهتقعد كل ده بعيد عننا يا حاج؟!

- ما تفقيش ، أنا هبقى اكلمك كل يوم في التلافون، أو يوم آه ويوم لا.
حسب الظروف، أو مال أنا دافع العلوس دي كلها ليه علشان ادخل
التلافون، منظره على الفاضي.

بد وجه (عريرة) غربيا وهي تقف خلف (عبد الباقي) لتضع العباءة
على كتفيه وتتركه لتأتي له بالشال في حين اتجه هو إلى طاولة الرينة
والتقط مشطه الصغير ليُسْخَب به شاربته الضخم.

- وهتروح (طبط) كماں ولا الشغلانة كلها هنخلص من (بورسعيد)؟

قالتها (عريرة) وهي تناوله الشال الذي وضعه على كتفه وهو يقول:

- لا طبعا لازم أروح (طنطا) عشان اتفق مع العلاحين ببصمي

- والبي كان بصمي أجي معاك يا حاج.

قالتها (عريرة) ببرة شبه متحمسة وهي تنحني لتناول حذاء (عبد
الباقي) الأسود الضخم وتقوم بتنظيمه وتلميعه بسرعة ومهارة في حين
يلتقط هو طربوشه ليرتديه ويقف ليعدله أمام المرأة وهو يقول ضاحكا.

- محدش بيأخذ نسوانه في سفرة زي دي يا ولية.

كانت (عزيرة) قد انتهت من الحذاء فأجلست (عبد الباقي) على
الفرش وجئت أسفل قديمه لتلبسه إياه وهي تقول مبتهمة:

- مانا عارفة يا خويا، أنا بس كان بصمي ارور (المسيد البدوي) واقراه

القاتعة

انتهى (عبد الباقي) من ارتداء حذائه ففحص ورت على كنفها ميتسما
وهو يقول.

- معلش أبقي أقرأها لك انا.

- أمانة والذي ما تلساش.

قالتها (عزيزة) وهي تلتقط زجاجة عطر من على طاولة الريسة راحت
تقطر منها على ملابس (عبد الباقي) ويديه ووجهه حتى أبعدها عنه
ضاحكا وهو يقول:

- كفاية يا (عزيزة) هاتخنق. هو أنا رايح اخطب.

ضحكت (عزيزة) بدورها وتبعته وهو يخرج من الغرفة إلى الصالة
ليجدا (منصور) و(سعيد) يقفان هناك بملابس المدرسة المكونة من سترة
وسروال قصير وطربوش. وقد ابغى (منصور) على ركبته ليساعد أخاه
في ربط حذائه.

ما إن رأى الاثنان والدهما وهو يخرج إليهما متنحنحا بصوته القوي
كهادته حتى اعتدلا في ثبات كأنهما يقفان في طابور الجيش أمام (عبد
الباقي) الذي قال بصوته الأجش:

- إنت لسة هنا ياد انت وهو. يلا منك ليه هتتاخروا على المدرسة.

أسرع الصبيان بالتقاط حقيبتيهما الجلديتين واندفعوا نحو باب
الشقة ركضًا وهما يقولان:

- حاضريا بابا.

اما (عبد الباقي) فقد صحك على منظرهما وهما يوشكان على السقوط و الاضطدام ببعضهما البعض ثم راح يداعهما كأنه يسوي صريرهما بطرف عباتته وهما تنمايقان للخروج من باب الشقة في لحقيقة لم يكن (عبد الباقي) من النوع الذي اعناد على صرير انثاته ككثير من الأبناء.

لهم إلا مرة او اثنتين بسبب أخطاء لم يكن من الممكن النفاصي عنها أو جعلها تمر مرور الكرام فيما عدا ذلك فهو يكاد لا يمد يده عن أحد منهما، بل ويحاول بقدر الإمكان تلبية أغلب طلباتهما التي تكون في مقدوره وضمن إمكانياته.

رغم ذلك كله فقد كان الولدان يحملان في نفسيهما قدرا كبيرا من لرمية تجاهه، ربما بسبب طوئه المارح وشاربه الصمغ، أو بسبب كفيه العريصتين وصوته الأجش القوي، المهم أنهما يحملان داخلهما احترامًا بالغًا له يكاد يصل إلى حد الخوف ولكنه ليس كذلك، فبالحب في د خبهما يغلب الخوف دائمًا.

انجه (عبد الباقي) لباب الشقة هو الآخر وهو يقول لـ (عزيرة).

- مش عايزة حاجة اجيها لك من السوق وأنا جاي؟

ابتمت له وهي تقول:

- ش شافته تسم، إنت مغلبي باقصا حاجة!

- أنا كده كده هبعثلك الواد (صالح) بعد الصبر يشوفك إن كنتي

عايزة حاجة.

اتسعت ابتسامة (عزيرة) وهي تقول:

ماشى يا حاج، خلى بالك انت بس على نفسك. ربنا يفتح في وشك
كل المسكك المقفولة يا رب.

- ربنا يكرم.

قالتا (عبد الباقي) وخرج من المشقة فانتظرت (عزيرة) حتى غاب عن
ناظرهما وأغلقت الباب خلفه.

إلى الشارع الهادئ نزل (منصور) يلعبه (سعيد) حاملين حقيبتيهما،
متجهين إلى المدرسة. ورغم الازدياد النسمي في كمية الواقفين والمارة في
ذلك الوقت، إلا أن الشارع ظل شبه خالي.

من بين الواقفين كانت هناك فتاة صغيرة ضليقة الجسد تقف أمام
مدخل البناية محتضنة حقيبتها المدرسية. ببضاء الوجه خصواء العينين
ذات صفائر سوداء طويلة، ملامعها الجميلة رُسمت بوضوح رغم حداثة
سنها الذي يقل بعام واحد عن من (منصور) الذي توقف ليحييها
بابتسامة واسعة قائلاً:

- صباح الخير يا (أميمة).

- صباح النور يا (منصور).

تلك هي (أميمة) ابنة (الطفي) اخندي الذي يقطن في الطابق الخامس.
كانت ابتسامة (أميمة) الواسعة تشرق عن روحها الرقيقة المرححة

وسعادتها بلقاء (منصور) في نفس الوقت أما (سعيد) فقد كان خجولا
مطرق الرأس كهادته، لذا (أميمة) هي من بداته بالتحية فأنه.

- أزيك يا (سعيد)؟

- الحمد لله.

فألها (سعيد) بانسامة مرتبكة ووجه محمر كهادته كلما حاطبته
فتاة، لم يكن من عادته الاختلاط بأقرانه الإناث أو حتى الذكور لخلعه
وابطوانه الشديد. على عكس (منصور) الذي كان اجتماعيا يحب اللعب
والاندماج. خصوصا مع (عادل) صديقه وشقيقته (أميمة) التي جمعه
بها خب طمولي وصداقة برينة منذ انتقلت مع أسرتهما إلى البناية منذ
ثلاثة أعوام.

- بادا امبارح اشتراي كيس بلي جديد حلو أوي، البلي اللي فيه كبير
جدا، أكبر، أكبر من التفاح.

ضحكت (أميمة) برفقة وهي تقول.

- يا سلام، بقي فيه بلي برضه أكبر من التفاح

- أه لما بطلع نلعب الهاردة هوريهولك، وانتي ابقني هاتي النبي بتاعت

- ماشي. بس انا مش هيبغ اطلع بعد الغدا ري كل مرة عشان ماما
عايزاني ارتب أوضتي الهاردة.

بخيبة أمل قال (منصور):

يعني مش هنلعب، أنا كنت عاير أوريكي البلي

لأما أنا ها هي بمن بعد ما ارتب الأوضة الأول.

- بس اوعي تتأخري.

- ماشي.

- أمال فين (عادل) صعيح؟

أطلقت (أميمة) صعكة قصيرة وهي تقول:

قصدك (عادل) أعندي. فوق بيتشيك وضبط رد الطربوش.

كاد (منصور) ببادلها الضحك لولا ظهور والدها وشقيقها في تلك اللحظة خارجين من مدخل البناية. كان الابن، والذي يشبه والده بشدة، قد حوّل نفسه إلى نسخة مصفورة من أبيه، بنفس المشية البطيئة المتعشبة قليلاً، والنظرة الهادئة الباردة نوعاً

كتم (منصور) ضحكته وهو يرد على نعية (عادل) و(لطفى) أفندي الذي افتاد (أميمة) إلى سيارته ليقبّلها كمعادته إلى مدرسة الراهبات التي ترتادها في (شبرا). قبل أن يتجه إلى عمله في مصلحة المساحة

أما (عادل)، فقد انضم إلى (منصور) و(سعيد) في طريقهم إلى المدرسة وهم يتجاذبون جميعاً أطراف الحديث.

في الرابعة وعشر دقائق تماماً، وقف (منصور) أمام درج مكتبه الصغير ليجمع كل البلي المتناثر في أرجائه بحماسة وهو يقول لأخيه:

• ما تيجي يا (سعيد) تلعب معنا.

- لا يا عم، أنا ما بتعيش مع بنات.

قالها (سعيد) مداعباً دور أن يرفع عيبيه عن مجلة (البعكوكة) التي
يتصفحها بين يديه في حين عاد (منصور) بعد أن انتهى من جمع كل
البلي الموجود في الدرج في كيس صغير، يقول:

ما (عادل) جاي يا ابني، تعالى بقى وبلاش غلبة

-(عادل) ده بالدات أنا مش بحب اللعب معاه، ما بيعجيوش العجب،

إما ياخذ كل البلي بتاعي عافية أو يهمل أعرصة أما يخسر.

- على كيمك، بمن خليك بقى صاحي عشان تمتع في الباب اما أرجع

أحسن بايا ومام ناموا، عارف يا واد لو تمت انا مهمل قبك يه، هرنك
عنة سخنة ما أكلهاش حماري مطلع

قالها (منصور) بلهجة جادة وقد ثبتت عيبيه المتسعين في عيني أخيه

الصغير الذي انتابه الخوف فعلاً وهو يتساءل يخفوت وضعف

• بعد ٢٢

- أنت صدقت يا عبيط، أنا بضحك معاك.

قالها (منصور) مداعباً وهو يضحك قبل أن يخرج من الغرفة لي

الصلة متجهاً إلى باب الشقة ليعنجه ويخرج ثم يفلقه حلمه بهدوء كي لا
يوقظ والديه، أو والده بمعنى أصبح، فهو صاحب الصوت الأعلى واليد

الأكثر حشونة في المنزل، وهو الذي يستحق أن يخافه بحق. بعكس الأم
المستكينة المغلوبة على أمرها أغلب الوقت

(عادل) في العاشرة من عمره، أي أنه أكبر من أخته بعامين وأكبر من
(مبصور) ببضعة أشهر فحسب. ورغم ذلك القارق الصليل بينهما في
المن، والذي وضعه مع (مبصور) في نفس الصف الدراسي.

إلا أنه، ومنذ وصل إلى الرقم 10، فقد اعتبر نفسه أكبر وأعلى من
مستوى لعب أخيه و(مبصور) و(سعيد) إذا قرر المشاركة، وذلك بحكم
الخبرة الزائدة التي أضففت لعمره وأشعرته أنه صار أهم وأكبر من بقية
أصدقائه بكثير.

وما هو (عادل) يخرج من شقتهم واضعاً كتاباً مدرسياً تحت إبطه
والطربوش فوق رأسه، ليسير بهدوء وببطء مُقلداً الكبار. ومتبوعاً بأخته
التي كتمت صحبتها من مظهره وهي تقول لـ (مبصور):

• ماما بتقول نلعب هنا في العمارة وما ننزلش في الشارع.

• ليه؟ ما احنا طول عمرنا نلعب تحت.

• بتقول عشان (عادل) يعرف يذاكر دروسه، لأنه مش هيعرف يركز في
الدوشة تحت.

• أما غريبة صحيح، طب ما يقعد في أوضته يذاكر

• لأهو عايز ييجي معانا.

- ويبيحي ليه أدام مش هيلعب.

قالها (منصور) بتأفف واعتراض فرفعت (أميمة) كتفها علامة الحيرة في حين تجاهبهما (عادل) تمامًا وهو يخرج كرسيًا خشبياً صغيراً ويضعه على بسطة السلم ليجلس عليه واضعاً ساقياً فوق ساق ويبدأ في قراءة كتابه. مُقلِّداً والده حين يقرأ الجريدة كل صباح.

ورغم اعتراض (منصور) على ما يحدث إلا أنه سرعان ما يسييه وتجاهله وهو يخرج بليه الكبير من الكيس ليريه ((أميمة)) بلهفة فائلاً:

- عمرك بقى شفتي بلي أكبر من كده.

- بقى ده أكبر من التفاح يا (منصور)، ده حرنكش.

قالها (أميمة) ضاحكة وهي تُخرج بليها بدورها فيبادلها (منصور) الضحك هو الآخر. وسرعان ما أهمكا في اللعب والضحك والتحديث

كانت (أميمة) هي الشخص الوحيد الذي يسمح له (منصور) بالسخرية منه وقتما شاءت. ذلك لأنها من بين أصدقائه جميعاً، تحل في قلبه الصغير مكانة لم يحتلها أحدٌ قبلها

- يلا يا (منصور) خلّص أكلك، عشان تعشوا تماموا وواعوا نخرجوا من الأوضة.

فالت (عزيزة) العبارة وهي تقف على رأس (منصور) و(سعيد) وهما يتناولان طعام العشاء في المساء بعد أن سافر (عبد الباقي) إلى

(بورسعيد) صباح نفس اليوم. بدا التدمير واصبغا على وجه (منصور)
وهو يقول:

- لا يا ماما بقى عايزين نلعب شوية.

- اللي بينام بدري ربا بيعبه. زي كده ما اللي بيخلص طبقه كله
عشان يدعيه.

باستنكار طفولي قال (منصور):

- الطبق ما بيعرفش يتكلم هيدعي ازاى.

- هيدعي وانت مش سامعه يا حبيبي.

ظل (سعيد) يتابع الحوار الدائر بينهما وهو يوضع الطعام في صمب
ناقلا بصره بين امه التي راحت تنظر إلى الساعة الكبيرة المعلقة على
الجائط بقلق و(منصور) الذي بدا عليه عدم الاقتناع وهو يعود ليقول:

- طب وانتي يا ماما هتنامي دلوقتي؟

- لا.

- ليه؟

- عشان انا لسة ورايا مشغل كتير في البيت.

- ومش عايزة ربا بيهك.

زفرت (عريزة) بنفاد صبر وبدا عليها القليل من العصبية وهي تقول

- (منصور). حُلِّصَ أكلك وقوم اغسل ايديك ورجليك عشن سام والا والله أقول لأبوك لما يبجي من السمر انك ما كنتش بنسمع الكلام وهو بقى يبقى يشوف له حل معاك.

رَمْ (منصور) شفتيه في صبيق وأبى طعامه بسرعة ثم بوجه مع أحبه إلى الحمام للاغتسال. ومن ثم إلى غرفة النوم حيث اندسأ تحت الأغطية التي حبكتها (عزيرة) حول جسديهما كل في فراشه الصغير.

لم يكن لدى (منصور) و(سعيد) أدنى فكرة عما تفعله امهما بالخارج وربما ما كانا ليمهما ما تفعله حتى لو رأياه بأعبيهما. هي في الحقيقة لم تكن تكذب حين قالت إنه ما يزال أمامها "شغل كثير"

أول ما فعلته هو أن قامت بوضع اسطوانة (سيد درويش) في "الجرافون" لتخرج أغنية (أنا هويته وانتهيت) من بوقه الواسع. اتجهت بعدها إلى المطبخ وهي تدندن مع الأغنية باستمتاع لتتنازع القنبر الذي كانت قد تركته على الباجور مدة وتريح عطاءه لتقلب محتوياته.

ثم تخرج إلى الصالة لتقوم بترتيبها بسرعة كعادتها قبل أن تنجه إلى غرفة النوم وتفتح دولابها لتتلقى قميص يوم أبيض شفاف وترتديه بعد أن خلعت جنباتها المتزلي الواسع. وقفت امام المراة وهي تحل ضميرتها الطوبى لينساب شعرها الأسود الكثيف على كامل ظهرها وذراعيها العاريتين.

ظلت (عريزة) واقفة أمام المرأة لتمشط شعرها وتصب على وجهها
بصع لمسات من الرينة. لمسات قليلة لا تنعدي القليل من البودرة
والكحل وطلاء الشفاه. لتلتقط بعدها زجاجة العطر الوحيدة التي
تملكها وتقطر منها بسخاء على جسدها ثم تنهي كل هذا بلمستها الأخيرة.

وهي قرص كل خد من خديها بقوة كي يحمر وجهها. سمعت تلك
الطرقات القادمة من جهة باب الشقة. طرقات خفيفة قليلة لكنها كانت
كافية كي تنتقلها أذن (عريزة) التي أسرع نحو الباب وكأنها في انتظارها.
عدلت من ثيابها وشعرها بسرعة قبل أن تفتح الباب بلهفة وتطالع ذلك
القادم الذي يزورهم في ذلك الوقت. ذلك القادم الذي لم يكن سوى
(صالح). صبي الحاج (عبد الباقي) زوجها.

(صالح) يملك العديد من الصعات والمهارات التي أهله لا ليكون
صبي الحاج (عبد الباقي) فحسب. بل ذراعه اليمنى التي يستعين بها في
كل شيء تقريباً من أدق دقيقة في محل العطارة الكبير الذي يملكه إلى
شراء متطلبات منزله وخدمة أهل بيته أحياناً.

وقد كانت السرعة والدقة من أهم الصفات التي جعلت الحاج يغازله
ليكون صبيه. أما وسامته وصغر سنه فهي ما جعلت (عريزة) تقع في
حيالته. لكن أهم صفة على الإطلاق. والتي نستطيع أن نقول إنها أثرت
على كثر من (عبد الباقي) و(عريزة) معاً هي أن (صالح) كان نبقاً. حلو
اللسان.

يقف هناك خلف الباب. مبتسماً كعادته. وما إن رآته (عزيرة) حتى
هشّت وبشّت كعادتها أيضاً وهي تُدخله بسرعة وتُنظر يمينا ويساراً قبل
أن تغلق الباب خلفه بهدوء

وحشيتيني

قالها (صالح) لـ (عزيرة) وهو بهم تقبيلها لكنها راوعته وهي تمول
هامة:

• شششش.. وطي صوتك.

عاد يحاول تقبيلها مرة أخرى وهو يمسكها من ذراعيها ليصمها قائلاً.

• مش العبال باموا؟

• أيوه بس

• ما نبشش، أنا هويته وانتهيت

قالها (صالح) مدبناً مع الأعمية الصادرة عن "الجرامافون"، والتي
كانت (عزيرة) تشغلها في كل مرة ياتيا هها. مثلثاً عينيه في عينيها بتلك
الطريقة التي تجعلها تذوب كاللبن بين أصابعه لكنها تماكنت نفسها وهي
تجذبه إلى غرفه نومها قائلة:

• طب يلا على جوة أحسن حد من العبال يصحها ويشوفك

استسلم ليدها وهي تسحبها إلى الغرفة وتغلق الباب خلفهما لتتمسك
هي بين ذراعيه وهو يعتصرها برقق ويدفن فمه بين شفقتها وهي تن من
اللذة. مطمئنة إلى البابين المغلقين اللذين يقصلاهما عن ولديها المانمين.

لكن ما لم تدركه (عزيزة) هو أن أحد هذين اليائس كان مردودًا وليس
مفلًا. كان ذلك هو باب غرفة الطفلين والذي وقف (سعيد) خلفه لمدة
ليست طويلة كماية كي يرى أمه بين أحضان عشيقها. ولكن كي يرى ذلك
العشيق - الذي لا بمثل له سوى كونه (صالح) الذي يرسله والده له
بالعلوى أحيانًا - وهو يدخل إلى منزلهم في ذلك الوقت من الليل في غيابه

لم تكن (عزيزة) قد امتنعت بعد ما يكفيها من رحيق عشيقها
الوسيم. الذي يصغرها بعشر سنوات. بعد ولكنها على الرغم من ذلك
تملصت منه برفق وهي تقول:

- مش اروح أجيب الأكل بقى عشان نتعشى

بلهجة عايفة قال (صالح) وهو يملتها:

- أكل إيه بقى هو فيه أحلى من كده.

ضحكت (عزيزة) لإطرابه وهي تقول:

- ده انا عاملة لك كوارع. مش عايز تاكل كوارع.

نظر (صالح) إلى ساقها الباديين من أسفل قميص نومها الشفاف
وهو يقول:

- أموت أنا في الكوارع.

ضحكت (عزيزة) مرة أخرى بخجل وهي تشير له كي يصمت ثم فتحت
الباب وخرجت بهدوء لتتجه إلى المطبخ وتجلب منه الصواني والأطباق.

وتعود بسرعة إلى العرفة مرة ثانية لترص ما جاءت به على المرير الواسع الكبير، ثم تجلس عليه بجوار (صالح) الذي راح يتشمم الرائحة المشبهة باستمتاع.

• من يد ما نعدمها.

قالها (صالح) لـ (عزيرة) اني راحت تصعب الطعام في فمه بيدها ولا تهتم بالأكل بقدر ما تهتم بإطعامه. اما هو، فقد كان أكثر همه مصيئاً على الطعام بنفسه والذي أقبل عليه بشهية بالغة

فعزيرة تعرف أن (سعيد) فقير وان جرة كبراً من اهتمامه بها يكمن في كونهما توفر له ما لا يستطيع هو توفيره لنفسه. ولكنها كانت مفتونة به على الرغم من ذلك، فهو ايضاً يقدم لها ما لا تجده عند (عبد الباقي)

يقدم لها الحنان والدلال. يقدم لها المداعبة الرقيقة والعلاقة الجسدية الساخنة التي تفتقدتها مع زوجها، يشعرها بجمالها الذي كف (عبد الباقي) عن مغزله بعد أول شهر من رواجها، وربما قبل ذلك

لم تكره (عبد الباقي) أو تنفر منه من قبل، ولا هو يعاني من نقص في الرجولة مثلاً، بالعكس، قريباً لأن رجولة زوجها الممرطة وعمره الذي يريد عن عمرها بكثير من اهم الأسباب التي تجعلها تحترمه ونهايه ولكنها لا تحبه.

لم يكن مقصراً في حقها أبداً لكنه لم يمثل لها سوى الإحساس بمعنى الأسرة والأمان المادي والمعنوي. أما (صالح) فقد يمثل لها الحب الساحن والعلاقة الملتهبة الي ترعب فيها كل انثى حتى لو كبر سناً.

وحق بعد ان تجب وتصبح أمًا. لذلك فلم يكن من الممكن بالنسبة
لـ (عزیزة) أن تستغنى عن أمها مهما. ولذلك أيضًا لم تمكّر حتى في أن
القيام بأي عمل جنوني كالفرار معه مثلاً. الأمر الذي لم يعرضه (صالح)
عليها. ولا كان في نيته عرضه.

الإنسان يعكّر بواقعية وعملية رغم بساطة تعليمهما. ويعلمان جيدًا
أن قصص الحب التي تفرقها الروجة مع عشيقها لا تسجج إلا في
الروايات، ولا تنتهي على أرض الواقع إلا بمصيبة.

أما (صالح). فعلى الرغم من كونه مُذِرًا ومستفيدًا بما تجلبه له
علاقته بـ (عزیزة). إلا أنه استمتع بالعلاقة بصحتها على قدر ما استطاع.
واستفاد منها لأقصى درجة.

فصحيح أنها زوجة معلمه التي تكره بعشر سنوات إلا أنها أيضًا امرأة
جميلة ميسورة الحال. بحكم زواجها من (عبد الباقي). وهو بطبعه لم
يعمل إلى النساء الأصغر سنًا لكونهن أقل خبرة.

ثم إنه مع (عزیزة) يتمتع بعلاقة كاملة تشبعه وتشبعها دور الحاجة
إلى السعي وراء مشقة تكوين نفسه للزواج من فتاة صغيرة في مثل سنه
سيضططر معها إلى مواجهة الحياة بكل صعابها

فلماذا يتعب بالجري وراء شيء قد لا يتحقق إلا بعد عدة سنوات وهو
في استطاعته تحقيقه الآن بالكامل. ومجهود لا يتعدى إشباع رغبات
(عزیزة) المدفونة في الفراش.

انتهى الاثنان من الطعام بسرعة وهما يُعبدَان نفسيهما لحطة التي ينتظرانها بشغف. لحظة الزحامهما في السرير.

بدأ (صالح) بمداعبة (عزيرة) برفق لا يفرقه روحها الخشن، بدلت مجهودًا خرافيًا كي لا تصرخ من حرط النقوشة واكتنمت بتلك الآهة المكتومة التي أجببت نيران (صالح) أكثر فزاد من مداعبته لها بأصابعه الخبيثة التي اكنست حبرتها ذاتيًا.

أحبت شفتيه الرقيقة ووجهه الناعم الخالي من الشعر بعكس (عبد الباقي) الذي يضايقها شاربه الخشن إن فكّر يومًا في تقبيلها. تعب يده الباردة التي تعرف طريقها جيدًا بعكس زوجها الذي تؤلمها يداه الكبيرتان أكثر مما تمتعناها.

ارتسمت تلك النظرة الغريبة في عينها وهي ترفد بجوار (صالح) بعد أن وصل كلاهما إلى دروته وتهالكا على السرير باسهاك.

(صالح) مشغولا بمسجارته اللف التي يحب تدحيها دائمًا بعد أن ينتهيها، أما هي، فانشغلت بولديها، وعلى وجه التحديد بشك الجمة التي قالها (منصور) بعفوية قبل أن نجبره هو وأخاه على النوم كي تتمكن من الوصول إلى ما وصلت إليه الآن.

صحيح أنها لم تعتبر نفسها متديبة أبدًا، ولا تعرف عن الدين سوى القرآن الذي تسمعه في المآثم والمعودتين اللتين تقرأهما لتحفظ ولديها من الحسد، إلا أن تلك الحملة طلّت ترن في ادنها على الرغم منها (ومش عايضة ربما يعبك).

أقنعت نفسها أن ما يحدث ليس خطأها هي بل خطأ زوجها الذي
يعتبرها "أم العبال" ولا يعاملها أبداً كأمراة، وخطأ والدها الذي روجها له،
صحيح أن الأول لم يقم عليها أبداً، والثاني لم يجبرم قلعاً على الزواج
من الأول، إلا أن عليها أن ترمي بالخطأ على أي شخص آخر كي تتمكن من
التمتع مع (صالح) بأسبوع كامل لا تدري متى ولا كيف سينكرر.

مر اليوم الثاني كالأول وسرعان ما لحق بهما الثالث والحياة تسير على
نفس الوتيرة دون أن يعكر صفوها شيء. ظنت (عزيرة) أنها ستتمكن من
تحقيق كل ما ترغب فيه دون الحاجة إلى التصعية بأي شيء، فهذا هي ذي
الآن تعيش لحظات الحب المثالية مع (صالح) كل ليلة حتى ينتهي الأسبوع
وتعود مرة أخرى إلى حياتها اليومية العادية

أما وروجة تطبخ وتنظف ولا تنادي على زوجها أمام الناس إلا وتضع
لقب "حاج" قبل اسمه. ولا يبويها من (صالح) غير ساعة كل بضعة أيام
يغطيها عند ذهاب زوجها إلى المحل. والطفلين إلى المدرسة

أما (عبد الباقي)، فعلى الرغم من انشغاله الشديد بعمله، إلا أنه لم
يمن أن يوفي بوعده لـ (عزيرة) بحادثها تليفونيا كل يوم حتى وصل إلى
اليوم الرابع.

الوقت عصراً و(عزيرة) انتهت للتو من تنظيف المائدة بعد أن تناولت
طعام الغداء مع الصبيين، وبسبب إرهاقها من العمل المتواصل في المنزل،
ودغبتها في الحصول على بعض الراحة استعداداً لسهرة المساء اليومية.

فقد دخلت إلى غرفتها لتنام قليلاً تاركة الولدين مهمكين في حن واجباتهما المدرسية.

ذلك حين دقّ جرس التليفون ليهص (سعيد) من على مكتبه ويخرج إلى الصالة ليرد عليه.

- ألو، مين معايا؟

أريك يا (سعيد)، أنا أبوك يا ص انت مش عارفني ولا إيه؟

- بابا.. أترك يا بابا وحشتني.

- وانت أكثر يا حبيبي والله أريك وازي احوك وأمك؟

- كويسين الحمد لله. انت مش هنبيجي بقى؟

- هاجي طبعا أومال إيه.

- هتبيجي إمتى؟

- كلها يومين واجي ما تستعجلش المهم بس تنبيه لدروسك وتذاكر

كوبس عشر اجيب لك حاجة حلوة وأنا جاي.

- طب ما تبعنها مع (صالح) وحلاص ماهو بيبيجي كل يوم

تبددت المرحه والاشتياق في صوت (عبد الباقي) إلى الوجود وعدم

الفهم وهو يقول:

- بيبيجي فين؟

- بيبيجي كل يوم البيت هنا.

حول (عبد الباقي) استيعاب ما يقول انه وهو يقول

- وانتوا فيه حاجة ناقصاكووا في البيت يعني عشان يجيبهاالكو؟

- ما اعرفش بس هو ما بيعقاش شايل أي حاجة في إيده.

علا صوت (عبد الباقي) قليلاً. واحتلظت فيه الدهشة بالعصبية وهو يقول:

- أو مال بيعجي ليه؟ ومين اللي أذن له بكده؟؟

حتى وهو يأتيه عبر أسلاك التليفون. شعر (سعيد) بالرهبة كعادته كلما ارتفع صوت والده. فقال بصوت خائف قليلاً.

- معرفش. بس أكهد ماما لأن هي اللي بتفتح له وتتفعد معاه

لم يتمكن (عبد الباقي) من تصديق ما يسمعه فعاد يقول بصوت أعلى:

- بتفعد معاه فين وإمتى؟ وإزاي بتدخله البيت أصلاً في غيابي وبدون علمي؟؟؟؟

بدا (سعيد) وكأنه على وشك البكاء وهو يقول مدافعاً كأنما ينفي عن نفسه تهمة:

- معرفش يا بابا والله.

عقل (عبد الباقي) بدأ يستوعب ما يحدث رغم عجزه عن تصديقه. حاول إخماد النيران المستعرة في رأسه كي يفهم ويتأكد أولاً مما يقوله (سعيد) مستبعداً أن يكون ما يقوله كذباً. لأنه ما من سنڤ يدفعه لذلك. ثم إن سنوات عمره القليلة لا تسمح له بتأليف تلك القصة من الصفر.

لذلك هذا قليلاً كي يجذب منه المعلومات دون ان يخيمه. وخصص
صوته وهو يقول:

- (صالح) بييجيلكو ايتي يا (سعيد)؟

- مش عارف.

- يعني بالليل ولا بالتهار؟

- لأ بالليل.

- يعني الساعة بتبقى كام؟

- أ. مش عارف. بس العقرب الصغير بيبنى مشاور على رقم 11 و
12، هو ده يبقى كام يا بابا؟

لم يهتم (عبد الباقي) بإجابة سؤال ابنه فقد وصل الى عرصه
واجتنبه ليجيب هو على سئلته. علا صوت نفسه ونذا وكأنه على وشك
الغليان وهو يتمتم بكلمات لم يهمها (سعيد) ويروم بطريقه مرعنة لم
يسمعا من قبل.

- دبا هو انت رعلان متي؟ أنا عملت حاجة غلط؟

- لا يا ابني مقيش حاجة.

قالها (عبد الباقي) وهو بيدل مجهوداً خرافياً كي يبدو طبيعياً أمام
ابنه كي لا يعظم الأمر في عينه بطريقة قد تدفعه لنقل مكائليهما إلى
(عريرة) التي ستحد «حتياطها طبعاً

يجب أن يضبطه بنفسه كي يتأكد من المصيبة التي سمعها فهو لا
يصدق ما سمعه حتى الآن لذلك أنهى المكالمه بشكلٍ طبيعيٍّ مع (سعيد)
واعداً إياه بالحنوى ومرسلاً سلامه إلى (منصور). وقد اتخذ قراره

العاسم بتغيير وجهة سفره من (طنطا) إلى (القاهرة) الليلة يأتي ثمن،
حتى لو صاعت عليه الصفقة التي سافر حصيصاً من أجلها. وحتى لو
ضاعت تجارته وتبددت أمواله كلها.

الشيء الأكثر إثارة للمخبرة، والذي لا يدركه أيّا من (عبد الباقي) أو
(سعيد) أو حتى (عزيرة) نفسها، هو أنها تجرّعت من نفس كأس التهديد
الذي دانها ما لوحث به لولديها كي ياما مبكراً لقله هو مع عشيقها.

التهديد بأن تشي بهما إلى والدهما كي يتصرف معهما حين يعود، لكن
ما حدث هو العكس تماماً. ما حدث هو أن ابنتها وشئى بها إلى والده دون
أن يقصد، وأنها هي التي سوف "يتصرف" معها (عبد الباقي) عند عودته.

الحكاية الثالثة

عماد الدين 2003

- أدي يا سني الشقة، إيه رأيك؟

خطا (سامح) على أرض الشقة المنزلة حاملاً حقيبتني سفر كبيرتين وهو يقول تلك العبارة لزوجيه (دعاء) التي سارت خلفه حاملة في يديها حقيبتني سفر صغيرتين.

وجه (سامح) يحمل قدرًا من الوسامة لكن ذلك الشارب المنمق أسفل أنفه المستقيم أعطاه لمحة من الصرامة وربما القسوة ملابسه أيضاً رغم بساطتها وقد كانت مُنمّقة ومكوبة بعناية، اما (دعاء) فمظهرها أكثر بساطة بوجهها القمحي المريح وملابسها المحتشمة التي يعلوها حجاب يناسبها تماماً رغم بساطته، دارت (دعاء) دورة سريعة بعينها في المكان وعينها تقع على الطيور المحبطة قبل أن تقول بابتسامة هادئة.

حلوة، أنا بحب السمط القديم ده والحاجات المتعلقة دي مش بظالة، بس الشقة محتاجة تصبف حامد اوي.

وصعت (دعاء) الحقيبتين اللتين تحملهما على الأرض وفعد (سامح) المثل وهو يقول:

- معلش، ربنا يعينك. بس بصراحة الشقة لقطة ابجارها حلو وخطوتين من الشغل، هي صحيح قديمة شوية بس مش صغيرة (يشير بيده إلى الطريقة الجنسية) دي ثلاث اوص على فكرة، بس فيه اوصة فيهم مليون كراكيب حنّا زي ما هي لعاية ما اكلم البواب علشان بيعت لصاحب الشقة واحد الحاجات اللي فيها. احنا زي لنا اللي نحكك بنفي وظنّي الدنيا على كيفك

نظر الى الطريقة ناتجاه المطيح وهو يسير ناحيتها فانلاً:

- استني اشوف التلاجة واليوتجار والأنبوبة بتوعنا الي بعثهم النهاردة
الصبح البواب طلعهم ولا لا.

غاب (سامح) في المطبخ فقالت (دعاء) بصوت عال كي يسمعه.

أنا هفتر هدومي و ابدأ شغل على طول. بس ياريت لو تقدر تنزل
بعيب لنا حاجة باكلها عشان شكلي كده مش هلعق أطبخ النهاردة

خرج (سامح) من المطبخ وقطب قليلا وهو ينظر في ساعة يده ويقول.

- لا، أنا لازم أرجع الشركة تاني.

شعرت (دعاء) بالدهشة وبالقليل من الضيق الذي تخفيه وهي تقول.

- دلوقت؟ على طول كده!

- آه، ده أنا اتأخرت كمان.

- طلب خلاص، انزل أنا أجيب."

قالتها (دعاء) ببساطة لكن حاجي (سامح) انعقد بشدة وهو يقول
فجأة بعدة.

- لا.

بطرت له (دعاء) بدمشة وصمت ورغبت في داخلها أن تعترض أو
تستفسر لكنها احجمت عن ذلك تجنباً لردة فعل (سامح) الذي تعرف كم
هو عصبي وعنيد.

تعرف جيدًا أنه إذا اتخذ قرارًا مهما كان بسيطًا فإنه يُنفذه مهما كان
الظمى. لذا لم تجد دعيرًا للجدل أو الفاش. وهي لا تريد أن تبدأ حياتها
الجديدة في هذه الشقة بشجار. فهي تؤمن بالعال إلى حد كبير

شعر (سامح) بما يدور في داخل (دعاء). لكم يحب فيها احترامها
لشخصيته التي برأها هو نفسه صعبة لانت ملامح وجهه قنبلاً وهو
يقترّب منها حتى وصل إليها ووضع يده على كتفها وقال كأنه يعتر عن
جدته بأسلوب غير مباشر:

- إحد لسة ما نعرفش المنطقة هنا كويس وأنا خايف عيني تنوحي أو
حد يضايقك.

ارتسمت تلك الابتسامة الواسعة المنتمية التي يعشقها (سامح) على
وجه (دعاء) وهي تنظر له بخبّ ععاد ليقول

- أنا هجيب أكل وأنا مروح.

هتتمت (دعاء) بمرح وهي تتساءل بفصول:

- هتجيب إيه؟

- لأ خليها مفاجأة.

قلها (سامح) بابتسامه هادئة ثم أضاف

أنا همشي بقى عشان ما اتاخرش أكثر من كده

اقتربت منه (دعاء) وربّنت على ذراعه بحنان وهي تقول

- الله يعينك يا حبيبي.

أطلق (سامح) صيحة قصيرة مقصبة ويقول:

الله يعينك انني على التراب ده. يلا سلام.

اتجه (سامح) بعدها نحو باب الشقة ليفتحه ويخرج ثم يقلقه خلفه
(دعاء) تتابعه بنظراتها وهي تقول.

- خلي بالك من نفسك.

ما ان سمعت (دعاء) صوت خطواته على درجات السلم حتى هزعت
إلى نافذة الصالة لتفتحها بصعوبة من كثرة الأتربة العالقة بها منتطرة
أن يمر أمامها (سامح) كي تتابعه بعينها.

كانت تتمنى لو يرفع رأسه ليراها ويلوح لها كما يفعل الكثير من
الأزواج. لكن (سامح) لم يفعل. ثم انه لم يكن من هذا النوع. هي تعلم
جهداً كم يحيا لكنها تعلم أيضاً أنه كنوم ومتعطف جداً في إظهار هذا
الحب.

اخفى (سامح) عن ناظري (دعاء) فتهدت بقوة وهي تدعو الله من
قلبي أن يحفظه كما تفعل كل يوم. أعادت غلق النافذة واستدارت
لتواجه الشقة المتربة. يجب أن تبدأ التنظيف على الفور فهي لن تسمح
لعي (سامح) أن تقع إلا على ما يسرها فقط.

سار (سامح) نحو الشركة بخطوات سريعة كعادته. الا ان دمه
ايوم كان شارداً، يفكر في الشقة الجديدة، في المجهود الذي ينتظره في
الشركة. والطعام الذي يتوجب عليه إحصاره وهو عائد إلى المنزل.

لا ريب انه سيعود مرهقاً مكبوذاً حاصبة بعد تعب النفس، لكن أكثر
م شغل باله هو (دعاء)، لقد راها بجانب عيبه وهي تتطلع له من نافده
لشقة، لكنه تظاهر كعادته انه لم يفعل، رغم لو بدلتها تلك الحميمية
والحنان اللذين تعامه بهما إلا انه لم يستطع

هذه الأشياء ليست من طبيعه، ولكن ليس هذا هو المهم الآن، المهم أن
(دعاء) بمفردها في الشقة في بداية عربية ومنطقة لا يعرفون بها حد.

كانوا قبلها يسكنون في شقة في منطقة (الخصوص) بعيدة عن عمه
وعن كل شيء، لكنها قريبة من شقة حماته ثم إن والدته تعيش معهم.
أما الآن وقد توفيت، وابتعدت (دعاء) عن امها فقد صارت وحيدة تماماً

يخاف عليها كثيراً، يخاف عليها و لماذا لا يعترف بهذا لنفسه؟ به لا
يخاف على (دعاء) فحسب وإنما وإنما، نقص ذلك الغاظر عنه وأجبر
دمه على الانشغال بمشاكل الشقة الجديدة والعمل.

لم يشعر بنفسه إلا عند اكتشافه ان هناك بصعة امانار فحسب
تقصيه عن البناية التي تقع بها شركته با الهي كانت رحة الذهب إلى
العمل تستغرق ما يقرب الساعة والنصف فيما مضى، يبدو أنه سيحب
هذه الشقة الجديدة.

صعد إلى الشركة مُلقياً التحية بروتينته المعتادة على كل من يقابله من زملائه حتى وصل إلى مكتبه. ألقى التحية على (عزيز) رميله في المكتب قائلاً.

- سلام عليكم.

- وعليكم السلام، إيه التأخير ده كله. مش واخدين منك احنا على كده.

اتخذ (سامح) مجلسه خلف مكتبه وهو يقول

- معلىش عشان النقل. ما انت عارف بقى

ابتسم (عزيز) وهو يقول:

- أيوة يا عم، مبروك الشقة الجديدة.

- الله يبارك فيك.

- بس انت عرفت اراي تجيب شقة في المكان ده؟

لم يُحبّ (سامح) الخوض في مسائله الشخصية كثيراً، لذا ابتسم في تحفظ وهو يجيب باقتضاب:

- توفيق من رسا بقى.

ثم ترو تلك الإجابة فضول (عزيز) الذي عاد يقول:

- لازم إيجارها حزاق. أكيد مرتبك انت والمدام يادوب بيكفي. مش كده؟

- المدام سابت الشغل من زمان.

خسارة، أنا أعرف إنها كانت شغالة هنا بس ما شفتهاش. لكن اسمع من (علاء) سكرتيرة الأستاذ (هشام) إنها كانت شاطرة قوي وبتترق بسرعة.

ثم يجد (سامح) ما يجيب به سوى ابتسامة سريعة باهتة على (عرب) الذي عاد يقول:

- هي سابت الشغل ليه؟ لازم عشان الأولاد

ثم يعلق (سامح) وإنما تناول عدة ملفات من على مكتبه وبعص سريعاً وهو يقول:

- أنا هروح أودي الملفات دي لمدام (شهيرة).

قالها واندفع خارجاً من المكتب بعصبية و(عرب) يتابعه بعينه مندهشاً

يسير في أروقة الشركة وهو يضغط على فكيه بقوة جعلت وجهه يحمر والعروق على جانبي رأسه تكاد تطفجر من شدة البض. هو يعلم جيداً ان (عرب) ليس إلا شخصاً فضولياً وثرثاراً.

لا يعرفه جيداً ولا يعرف تفاصيل حياته. وبالتالي فهو لم يقصد أي ساءة ورغم ذلك فقد بدا وكأنه يضغط عمداً على كل جروحه دفعة واحدة لم يعرف أي أمر صايفه أكثر ترك (دعاء) للعمل أم مهارتها التي

يدرك جيدًا أنها تفوق مهارته أم.. أم الإعجاب الذي راه في عيني (عزيز)
وهو يتحدث عن زوجته.

حتى وإن كان إعجابنا مهينًا لا غير، حتى وإن كان لم يزه في حياته من
قبل. لكن عيرة (سامح) كانت تفوق كل الحدود. وزُعمًا عنه تركزت
أفكاره على (دعاء) وهو يتساءل بداخله. كيف هي الآن وماذا تفعل؟

أهمكت (دعاء) في تلك اللحظة في تنظيم الشقة مرتدية ثوبًا منزليًا
بسيطًا ابتل وتلوث بالفبار في أكثر من موضع. أما شعرها فقد ربطته إلى
الخلف بإيشأرب صغير.

حملت تلك الصورة القديمة المعلقة في الصالة واخفتها خلف
الدولاب. ودكرت نفسها بأن عليها أن تعلق صورة زواجها في نفس الموضع
بوقتٍ آخر.

كانت قد رأت الثعبان المحتط منذ أن وقعت عينها عليه على
الكومود .. رفعتة ووضعتة تحت الفراش .. لا يصح أن ياما وجانبهما
ثعبان محتط.

بعد عدة ساعات من العمل الشاق. وبعد أن صار لون ثوب (دعاء)
لا يكاد يبين من شدة البقع عليه. انتهى التنظيف أخيرًا ولم يعد باقيًا
أمامها سوى إفراغ الحقائب في الدواليب.

جُرْتُ إحدى حفييتي السفر الكبيرتين داخل غرفة النوم الرئيسية
ورفعتها على الفراش الكبير بصعوبة لتفتحتها لاهثة ثم استدارت نحو
الدولاب وفتحت إحدى ضلّقه.

بدا الدولاب في الوهلة الأولى فارغاً، لكن حين بدأت برص الملابس
على الأرفف شعرت يدها بشيء ما لتسحبه وتبين ما هو، صورة
فوتوغرافية قديمة بالأبيض والأسود، مذّت يدها داخل الدولاب مرة
أخرى متمحصة ذلك الرف لتجد أشياء أخرى.

المزيد من الصور القديمة، جرائد مقصوصة على أخبار بعضها،
وأوراق مصفرة مسطرة مكتوب عليها بخطّ جميل صغير.

تغلّب الفضول الأنثوي عليها فتركت ما كانت تفعله لتتأمل ما
وجدته، طوال حياتها وهي تحب الأشياء القديمة، ولو امتلكت بعض
النقود لبددتها في جمع التحف، لذا فتلك الصور والأوراق كالكنز
بالنسبة لها.

راحت تُقَلِّبُ في الصور بين يديها، جميعها لفتيات جميلات ملبّسات
يرتدين أثواباً ذات موديلات قديمة وبصفص شعورهن بطرق قدّرت انها
تتمي لأواخر الأربعينيات أو مطلع الخمسينيات.

جميع الصور حملت عبارة (ستوديو منصور) بخطّ زحرفي جميل في
الركن الأسفل على اليمين، نُحِتَ الصور جانباً وتأملت الجرائد بلا اكتراث
قبل أن تنفقل للأوراق المصعرة

تراجعت بجسدها حتى جلست متريفة فوق الفراش الكبير وسادت في
القراءة:

"رايتها بعيني. بأم عيني. انه لمن المستحيلات أن أنسى ذلك المنظر.
أمي تحت قدم أبي. الدم يجري من جبينها. والمسدس في يده. حينها كنت
طفلاً. لا أراى أحشى أن تموت أمي. لكني بعدها تميت من كل قلبي لو
أنها ماتت فعلاً. فلربما غمشت دماؤها عارياً وعارها.

..خانة. أمي أنا خاتنة. أكمل نساء العالم في نظر كل طفل. لكن
حظي العثر جعل أمي تُدعى كل امرأة أخرى في نظري. فإن كانت الأم.
التي هي مثال الطهر والمفاء. قادرة على ارتكاب مثل هذا الجرم الفظيع.
فأي امرأة بعد ذلك تؤمن!!

قلبت (دعاء) في الأوراق قليلاً بعشوائية حتى أخرجت ورقة أخرى
وعاودت القراءة:

"لن أتزوج. ربما لم يكتب الزواج لمن هو مثلي. فكل شيء مُفتر
ومكتوب. إذ كيف أتزوج وأنا لا أطبق النساء. وكيف أتزوج وأنا لا أقدر
على مصاحبتهم. فمن مهن سترصى بالخُب العذري. من مهن ستطبق
الابتعاد عن إشباع شهواتها. كلهن أمي"

مهنتي هي وجوه البشر. أسجل تعبيراتهم. أحفظها عبر الزمن. وعن
طريق مهنتي رأيت من الجمال ما يكفيني. هذا الوجه الجميل وذلك القد

الرشيق.. لماذا منح الله النساء كل هذا القدر من الجمال وكل هذا القدر من الخيانة. كل هذا القدر من الرقة وكل هذا القدر من الدنس

لن انزوح لأنني عاجزٌ عن الزواج لكنني لستُ عاجزًا عن الحب. رجولتي عاجزة لكن قلبي في كامل قواه. قلبي يستطيع أن يحب.. وبكره. قلبي يستطيع أن يحب (وفاء). يمكنه أن يُعزم بإبتسامتها الهادئة و شعرها الحريري. لكن ماذا عن قلبها. عن جسدها. أتحمض جسدها لي فعسب. يحمل فيها الوفاء الذي يجعله اسمها. قلبي يمكن أن يقع صريعًا في هوى (ليلي). صاحبة العينين اللتين لم أر لهما مثيلًا. أول فترة أصورها في حياتي. لكنها لم تكن الأخيرة"

نوقمت (دعاء) عن القراءة في تلك اللحظة وهي تفكر في طريقة كتابة تلك الأوراق والتي تشبه الخواطر. رغم أنها كُتبت كما هو واضح على فترات متباعدة لاختلاف نوع الخبر ودرجة اهتزاز الكلمات. إلا أنها تروي قصة تكاد تتضح معالمها.

تذكرت الكلمات عن (ليلي) في الأوراق فعادت لذاكراتها صورة جذبتها فعلاً. فُلُبت قليلاً بين الصور حتى وجدتها. صورة لفتاة من أجمل ما رأت في حياتها. لها عيناں واسعتان أخادتان وقد رسمتهما بتلك الطريقة الساحرة التي تميز فترة الأربعينات.

- أكيد هي دي (ليلي)

قالتها (دعاء) لنفسها وهي تتأمل الصورة بإعجاب قبل أن تقلبها لتري ظهرها، فتقع عينها على عنوان مطبوع بخط صغير. قطبت جبينها للحظة وهي تقرأ العنوان وبدأ عليها علامات التفكير وهي تقول:

- هو مش ده عنوان الشقة هنا؟ هي كانت سنوديو زمان ولا إيه؟

شعرت لحظتها بالورق وكأنه ازداد ثقلًا بين يديها. دائماً ما تشعر أن النار أي شخص مهما كان تعمل جزءاً منه. لذا فقد بدا لها وكأن تلك الكلمات قد احتفظت بجزء من روح من كتبها بداخلها.

ليس فقط لأنها مذكرات رجل ربما يكون في عداد الموتى، ولكن لأن قصة ذلك الشخص كانت غريبة بحق. رفعت (دعاء) الأوراق أمام عينها مرة أخرى وعادت تقرأ بتركيز:

"... كل هذا الجمال وهذه الرقة تستحق من تملكهما أن تحبا بمسعادة، تستحق أن تجد كنفاً يحميا من شرور الدنيا، ولكن ماذا لو كان هذا الجمال هو الشر نفسه؟ ماذا لو كانت (مها) تتظاهر بكل هذه العفة، فقط كي تأسر بها الرجال ثم تقتلهم بعدها كما تفعل الأرملة السوداء؟ ولماذا لا أستدرجها أنا إلى الفخ بدلاً من أن تقودني هي إليه؟ لماذا لا اختبر عفتها و أرى إن كان احمرار حديداً هذا خجلاً حقيقياً أم تصنعاً؟..و ماذا لو كشفتها على حقيقتها. الحقيقة الحنمية. كل النساء ليس سوى صورٍ لأمي، وامي كانت تستحق القتل"

تركيز (دعاء) كله في هذه اللحظة على الورق الذي تقرأه وقد اتسمعت عينها قليلاً تدريجياً وهي تقرأ. وقد بدا لها أنها قد وصلت للدروة حين سمعت تلك القرعة العالية المفاجئة تأتي من الخارج.

اجملت وهي تنظر نحو باب الغرفة. القرعة تبدو وكأنها ناتجة عن حلق عيب لضلعة نافذة أو باب. ببرة مترددة وصوت حاولت رفعه قدر استطاعتها هتفت:

- (سامح).. انت جيت؟

انصتت وهي تنطلق الى ذلك الجزء البسيط المكشف من الصالة أمامها من خلال باب العرفة المردود لم تسمع اجابة ولم تر شيئاً. فقط حَيَّنَ لها انها تسمع صوت خطوات في الصالة

توترت في جلستها قليلا وهي تتساءل عن مصدر الصوت. إن كان (سامح) فلماذا لا يجيب وإن لم يكن (سامح) فـ

قررت أن نهض لترى ما هناك هي لم تعرف في نفسها الجبن أو لشجاعة ولا تعرف ان كان نهوضها وخروجها الى الصالة يعد هذا ام ذاك. فهو قد يعد شجاعة لأنها ستخرج وهي ما رالت لا تعرف من بالصالة وقد يعد جبناً لأنها خافت من مجرد صوت عالٍ فحسب الى الحد الذي دفعها للخروج وتفضي الأمر.

نهضت من على الفراش وهي تحاول ألا تحدث صوتاً قدر الإمكان. ارتلق الإيشارب الصغير على شعرها الناعم ليمسك من على رأسها. ولكن الغريب.. أن الإيشارب لم يرتلق حقاً، لقد بدا الأمر كذلك لكن ما حدث في الحقيقة هو أنه.

ما حدث في الحقيقة هو أن هناك يد امتدت فجأة لتمسح على شعر
(دعاء) في نفس اللحظة التي كانت تهض فيها فلم تمس أطراف أصابع
تلك اليد إلا ذلك الإيثار الصغير ليمسقط على الفراش دون أن تشعر
(دعاء).

انعكاس صاحب اليد ظاهر في المرأة لكن وجهه لم يكن واضحاً، بل
إنه هو نمسه لم يكن موجوداً فعلياً في الغرفة. ربما استطاعت (دعاء)
رؤيته في المرأة لو أنها فقط استدارت لتتأمل إليها، لكنها الشغلت بذلك
الصوت.

لذلك تحركت بخفة نحو باب الغرفة لفتحه بهدوء وتخرج إلى
الصالة الغالية تماماً كما تركتها. أما الصوت فقد كان يأتي من خصائص
النافذة المفتوح الذي دفعه الهواء بقوة ليضرب النافذة مصدراً ذلك
الصوت العالي.

زفرت بنوع من الارتياح وابتسمت ساخرة من نفسها على هذا التوتر
الذي أصابها منذ قليل وهي تتجه نحو النافذة لتغلقها و...
(دعاء).

اتسعت عينها (دعاء) وشهقت بصوت مسموع وهي تضع يدها على
صدرها وتدور بحركة حادة لتواجه..

- (سامح).. أنت جيت إمتى؟

وقف (سامح) قرب الباب ممسكاً بإكياس تحوي طعاماً جاهزاً،
تجاهل سؤالها وهو يتأملها بوجه مقطب ويقول باستنكار:

- إيه مالك، شفتي عفريت؟

حاولت (دعاء) الابتسام كي تكسر من حدة الموقف الذي لا تعرف كيف تؤثر أصلاً وهي تتناول الأكياس منه قائلة .

- لا يا حبيبي أصلي ما سمعتكش وانت داخل، وبعدين الشبش كان صوته عالي أوي فـ سببك. المهم حمد الله على السلامة، تعالى اقعد ارتاح لشقة بقت زي العل ما قتلتيش صعيح إيه رايك فيها؟

وضعت (دعاء) الأكياس على المائدة ونظرت حولها مبتسمة قمعل (سمح) المثل لكنه لم يمنم كما توقعته. بالعكس لقد ارداد وجهه عبوساً وهو يقول بغضب:

- إيه اللي انتي عامله ده؟

كانت على دراية تامة بطباع زوجها العادة، اعتادتها وتأقلمت عليها حتى لم تعد ندهشها. ونتيجة لذلك صارت تحاول تجب فعل كل ما يزعمه بقدر الإمكان.

وعلى الرغم من هذا فلم تفلح في معرفة ما صابقه الآن وهي تدور بعينها بسرعة في المكان محاولة إيجاد الخطأ. مرت ثواب قليلة من البحث الغير مجدي. فقالت أخيراً ونبرة القلق تبدو واضحة في صوتها

- عاملة إيه؟

- فاتحة الشباك على آخره كده ليه؟

أصلي مسحت الأرض فجوها عشان تلحق تلتشف بسرعة، كنت عايرالك تبجي تلاقي الشقة كلها خلصانة .

ظهر القليل من الامتنان في عيني (سامح) لكنه طلّ محتفظًا بتعطيلته وغضبه وهو يقول:

- طب وش تحطي حاجة على شعرك.

رفعت (دعاء) يدها إلى رأسها وهي ترد بثلقانية وبلهجة دفاعية.

- مانا حاط.

بثرت عبارتها عندما لمست يدها رأسها لتجد شعرها بدلًا من الإيشارب. كانت تعرف مدى غيرة (سامح) وحرصه الدائم على الخصوصية.

لا تذكر أنها خلعت الإيشارب عن رأسها. بل إنها من المستحيل أن تكون قد فعلت قبل أن تتأكد من خلق كل النوافذ، صحيح أنها اصطدمت بطياع (سامح) المغيورة في بداية زواجهما إلا أنها ما لبثت أن حفظتها عن ظهر قلب حتى بات من المستحيل أن ترتكب خطأ كهذا. فمضى يسقط الإيشارب عن رأسها وكيف؟

ارتبكت (دعاء) وشعب وجهها قليلًا وهي تقول.

- كنت رابطة شعري والله، بس الطاهر الإيشارب اتزحلق من عليا وأنا

ب...

ظلُّ (سامح) في مكانه والغضب يطل من عيبيه. شعرت (دعاء) بعدم جدوى الكلام أو التبرير الذي لم يقبها هي نفسها فراحبت الكلمات تنكسر على شفثتها إلى أن صمتت تمامًا

انتهت فجأة إلى أنها ما زالت تقف أمام النافذة المفتوحة بشعر مكشوف فاندفعت إلى الغرفة.

تابها (سامح) بعيبه حتى دخلت ثم اتجه نحو الباعدة ليفلقها لكنه سمع صوت أقدام تخطو خلفه. استدار في حركة حادة مستعدًا لتأليب (دعاء)، التي ظلَّ وأنها قد عادت للخروج. فقط ليكتشف أن الصالة خالية تمامًا أمامه.

في نفس اللحظة. وفقت (دعاء) مشدومة أمام الإشارب الملقى على العرش وهي تتساءل في نفسها عن كيفية سقوطه حين سمعت هي الأخرى صوت أقدام تخطو خلفها

استدارت وقد طلت أنها ستري (سامح) لكنها لم تر أحدًا. دكرتها تلك الحركة بصوت الخطوات التي سمعتها عقب فرعة خصاص النافذة. لقد كانت خطواته بكل تأكيد. نعم لا ريب أنها كانت كذلك.

خرجت (دعاء) من الحمام والماء يقطر من شعرها الذي راحت تجفقه بالمنشفة في طريقها إلى غرفة النوم. وفقت أمام المرأة الصخمة وأكملت تجفيفه قبل أن تلقي بالمنشفة على المراش لتتناول فرشاة شعر من أمامها وتبدأ بالتمشيط.

نبدو الآن مختلفة تمامًا عن ذي قبل. بعد أن أخذت حمامًا دافئًا
توزد بقعله وجهها، وبذلت ثيابها لترتدي ثوبًا قمريرًا طويلًا بدا وكأنه يريد
من ذلك التورد، كانت واقفة أمام المرأة لكنها لم ترفع عيها نحوها بعد
إن هي إلا بضع ثوانٍ...

بضع ثوانٍ فحسب وترفع عيها لترى ما يعكسه سطح المرأة.

جلس (سامح) في الصالة يراجع بعض الأوراق الخاصة بالعمل. بذل
ثيابه منذ مدة وجلس ينتظر (دعاء) التي وعدته أن تغتسل وتبذل ثيابها
بسرعة. ولكن ما هي دي قد تأخرت كعادة كل النساء.

صحيح أنه يحترم فيها ذلك الحرص البالغ على مظهرها أمامه إلا أنه
بدأ يتململ ويتأهب وقد استبد به الجوع والتعب، بدأت الأرقام تتداخل
أمام عيها من شدة إرهاقه حتى إن رأسه تدلى على صدره وهو يغيب في
سنة خفيفة لم يبق منها إلا على صوت روجته المفروع يناديه من
الداخل.

ما كادت (دعاء) ترفع عيها إلى المرأة حتى أسقطت المرشاة من يدها
وانتفضت وهي تتراجع إلى الخلف بعينين متسعيتين، فهناك في المرأة امرأة
مبتسمة تُمسكُ شعرها.

لم يكن ذلك انعكاسًا لـ (دعاء) نفسها بل لامرأة أخرى تبدو وكأنها
خرجت من فيلم سينمائي قديم. بقم مفتوح من الصدمة راحت (دعاء)

تأمل تلك المرأة العربية التي ظلت تُمشطُ شعرها وتُنظر إلى عيني (دعاء) وهي تيلمس.

- (سامح).. (سامح)

هكذا هتمت (دعاء) بصوتٍ كاد يحشر في حلقها من الخوف مرت
ثواب قليلة قبل أن يظهر (سامح) على باب العرفة وهو يسأل بدهشة
- فيه إيه؟

ظنرت له (دعاء) لثواب وأثار الصدمة ما ترال على وجهها قبل أن
تشير بأصابع مرتجفة نحو المرأة قائلة:

- المراية

نظر لها بعدم فهم ثم تقدم ليقف بقربها مُتطلعا إلى المرأة التي كانت
تظهر انعكاسهما بطريقة طبيعية تماما قبل أن يدير وجهه إليها متسائلا
- مالها؟

ظنرت هي الأخرى بدورها إلى المرأة قبل أن تقول بتردد وخوف:

- كان فيه واحدة واحدة ست واقفة بنبصلي وتصحكلي.

عاد ببصره إلى المرأة يتفحصها مليا وقد بدأ يشعر ببعض القيط مما
تفعله، قبل أن يقول بنبرة ساخرة:

- طبعي انه يبقى فيه واحدة ست. هو انتي مش كنتي واقفة قصاص
المراية، اكيد هتشوفي نفسك يعني.

- بس أنا ما شفتش نغمي. أنا شُفت واحدة تانية واقفة مكاني.

على عكس عادته ضغط (سامح) على أعصابه كي لا يتشاجر معها.
خصوصًا بعد موقف المافذة الذي هُدا بصعوبة أصلًا.

في رأيه أن ما تفعله ليس سوى نوع من الجنون أو الدلال وهو غير
مستعد للتعامل مع أبًا مهمًا. لذا أدار وجهه بعيدًا عنها وأخذ بنفسه
عميقًا لهُدا قبل أن يقول.

- أكيد كان بيتبألك يا (دعاء). لو سمحتي بلاش تفرعيني كده تاني.
ثم يلا عشان ناكل. أنا جعان ونعبان وعائز انام.

نقلت بصرها بينه وبين المرأة في قلبي قبل أن تقول باستسلام.
- حاضر. جاية حاليًا هو.

خرج من الغرفة في حين نياطات هي قليلًا. صحيح أنها لا تريد أن ترهق
عقله بما حدث لكنها أيضًا لا تعرف كيف تنصرف معه أو تواجهه إن كان
حدث حقًا.

حتى أنها غير متأكدة حقًا مما رأت. ربما كان (سامح) مُحفًا وما راته ليس
سوى تغيلات. ثم إنه ما من سبيل للتأكد أصلًا ولكن مهلًا. ربما كانت
هناك طريقة.

فتحت الدولاب ومدّت يدها بداخله لمنقطة الصور القديمة إياها قبل
أن تغلب بيها بسرعة حتى وصلت إلى صالتها. إنها هي.. (ليلى). الفتاة

دات العيسى الجميلتين التي لمت انتباهها من قبل. بعن الثوب والابتسامة.

عادت الصور إلى الدولاب مرة أخرى بوجه صاحب وقد رادت حيرتها أكثر. وجود الصورة قد يؤكد أن من رآها في المرة شخصية حقيقية وموحودة. ولكنه أيضاً قد يدل على أنها تعيلت روية تلك الفتاة في المرة لأنها رآها من قبل.

ربما بسبب الإرهاق وقلة النوم الماتجيين عن النقل والتنظيف تركت (دعاء) الغرفة لتلحق بـ (سامح) قبل أن تعصبه للمرة الثالثة هذه الليلة. وعندها.. عندما عادت صورة تلك المرأة لتظهر في المرأة وهي تكمل تمشيط شعرها، بنفس الوقفة ونفس الابتسامة. الاختلاف لوحيد هو ظهور ذلك الخيال الغير الواضح لرجل يقترب منها من الخلف

برغم تعبه الدائم وطبيعته الحادة إلا أنه لا يمسى ابداً ما تمصّه. بل إنه قد يفصلها على نفسه ليأتي لها بما تشتهي حتى ولو لم يكن يحبه.

هكذا فكرت (دعاء) وهي ترص الأطباق على المائدة وتفض الأوراق عن وجبة الدجاج المشوي التي أتى بها (سامح) من الخارج. شكرته وهي تُقبله في كل موضع بوجهه حتى طلب منها صاحباً أن تتوقف. أخيراً جلست مبتسمة بجواره على المائدة وبدأ في تناول الطعام.

كان إرهاق اليوم قد استبد به فلم يتحدث كثيراً. اللهم إلا بضع عبارات قليلة للغابة مثل "شكراً" و"تأويلي كونيابة الماية" لم تحسب

(دعاء) أن هذا الصمت ناتج عن الإرهاق وإسما ظننه ما يرال غاضباً
بمبب موضوع النافذة.

راحت الابتسامة على شفتها تذبل تدريجياً حتى قالت أخيراً محاولة
كسر الجمود الذي أصاب جلسهما:

- أنا أسفة يا (سامح) على موضوع شعري ده. أنا كنت لابسة
إيشارب بمس والله وقع من غير...

- مصدقك من غير ما تحلفي.

نسان فعه يؤكد أنه يصدقها. أما لسان حاله فقد أكد لها العكس
تماماً، بدا الأسف على وجهها وهي تطالع جبينه الذي تقطب بعد عبارته
المفتضبة، وهي تمد يدها لترت على كفه قائلة:

- ما تزعلش طيب.

- مش رعلان.

خضعت عينها بعد أن شعرت أنها لن تستطيع كسر حاجز الصمت
هذه الليلة. نظاهرت بالأكل وإن بدا واصحاً أنها لا تاكل فعلاً وإن وجهها
حزين شارد.

أما هو فما زال غاصباً فعلاً من تلك الحركة وغضب أكثر عندما
ذكرته (دعاء) بها. اندمج في الأكل لعدة دقائق وبدا وكأنه سبكم الحشاء
صامتاً إلا أنه ترك الأكل وتردد لحظة قبل أن يقول فجأة دون أن ينظر
نحوها:

- أنا بس بغير عليكى أوي إيتي عارفة.

فجأة انزاحت كل تعبيرات الحزن والشرود من فوق وجهه (دعاء)
لهل محل محبتها الحنان وهي ترفع عيها إليه قائلة:

- عارفة يا حبيبي والله. ريتا يخليك ليا.

أدار وجهه الذي احتفظ بتعبيره الجامد نحوها وان لاس صوته وهو
يقول:

- أنا اسف إنني زعقت لك كده. ما نرعليش. أنا ما مبقاش عابرك
تزعلي أبداً على فكرة. لو علئاً أعمل لك كل اللي ببسطك لكن. لكن
أعمل إيه بقى؟

ارتسمت ابتسامة واسعة على وجهها وهي تقول:

- تعمل إيه في إيه. ما انا منسوفة جداً أهو الحمد لله.

- لا مش مبسوفة.

فألها بعصبية خفيفة وثرتها قليلاً في جلستها. فعاد ليقول وهو يطر
في عينها ملياً:

- مش مبسوفة وبفصيك في عيال.

- يا حبيبي والله أنا ما عايد...

- ما تحلفيش.

قاطعها ببرة حادة ألحمت لسانها قبل أن يتابع

- أي ست يبقى نسمها في عيال يا (دعاء). وانتي تفدري نجلني
عادي. لكن عاملة نفسك مش عايضة من عشاق ما تضايقتيش. أنا
فاهم. بشوف بصتك لقربك اللي عندهم عيل وانين. بقى فاهم
إحساس الوحدة والزهد اللي بيجيلك لما اسبيك كل يوم وأروح الشغل.
أدركت مدى ألمه فحاولت ابعاد دقة الحديث عن موضوع الأطفال
قائلة.

- إن كان على الزهق يا سيدي حله سهل. أنا ممكن أرجع الشغل تاني
و...

قاطعها بصراخه:

- لا. إحنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده وخلصنا

حاولت امتصاص غضبه وهي تبتسم وتقول.

- خلاص طيب ما نرعلش. ما تضايقت نفسك عشاق خاطري.
اقولك على حاجة نصحك حصلت الهادة. مش أنا لقيت جرامافون
وتليفون قديم بفرض وأنا نَظْفُف الصالة. كانوا منغطين بعنة قماش
كده ومترين قوي بس أنا لعتهم كويس. شكلم انتيكا أوي نص.

تبعث (دعاء) عبارتها بان اشارت نحو المنصدة الصغيرة في ركن
الصالة التي وضع عليها الجرامافون وإلى الهاتف دي القرص. أوما
(سامح) برأسه في شروء ثم دفع معدته إلى الخلف استعدادا للهوض
- أنا هقوم انام.

- طب استنى كمل أكلك.

قائنها بلهفة ممسكة يده لكنه بهض برعم ذلك وخلّص يده من يده
وهو يربت عنها بالأخرى يرفق قائلاً:

- أما شبعنت خلاص، تصبهي على خير.

لم يرد كلمة واحدة واتجه من فوره إلى الحمام ليغسل يديه ثم إلى
غرفة النوم الرئيسية وهي تتابعه بعينها بطرت إلى طبقه الذي لم
تقص منه إلا لقيمات معدودة قبل أن تقول بحزن:

- واثت من أهله يا حبيبي.

اندست يهدوء كعادتها إلى جواره. شعرت حواسه بالحرارة المبعثة
من جسدها الدافئ أغلب الوقت. وبالعطر الأخاد الذي ترشه دومًا قبل
النوم، لا ليس دومًا، بل في تلك الليالي فحسب تؤثر جسده قليلًا لكنه لم
يقبل شيئًا ولم يتحرك.

اعتمد على ظهره الساكن الذي يواجهها كي يعطيها إحساسًا راسقًا
بالنوم. لكنه لم يكن راسقًا، ولا حتى منقطعًا. كان عاجزًا عن فتح عينيّه
من شدة الإرهاق، وعن إحماد عقله من كثرة التفكير، مُعْتَق في تلك
الحالة التي يكرهها ولا يعرف سبيلًا للخروج منها

شعر بذراعها تُطَوِّقُ وسطه من الخلف، ويجسدها اللين بنصفيط في ظهره المُنِينِ. ظلُّ على ثباته وصمته، أتراه عماقًا عاديًا أم مؤدبًا إلى شيءٍ آخر؟

لكنه غير قادر فعلاً على فعل أي شيء. غير قادر أو غير راعب. أو ربما كان الاثنين معاً، فهو يشعر أنها لا تفعل ما تفعله إلا من باب الشفقة فحسب، كي تشعره أن كل شيء على ما يرام، ولكن الحقيقة أنه ليس كذلك فلماذا يلقي بذوره في الأرض وهو يعلم جيداً أنها لن تثمر أبداً.

لفت ساقها حول ساقه لتقترب منه أكثر، ليتغلغل في أسفه عطرها الذي تعلم جيداً تأثيره عليه، لم تكن تفكر بمبدأ الشفقة كما يطن هو بقدر ما كانت ترغب فعلاً فيه، ترغب في احتوائه وهسته بكل وسيلة تملك، دهنت أسفها في شعره كي تشممه بعمق وهي تقبله في عبقه من الخلف برقة كأنها تدغدغه، بدا وأن ما تفعله قد أتى ثماره أخيراً، فها هو ذا يدور بجسده ليواسيها ثم يعتليها.

التفت الشفاة في قبلة طويلة وتشابكت الأيدي وهي تريح الملابس بلهفة و..

- بهيك -

قالتها بصوت رقيق لتريد من اشتعال (سامح) وسرعة شفثيه اللتين انزلتتا إلى عنقها وصدرها، أغلقت عينها في نشوة، شعرت بجسده ينقبض عدة مرات متتالية فوق جسدها.

ردادت حدة مداعبته لها وعلا صوت انفاسه. صار جسدها ساحناً
مشدوداً على آخره. ها هي دي اللحظة سندي احبها ها هي دي. نأوهت
رثه. وهي تطوقه بلهفة وتهمس بأسمه في اذنه بحب.

مرت عدة دقائق دون ان يلتحما. رادت من ناوحيها وتكسروا أسفله.
دالت الدقائق وهم على نفس الحال طالت بشكل مُقلق. شعرت أن في
الأمر شيئاً لكنها تابعت مداعباتها له وهمساتها في اذنه. انقبض جسده
انقباضة شديدة وقبضته تصبغان بقوة على ذراعيها و

فتحت عينيها بهشة حين ابتعد عنها فجأة اعتدلت جالسة وهي
تنظر لحدود جسده التي تراها على الضوء المتسرب من حصاص النافذة

- فيه حاجة يا (سامح)؟

قالها بصوت حميص قلق فأجابها بعبارة مقتضبة وصوت أحش

- مفيش حاجة.

- أومال.. أومال بعدت فجأة ليه؟

لم تسمع منه سوى صوت انفاسه العالي فعادت تقول.

- أنا عملت حاجة ضايقتك؟

- لا.

- فيه حاجة فها مش عاجباك؟

- لا خالص.

- أو مال مالك؟

عاد لصمته الذي زاد من حيرتها وقلقها. مدت يدها اليمنى لتربت على ساقه وهي تشعل المصباح الجاني باليسرى، ولكنها ما كادت تفعل حتى قال بسرعة:

- لا أأطفي النور.

تعجبت من ردة فعله لكنها اطاعته على الفور. ظلّت تنظر إليه متأملة حدود جسمه في الضوء الخافت. لا تعرف إن كانت تتخيل أم أنها فعلاً ترى ما يشبه الريق في عيبيه. وهذا الريق لا يعني إلا شيئاً من اللين. إما أنه غاضب جداً أو.. حزين.

- أنا هنا.

قالها بصوت خافت قيل أن يمد يده ليلتقط ملابسه ويرتديها بسرعة ثم يولها ظهره ويسام. شعرت في تلك اللحظة بفقر كبير من المصطف تجاهه. نعمت لو كان بإمكانها أن تحفضه وتواسيه. لكنها نعم جيداً أن هذا لن يزيد الأمر إلا سوءاً.

بالطبع فهمت ما حدث وتعرف أنه ما زال مُتقيظاً بكل تأكيد، ولكنها رغم ذلك لم تنطق بكلمة واحدة وهي ترتدي ملابسها هي الأخرى وترقد إلى جواره ثبتت عيناها على ظهره بخب وحذر دون أن تتمكن من اليوم هي الأخرى. لم تشعر بنفسها إلا وتلك الدفعة تنبت من عيناها لتسير على خدها.

لكنها مدت يدها لمسحها بسرعة كي لا يراها. فان كانت تولمها بهذا
القدر، فهي بلا شك متؤلمة هو أكثر بكثير

أما هو فقد كاد يبكي هو الآخر. انها ليست المرة الأولى التي يمش
فيها. صحيح أنه لم يقل شيئاً ولكنها بلا شك قد فهمت ككل مرة سؤالها
عماً إذا كانت فعلى ما صايفه لم يكن إلا تمثيلاً لحفظ ماء وجهه
فحسب. ثم ما كاستدراجه كي يصاحبها من الأساس شمعة امراته
تشفق عليه!

رفع عينيه إلى النافذة وتطلع إلى قرص القمر الذي يطل على هبة
خطوط رفيعة من حجب خصاصها وهو يفكر منذ شهور وعندما علم
بعدم قدرته على الإنجاب انخفضت قدرته الجنسية فجأة. ثمرة يتوقف
إنهاء مصاحبته وقد فقد القدرة فجأة ومرة لا يستطيع من الأساس.
وقليلاً ما كان ينجح.

أخبره الطبيب انه يتمتع بصحة جيدة وليس معنى عدم قدرته على
الإنجاب أن تقل قدرته الجنسية. ولكن الموضوع يتعلق بالثقة ولا يحدث
حتى لمنشطات. لكنه يحاول ويغفل ولا يعرف السبب

دعا في نفسه وهو ينظر لخصاص النافذة قائلاً اما كان يكفي أن
حقتني برجولة ناقصة يا رب اكان يجب ان تقصي على ما تبقى منها
لتلغيها من الأساس إيم يا رب. لم؟؟

المكان صامت تمامًا والظلام يحيط بكل شيء. لكن الإضاءة الخافتة المتسلسلة من بين فتحات جصاص النافذة جعلت الرؤية ممكنة نوعًا. (دعاء) و(سامح) نائمان على السرير الكبير في غرفة النوم الرئيسية. النافذة مغلقة والباب مردود. ولكنه الآن يفتح. يفتح ليصدر عنه صرير خفيف.

ذلك الصرير كان كافيًا كي تنفخ (دعاء) عينها وتلظر نحوه بدهشة وترقب.

لا، لم يفتح الباب بفعل الهواء فنوافذ الشقة كلها مغلقة. لم إن فتحة الباب راحت تزداد اتساعًا كان أحدهم يدفعه عامدًا ليظهر من خلفه خيالان على هيئة سيلويت أسود غير واضح المعالم لرجلين. اتسعت عينا (دعاء) ونسمرت في مكانها في رعب وهي ترى هذين الخياليين يخطوان بلا صوت داخل الغرفة. اقترب الرجلان في سكون كأنهما خيالان فعلاً ليتوقفا عند نهاية السرير.

عند قدمي (دعاء) المتجمدة من شدة الخوف، الرجلان الآن قد دخلا مجال الضوء البسيط القادم من النافذة فبدت معالمهما واضحة. لم تكن تعلم هذا لكن هذين الرجلين لم يكونا سوى (صادق) و(أمجد). القتيلا اللذان سكنا في الشقة قبلها.

(صادق) و(أمجد) يقفان هناك عند حافة الفراش بوجهيهما الشاحبين الجامدين كوجوه الجثث. لكن (دعاء) لم تكن تنظر إلى وجه

أَيَّ مَنَهِمَا فَقَدْ كَانَتْ عَيْنَاهَا مُعَلَّقَتَانِ بِطَلْحٍ (صَادِقٍ) الْمُطْعُونَةِ الَّتِي تَنْزِفُ
بَغْزَارَةً، فَجَاءَتْ، تَكَلَّمَ الْإِثْنَانِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ قَائِلَيْنِ:

- امشوا -

لَمْ تَتَحَرَّكَ عَصَلَةٌ وَاحِدَةٌ فِي وَجْهِهَا أَوْ جِسْمِهَا، أَلَيْسَ إِلَّا قَبْضَتَاهَا
الَّتَانِ رَاحَتَا تَعْتَصِرُونَ مَلَاءَةَ الْفِرَاشِ بِحَرَكَةٍ لَا إِرَادِيَّةَ، أَمَّا الشَّابَّانِ فَقَدْ
التَفَنَّا إِلَى الْخَلْفِ لِيَسْطَرَّا نَحْوَ الْبَابِ الَّذِي نَطَرَتْ نَحْوَهُ أَيْضًا، فَقَطَّ
لِيُظْهِرَ أَمَامَهَا خَيَالًا ثَلَاثًا لِرَجُلٍ آخَرَ يَقِفُ فِي الظَّلَامِ الَّذِي يُخْفِي مَلَامَحَهُ
بَعْضُ الطَّرِيقَةِ وَبَعْضُ الصَّوْتِ عَادَ الشَّابَّانِ لِيَقُولَا:

- امشوا -

اتَّسَعَتْ عَيْنَا (دَعَاءٍ) أَكْثَرَ حَتَّى كَادَتَا تَسْقُطَانِ مِنْ مَحْجَرِيهِمَا، أَمَّا فَمَهَا
فَقَدْ ائْتَمَجَ عَنْ آخِرِهِ هُوَ الْآخَرُ كَأَنَّمَا تَصْرَخُ، أَوْ تَحَاوُلُ أَنْ تَصْرَخَ، خَرَجَتْ
حَشْرَجَةٌ خَافَتُهُ مِنْ حَلْقِهَا الْمَبْجُوحِ وَهِيَ تَهْرُ (سَامِعٍ) بِقُوَّةٍ بِيَدِهَا قَبْسٌ أَوْ
تَتِمَكَّنُ مِنْ مَسَادَاتِهِ بِصَوْتٍ مُخْتَلِفٍ:

- (سَامِعٍ).. (سَامِعٍ)

صَبَحَا (سَامِعٍ) مَذْعُورًا مُتَمَطِّضًا إِثْرَ هَرَمِهِ بِنَلْكَ الْقُوَّةِ وَهُوَ يَهْتَفُ بِفَرْعٍ:

- إِيَّاهُ.. إِيَّاهُ؟ فِيهِ إِيَّاهُ؟؟

أَشَارَتْ نَحْوَ بَابِ الْغُرْفَةِ بِأَصَابِعِهَا مَرْتَجِفَةً فَأَدَارَ عَيْنَيْهِ إِلَى حَيْثُ أَشَارَتْ
لَمْ تَرَكَهُمَا مُتَسَانِلًا بِصَوْتٍ مَا يَرِئَالُ أَثَرُ الْعُودِ وَأَصْحَا فِيهِ:

- فِيهِ إِيَّاهُ؟

نظرت أمامها فلم تجد أحداً. لا الشابين ولا الرجل. اختفوا فجأة
كما ظهروا وعادت العرفة إلى ما كانت عليه. أدارت عينيها في العرفة
بتوحيش كأنها تتحدث عنهم لم تكن تراهم لكنها تعلم أنهم ما يزالون هنا.

اختفوا عن ناظريها فحسب لكنها تكاد تقسم أنها ما زالت تشعر
بوجودهم. ولكن كيف. كيف لا تراهم وتشعر بهم في ذات الوقت. هل
اختبئوا؟ هل خرجوا؟ ولكن كيف خرجوا؟ وكيف دخلوا أصلاً؟ قبضت
على يد (سامح) بكفها الباردة وهي تقول:

- كان فيه ناس واقفة هنا.

- ناس مين؟

قالها بعدم فهم فعادت تقول بصوت خافت كأنها تخشى أن يسمعها
أحد:

- رجالة. ثلاث رجالة. اتنين هنا عبد الصرير وواحد عند الباب.

أجال (سامح) بصره في الغرفة بنظرة شك تحولت إلى استنكار وهو
يقول:

- رجالة ايه يا (دعاء) ما الأوضة فاضية أهيه؟

- ممكن مشيوا اما شافوني بصيكتك.

- مشيوا راحوا فين؟

معرفش.

- يعني هم هيكوتوا دخلوا اراي أصلاً؟

- معرفش، يعني انا شفهم.

الحيرة والخوف بيدوان واصبحين على وحيها. أما هو فقد بدا أقرب للارتعاج وهو يقول.

- ده كان حلم يا (دعاء)، انتي كنتي بتحلمي. ثاني مرة لما تعوزي تحلمي إبقى احلمي على كيفك انما ما تصحيتيش من النوم تخصيني كده. أنا بصحى كل يوم الساعة سبعة الصبح ومثني فاصي للكلام ده

قلها وهو يجذب الغطاء على نفسه وبولها ظهره لبنام. اما هي فقد ظلت عيناها معلقتان بالباب وهي تقول:

- يعني انا ما صحيتيش يا (سامح).

نساء بارهاق وقال بسماد صبر دور ان يلتفت لها

- يعني إيه ما صحيتيش؟

- يعني أنا ما كنتش لسة نمت عثمان اصحى. فاهمي يا (سامح)؟ أنا شفهم رحت مصحياك على طول.

لم تجد منه رداً على ما قالت فأبعدت عيناها قليلاً عن الباب لتنظر إليه وهي تناديه بلهفة كأنها تستجد به.

- (سامح)

لقد عاد إلى نومه العميق وتركها متيقظة بمفردها، عاجزة عن النوم أو حتى عن التهوص من المراث والمروء عبر باب الغرفة الذي عادت عيناها بتعلقان به بخوف متوقعة ظهور تلك الخيالات مرة أخرى قبل أن تعود لنقول محدثة نفسها ما صحتش والله.

- يللا يا (دعاء) بتعملي إيه كل ده؟

كان (سامح) يقف في الصلاة مُتعلِّماً وقد ارتدى كامل ملابسه. استعداداً للخروج. جاء صوتها من داخل غرفة النوم قائلاً.

- حالا يا (سامح)، بظبط الطرحة بس وجاية أهو على طول.

نظر في ساعته بلا سبب تقريباً، فهو يعلم أنها سيخرجن للزحمة فقط. ما من موعد أو ساعة معينة في الموضوع، إلا أنه كان يحب الانضباط في كل شيء حتى التره. كما كان يكره الانتظار وبمل منه للغاية. وعلى الرغم من التزام (دعاء) بمعظم قواعده إلا أن موضوع التأخير هذا يضايقه كثيراً.

نظر في ساعته للمرة الثانية وكاد ييم بمناداتها مرة أخرى حين سمع صوت كعبيها بطرقان الأرض قيل أن تظهر على باب غرفه اليوم مرتدية فستاناً طويلاً واسعاً بلون وردي فاتح. مزين عند الصدر والأكمال برهز مطرزة بلون أعمق قليلاً. أما حجابها وحقيبها وحدأها ذو الكعب العالي فقد كانوا جميعاً باللون الأبيض.

اعترف لنفسه بأنها تبدو في غاية الجمال، وقد ظهرت في وجهها لمحة ملائكية لم يرها من قبل، ابتسمت وهي ترى تأثير مظهرها على وجهه الذي ارفع حاجبيه واسمحت فمه قليلاً وهو يتأملها من أعلى رأسها حتى كعبتي حذاءها المديسين. كانت سعيدة لأنها استنطاعت تغيير ملامح وجه (سامح) الجامدة التي لم تكن تتغير كثيراً، خصوصاً في الأوبة الأخيرة

- الطقم ده كله جديد، اشتريته قبل ما يسفل هنا على طول وقت البسه في أول خروجة بفرجها سوا في الشقة الجديدة.

قالتها (دعاء) وهي تدور حول نفسها كي يرى (سامح) كامل تفاصيل ملابسها قبل ان تقف في مواجهته مرة أخرى وتنازع

- إيه رأيك، حلو؟

ظلت عينا (سامح) معلقتين بوجهها في شروذ لبصع ثواب قبل ان يقول:

- إنني حاطة ماكياج؟

ندمشت (دعاء) من عبارته وردة فعنه التي لم تتوقعها، مهنت ابتسامتها قليلاً وهي تقول،

- حفيف

- لا ثقيل

ارتبكت قليلاً ونكسرت الكلمات على شفيتها وهي تقول:

- أ، انا والله ما حظيت غير شوية كحل و وروج بس.

- طيب خفي خفي الروح ده فاقع أوي.

ظهر القليل من خيبة الأمل على وجهها إلا أنها هزّت رأسها وقالت
بحقوت:

- حاضر.

وقف في الصلاة في انتظارها حتى خرجت مرة أخرى بعد دقيقة وقد
أطاعته فيما طلبه. بل إنها حتى خففت في بقية زينتها دون أن يطلب، لم
تكن ابتسامتها واسعة كأول ما خرجت ولكنها تبسم على كل حال.

شعر أنه قسا عليها قليلاً فتقدم منها وارتسمت ابتسامة خفيفة على
شفتيه وهو يقول:

- يعني انتي مش عارفة إن انا ما بحبش المكياج الثقيل

- عارفة.

- ثم انتي شكلك كده أحلى بكثير.

هذا عادت ابتسامتها إلى اتساعها السابق خاصة عندما امسك رأسها
وقبّل جبينها قبل أن يمسك يدها برفق ويقودها إلى باب الشقة.

في شوارع وسط البلد المزدحمة، سارا متجاورين يتطلعان إلى بواقذ
المحلات التجارية الكبيرة بأضوائها المبهرة. كانت الابتسامة تُزئِن وجه
الاثنين، (دعاء) بابتسامتها الواسعة الطفولية نوعاً، و(سامح) بابتسامته
الرصينة المتحفظة إلى حد كبير، وبالرغم مما يعمل بداخلهما من

مشاعر مختلطة إلا أن أيًا منهما لم نرد إفساد تلك الرهبة على الآخر بأي شكل.

خصوصًا بعد المشاكل التي زادت بينهما في الآونة الأخيرة بدون سبب واضح.

- شبعني ولا لسه جعانة؟

قالها مبتسمًا لها فضجكت وهي تمسك بطنها قائلة

- جعانة ايه ده انت لو دوست على بطي هطلع كشري من وداني

ضحكت بدوره وهو يقول مداعبًا:

- خسارة.. خلاص بقى مفيش نصيب.

- مفيش نصيب ف إيه؟

أصل كنت عاير اكلك بس كريم من (العبد).

تعلقت بدراعه بحركة طمولية وهي تقول:

- لا أب جعانة، ما لسه جعانة جدا على فكرة.

صحت الاثنان وهم يتجهان نحو المحل الذي يقع في شارع (طلعت

حرب) والذي كان على بُعد بضعة شوارع منهما.

دحلا وانتقيا الأنواع التي يرغبان فيها قبل أن يتجه (سامح) لدفع

الحساب في حين أمسكت هي بكاسيهما وسبقته إلى الخارج. كان يدفع

الحساب وعيه على (دعاء) التي وقفت تنتظره على الرصيف أمام

المدخل.

انعقد حاجباه بشدة حين توقف شاب لا يتعدى الثامنة عشر من عمره بجوارها وقال لها شيئاً ما. لم يستطع (سامع) أن يسمع ما قاله الشاب بسبب الصخب الشديد داخل المحل وخارجه. أدارت هي رأسها بعيداً متجاهلة ذلك الشاب الذي قال بضع كلمات أخرى قبل أن ينصرف. لكنه لم يرها وهي تفعل ذلك بسبب احتشاد الحارة والزبائن أمام المحل.

هو فقط رأى الشاب يعادتها. انتهى من دفع الحساب بسرعة لبشق طريقه بصعوبة داخل المحل المزدحم برواده حتى وصل إليها وهو يبحث بعينه عن الشاب الذي لم يتمكن من اللحاق به وقد ذاب بسرعة بين جموع الحارة.

- تعرفيه مثين ده؟

قالها بنبرة حادة مفاجئة وهو يحدجها بنظرة شك عارتيكت قليلاً من طريقته وهي تقول:

- أنا ما أعرفوش ده ك....

قاطعها بعدة أكبر وعلا صوته وهو يقول

- أمال كان بيكلمك له؟؟

- كان بيسألني على مول (طلعت حرب) فأنا مـ

- مول إيه، المول أهه، ده بيستعيط.

قالها بعصبية مشيراً إلى المبنى القريب فأسرعت تقول:

- ما عرفة يا (سامح) أنا نفسي حسيت إنه مش مضبوط.

- وبينكلمى معاه ليه لما حسيتي إنه مش مضبوط؟

- أنا ما اتكلمتش.

انتى مش لسه قايلة إنه كان ببسالك على المول! ثم انا بصبي شايفه
من جوه وهو بيكلمك.

- أبوة هو اتكلم لكن أنا ما ردتش.

زداد الشك في برته وعينيه المتسعنين وهو يقول:

- ده وقف بتكلم شوية. أنا شفته. يعني كان واقف بيكلم نفسه!

- والمصحف ما رديت عنيه. ده انا حتى دُورت وشي اللاحية الثانية.

- أنا ماشغلش الكلام ده.

انتهت في تلك اللحظة إلى عيون المارة التي كانت تتابع (سامح)
بصوته العالي وهو ينهرها كالأطفال، ففرقت عينها بدموع الخجل وهي
تقول:

- بس ده اللي حصل والله

نظر إليها في حيرة وشك. قد تكون صادقة فعلاً لكنها أيضاً قد تكون
كاذبة. ماد يدره؟ كيف يتأكد؟؟ أما هي فقد شعرت باختناق وعجز تام
إمام أسئلته وبطراته التي تهمها بقسوة.

لمادا يفعل هذا بها وهي لم تخطيء فعلاً، وكيف تثبت له ذلك؟ ثم إنه
من المهين أصلاً أن يتهمها بالكذب في أمر كهذا.

هل يظهر مجنونة مثلاً لنفق في الشارع ونحدث شأنًا لا تعرفه بكل
تساهل، ماذا دهاه؟ اعتادته غيوزًا ولكن لس إلى هذا الحد، لقد بعدى
مرحلة الغيرة إلى الشك الصريح، يشك بها بجون في حين أنها تحبه
وتخلص له بجون أيضًا

- حتى لو ما رديتيش، إنتي شجعتيه على الكلام معاك بلديك ده

- ما انت شفته قبل ما نزل وما قلتليش حاجة عليه.

- بقولك إيه، الطقم ده ما بتلبسش ثاني بعد كده، مفهوم؟

- حاضريها (سامح)

صمت الإنسان تمامًا بعد عبارتها تلك. ناولته كأسه فالتقطه منها
ومصيا ياكلان بلا شهية ويسيران بصمتٍ وتجهيم

هل تحولت حياتها معه إلى نوع من النمثيل؟

هكذا فكرت (دعاء) وهي تنصت في شروء لصوت الماء المنهمر من
الصنبور إلى قاع حوض المطبخ القديم الذي وقفت أمامه تقبل
الصحنون. لقد رآته وهو يتفقد هاتفها المحمول بالأمس ليتأكد من أنها لم
تتحدث إلى أحد.

ورغم أنه من المفترض أن تتضايق من هذا التخوين إلا أن هذا لم
يكن أكثر ما ضايقها فعلاً، ما ألمها وأحتمها بحق أنه حتى بعد تأكده ما
زال يشك فيها.

ليت تجسسانه هذه تجعله يثق فيها، ولكنها أبداً لا تفعل. فهو مستمر بالشك ومستمر بالتجسس، صحيح أنها لا تزال تحبه جداً إلا أن غيرته، أو شكه بمعنى أصبح، أصبح شيئاً خائفاً. لم تعد تستطيع تحمّل طبعه السيئ لأجل خاطر صفاته الطيبة التي بدت وكأنها اختفت أو كادت تحت وطأة تعامله شديد السوء معها. حاصبة بعدما علما بعدم قدرته على الإنجاب.

فجأة انتقل تفكيرها إلى الشقة. أقبعت نفسها أن كل ما رآته وسمعته وشعرت به ليس إلا كوابيس أو تهوؤات أو هلاوس. في شيء سوى أنه حقيقي. صحيح أنها ما رالت نكره أن تطل بمفردها في الشقة حين يغيب (سامح) في الشركة.

ولكنها يجب أن نتحمل ولا تنهار أو تستسلم لإحساس الخوف كي لا تضايقه. وكي نستمر حياتها هي نفسها. على الأقل حتى تنعود عليها. ولكن. ألا يترامن تغير طبع (سامح) مع انتقالهما للشقة؟ أليكون لهذا علاقة بذلك؟ اتراه يتصرف هكذا بسبب تغير نمط ومكان حياتهما؟ وهل سيتحمس بمرور الوقت أم أنها تحاول فقط أن تخدع نفسها كي تتمكن من تحم...

انقطع حبل أفكارها فجأة حين سمعت صوت طرقات قوية على الباب. تركت ما تفعله وأغلقت الصفيور قبل أن تجفف يديها في جاني ثوبها وتعقد حاجبها وهي تقول بضحك واستنكار:

- إيه الطريقة دي، ما فيه جرم!

خرجت من المطبخ إلى الطرقة وهي ما تزال تجفف يديها في ثوبها
وتقول محدثة نفسها:

ده لا يمكن يكون (سامح). ولا تلاقيه نسي مفتاحه يمكن

وصلت إلى الصالة حين سمعت صوت الطرقات ثانية. توقفت في
مكانها فجأة وقد أدركت أمرا هذه الطرقات لا تأتي من باب الشقة. بل
من باب غرفة النوم الرئيسية.

لم تكن (دعاء) قد أفادت من الصدمة الأولى بعد حين عاجلتها
الصدمة الثانية على هيئة صرخة رجل عالية قادمة من نفس الغرفة.
اتسعت عيناها بشدة وتسمرت في مكانها وهي واقفة وقد أولت ظهورها
للغرفة. سرت رعدة خفيفة في جسدها وكأنه يخشى أن يتحرك كثيرا.

استعازت من الشيطان وهي تدور حول نفسها ببطء كي تواجه
الغرفة وأفاسها تتسارع وتتلاحق من الرعب والترقب. كان الباب مغلقة
كما تركته، أم تراه كان مفتوحا.

لقد نسيت حقًا من شدة الخوف، المهم أنه الآن مغلق سواء أكانت
تركنه هكذا أم لا. لئنه كان مفتوحا فأنفلقه هذا يجعل الأمر أصعب
بكثير

أخذت نفسها عميقًا في محاولة لاستجماع قواها وهي تخطو نحو
الباب المغلق. أقنعت نفسها أن الوقت هازا وأن الأشياء المخيفة لا

نحدث عادةً نهاراً. تمتعت بأيات قرآنية تردّد بصوتٍ خفيض على
لصاحب الذي جفّ من شدة الخوف

أحياناً وقفت أمام الباب وهي تشعر بطين صامت داخل أذنيها. وفمت
ليضع ثواب متوقعة أن يفتح الباب فجأة من تلقاء نفسه كما يحدث في
فلام الرعب ثم لكي يفهمك يا (دعاء). أنت في عالم الواقع ولست تمثلي
فيلمًا. هكذا حدثت نفسها وهي تمسك بمقبض الباب بب مرتعشة
لتديرها وتفتحه.

راحت فتحة الباب تنفرج أمام عيها المتسعيتين بترقب. واللتي
راحتا تجوبان الغرفة بسرعة فائقة بحثا عن أي شيء غريب. لكن
العرب فعلاً أنها لم تجد أي شيء على الإطلاق. الغرفة خالية وطبيعية
تماماً ولكن. أهذا أفضل حقاً أم أسوأ؟

ألقت (دعاء) نظرة شك أخيرة على الغرفة قبل أن تغلق بابها مرة
أخرى. لم تدر لم فعلت ذلك حقاً. لقد بدا وكأنها ترغب لا إرادياً في حبس
ما في الغرفة بداخلها.

أيّاً كان ما هو. وحتى وإن كانت لا تراه فعلاً استدارت وانتعدت عن
الباب وهي تسير في الصالة تنقشّت على ساقها المرتجفتين حين سمعت
صوت الجرس.

انتمضت للمرة الثالثة وهي تنظر حولها بحثا عن مصدر الصوت
الذي تبين أن أب من التليفون الأسود في الركن. سارت حتى وقفت
أمامه تتطلع له بانفاس مهورة وهي تقول مندمسة

هو مش (سامح) قال إن مفيش حرارة وأصلة الشقة؟

ظلّ الجرس مستمرا كأنه مُصِرٌّ على الرنين حتى تجيب، كانت ما ترال على دهشتها حين أمسكت السماعة التي بدت لها شديدة البرودة لتضعها على أذنها، ذلك حين سمعت ذلك الصوت العميق يقول:

عارفة حكاية الولد اللي كل اللي حواليه اتهموه ظلم إنه سرق البيصه. وعدى عشر سنين وكبر الولد ولسه كل اللي حواليه بيتهمونه إنه سرق البيصه، في الآخر قرر الولد إنه يسرق بجد، لأنه مهما عمل محدش هيصدق إنه بريء، أهى دي حكايتك يا (دعاء). (سامح) شايفك دايما خاينة وكل اللي مستميه هو دليل اتهاملك، وانتي عارفة كويس إنه عمره ما هيق فيكي. طالما مفيش حل إناك تطلعي برينة، ليه ما تجربيش الطيانه، ولو لمرة.

اتسمعت عينا (دعاء) وهي تشفق قبل أن تقول بصوت مُنْشَجَع من شدة الارتباك والغضب:

- إنت مين وعرفتني إزاي؟

عاد الصوت العميق يقول بنبهة بدت لها ساخرة:

- تقصدي عرفت اللي جواكي إزاي؟؟

أسرعت (دعاء) بوضع السماعة مكانها كأنما تغطي أن يكمر ذلك الرجل كلامه قبل أن نشعر بذلك الضعف الشديد في ساقها والذي

جعلها تسرع نحو أقرب مقعد لتلقي نفسها عليه وتحتي رجليها لأسفل
حافضة عينيها نحو الأرض وانعاسها تتردد في صدرها بصعوبة.

(سامح) جالمتنا على الأريكة في الصلاة واصفا إحدى مسافيه على
الأخرى وعيناه مركرتان على الجريدة التي يقلب فيها بين يديه

عاد من عنده منذ قليل وتناول طعامه سريفاً وما هو ذا يجلس
مسترخياً مرتاحاً، ليس هناك وقتٌ انسب لإخباره كذا هكرت (دعاء) وهي
تقترب منه حاملة صبيبة عليها فئجار من القهوة. وصعت الصبيبة على
منضدة صغيرة أمامه قبل أن تجلس على الأريكة بجوارها.

خُيَّم الصمت عليهما لدقيقة أو اثنتين لم يُسمع فيهما سوى صوت
تقليب أوراق الجريدة في يد (سامح) الذي ظَلَّت عيناه مركرتين على
الجريدة فلم يحفظ التردد البادي على وجه (دعاء). والتي راحت عيناها
تتحركان بتوترٍ كأنها تمكر كيف تبدأ كلامها

- (سامح)

دو أن يرفع عينيه عن الجريدة أجاها.

- نعم

- الشقة دي مش مريحاني.

- مش مريحاي ازاي؟

- معرفش، فيها حاجات غريبة.

- حاجات زي إيه؟

- زي موضوع المراية، والناس اللي كانوا في أوضة النوم.

- قلنا كنتي بتعلمي يا (دعاء).

والتهارده سمعت صوت حد بيخبط وصوت راجل بيصرخ فـ...

أنزل (سامح) الجريدة من أمام وجهه وهو يقاطعها قائلاً:

- راجل.. راجل مين؟

ضايقها أنه لم يُعط كلامها اهتماماً إلا عندما ظهر رجل في الموضوع،
لكنها على الرغم من ذلك أخفت ضيقها وهي تقول:

- معرّفش. الصوت كان جاي من أوضة النوم.

بشأن سألها:

- وهو كان فيه حد في أوضة النوم؟

- لأ. لما دخلت مالفيتش حد، بس انا متأكدة ابي سمعته. وكنت
واقفة ساعتها في المطبخ بفعل مواعين، يعني أكيد ما كنتش نائمة

نظر لها ملياً قبل أن يعود ليرفع الجريدة أمام عينيه ويقول:

- إنتي في عمارة كبيرة في وسط البلد، يعني ممكن يكون صوت حد من
الجيران أو حد في الشارع.

صممت قليلاً وهي تفكر في كلامه. أترأه يكون على حق. إن ما يقوله احتمال وارد فعلاً ولكن ولكنها متأكدة أنها سمعت الصوت. ومتأكدة أنه كان صادراً من غرفة النوم. لذلك وجدت نفسها تقول بإصرار لم تعهده في نفسها.

- لا. الصوت كان جاي من أوصية النوم. أنا متأكدة. الشقة دي فيها حاجة غلط.

أخذ نفثاً عميقاً قبل أن يبعد الجريدة قليلاً عن وجهه ليلتفت إليها قائلاً.

- الشقة ما فيهاش حاجة يا (دعاء). انتي بس ائلي بتتدلي حبتين. دي لقطة. 400 جنيه في الشهر وكوبسة وجب شغلي. بدل ما كنا عايشين في (الخصوص) وبيطلع عيني كل يوم عشان ارواح الشغل في مهادي. وارجع اخر النهار مهدود حيلي

صممت قليلاً وهو يتأملها قبل أن يعثي إلى الأمام قليلاً ويثت عييه في عنيها وهو يقول:

- ولا يمكن انتي مش عاجبك موصوع إنها جب شغلي ده

نظر إليها ملياً بعد أن قال عبارته كأنه يراقب تأثيرها على وجهها الذي لم يبدُ عليه سوى الاندهاش وهي تقول:

- ومش هي عجبتني ليه؟؟

تراجع في جلسته مرة أخرى وهو ما يزال يراقب كل حركة وسكنة تقوم بها قائلاً:

يعني. مش عايزاني اكون جبك أوي كده طول الوقت عابزة تبقي براحتك.

خُبلَ إليها في البداية أنها لم تفهم قصده ولكنها بعد بضع ثواني من التفكير فهمت التلميح الواضح في جملة. ربما لو خرجت تلك الجملة من أي شخص آخر غيره لما كانت تعني ما يعنيه ولكنها تدرك جيدًا ما يرمي إليه.

ظَلَّت صامئة لا تعد ما تَرَدُّ به عليه. يادلته النظر وثبتت عينا في عينه كما يفعل هو. ظلَّ حيل النظرات مشدودًا بينهما، بادئًا بعقدة الشك من جهته ومنتهيًا بعقدة العتاب عندها.

انقطع ذلك الحيل أخيرًا عندما أبعد عينيه عنها ليعود إلى جريدته ويقول مُنْهِنًا الأمر:

من الآخر أنا مش هسبب الشقة دي. مش مستعد انشحطط في المواعيل ساعة ونص رايح وساعة ونص جاي كل يوم ري زمان. كفايا بيهدلة بقى.

اختلفت مشاعر (دعاء) فجأة بعد عبارته الأخيرة 'تارة نشعر أنها غاضبة منه، ضائقة بشكه الزائد عن الحد. وتارة أخرى نشعر بشمقة غريبة عليه. هي لم تجرب أن تضع نفسها مكانه وتحمل نفس مشاعره' أن تعجز عن الإنجاب، أو حتى عن المعاشرة الجنسية.

ترى كيف سيكون شعورها لو حدث معها ذلك. وجدت نفسها دون أن تدري تربت على كتفه بتعاطف. لا تعرف إن كان حقيقيا أم تمثيلا، اختلط عليها الأمر لاحتلاط مشاعرها. ولكنها على الرغم من ذلك وجدت صوتها يخرج حائبا من بين شفتيها وهي تقول له:

- خلاص يا حبيبي، ما تضايقش نفسك.

ولأنها تعرفه أكثر مما تعرف نفسه، وبالرغم أنه لم يعلق ولا حتى التفت نحوها، إلا أنها شعرت بالتأثر الذي أخفاه خلف جمود وجهه مالت لتلتقط سجان القهوة وتناوله إياه مبتسمة وهي تقول.

- إشرب القهوة قبل ما تبرد.

تناول منها الفسجان بابتسامة مجاملة خفيفة في حين مالت هي نحوه وقيلته في حده قبل أن نهض قاذلة.

- مقوم أنا بقي.

- رايحة فين؟

- ماخذ دش في السريع واجيلك على طول.

قالتها قبل أن تغيب داخل الطرقة المؤدية إلى الحمام والمطبخ. سمع صوت «نغلاق باب الحمام بعد عدة نواص تلاه صوت انهمار الماء من الدش بعد عدة دقائق.

ظل في مكانه يقلب في الجريدة ويرتشف القهوة باستمتاع وقد هدأت نفسه نوعاً بعد حركة (دعاء) وكلماتها فجأة. رن جرس التليفون الأسود القديم. أجعل وهو يطر إلى يساره حيث يقع التليفون دهشة وقال.

- إيه ده. بيرن إزاي ده؟؟؟

ترك الجريدة والقهوة ونهض من مكانه متجهاً إلى التليفون ليرفع سماعته ويضعها على أذنه بحذرو..

- وحشني يا (دعاء). وحشني رغم إنني كنت معاك الهاردة
هجبك بكره زي كل يوم وجورك في الشغل. عايزك تلدسي قميص
النوم الأزرق القصير اللي بعيه.

تغيرت ملامح (سامح) واتسعت عيناه بعدما سمع. أبعد السماعة عن
أذنه ليضعها في مكانها على التليفون الذي راح يطر له يغصب ودهول.
رفع عينيه الى الطريقة المؤدية للحمام حيث تستحم (دعاء)

تخيلها وقد خلعت ملابسها ووقفت تحت المياه بجسدها العاري.
تخيل هذا الجسد ورجل آخر يقبله ويتلفسه. اتسعت عيناه أكثر حتى بدا
أشبه بشخص مجنون. عاد يبصره نحو التليفون ليطر له بغلي كما لو
كان بيوي تحطيمه. كما لو كان هو نفسه ذلك الرجل الذي سمع صوته
من خلاله منذ قليل.

قبضت أصابعه على سلك التليفون بغيظ ليحذيه من قابسه
بعصية. فقط ليكتشف أنه ينسحب في يده بسهولة. وأنه غير متص
بأي قابس أصلاً.

شعرت بقدمي الصغيرتين المشدودتين وقد تقوستا داخل حذاء
أسود ذو كعب عالٍ. ورغم طرف ذلك الكعب القوي المديب فهي لا تكاد
تسمع له صوتاً وهي تسير فوق أرضية الغرفة الخشبية. تلك الغرفة. هي
لا تذكر أنها دخلتها من قبل.

مد جاءت هي و(سامح) إلى هنا ورغم ذلك فهي تعرفها جيداً. تعرف
بها الغرفة الثالثة في الشقة. غرفة الاستوديو. وها هو المصور يحيي
على الكاميرا ليصبطها ريثما تستعد هي للتصوير

تورتها الواسعة تلمس ركبتيها برقة وهي تسير لتقف أمام مرآة
جانبية صغيرة تعلو رفاً وضعت عليه بضعة أمشاط صغيرة وفرشاة
للشعر. والقليل من أدوات الرينة. مظهرها يبدو غريباً جداً ولكنها رغم
ذلك لا تستعربه. هذه هي. ورغم ذلك فهي ليست هي

شعرها قد نمّوج في تصفيفة لم ترها إلا في أفلام الخمسينيات.
عينها تحدت بخط أسود عريض يرتفع لأعلى عند مهايتها. وشفتاها
تألقتا بطلاء ذي لون أحمر داكن.

شعرت وكأنها صورة على غلاف مجلة قديمة. تماصيل كل شيء تبدو
واضحة وحقيقية جداً. ورغم ذلك فهي أيضاً لا تستغرب أي شيء.

وقعت أمام المرأة لتتلمس شعرها وتناكد من مظهرها قبل أن تلتفت
مبتسمة إليه وقد رفع رأسه عن الكاميرا ووقف يتطلع إليها بصمت.
بفس الخطوات التي لا تصدر صوتاً. ذهبت لتجلس على كرسي التصوير
في حين ترك هو موضعه خلف الكاميرا واتجه إليها ليمسك رأسها بأطراف
أصابعه ويصبطه في وضع معين وعيناها لا تزال مُعلّقة بوجهه الجاد.
شعرت بأنها تعرفه جيداً رغم أنها لم تره من قبل.

تعرف حركاته وسكناته. وكل تعبيرات وجهه وجسده. الغريب أنها لم
تسأل نصيبها كيف، ولا تعجبت أصلاً من كونها كذلك.

عاد إلى موقعه خلف الكاميرا والتقط صورتها وفلاش أبيض صمغ
أضياء الغرفة لثوان وهي تسمع صوت شيء يتكسر، ثم اعتدل وخرج من
الغرفة فاخفتفت الانتماسة من على وجه (دعاء) وحلّت محلها اللهفة وهي
تهض من على الكرسي لتلقيه وتمد يدها أمامها وتناديه.

سارت نحو باب الغرفة الذي بدا بعيدًا جدًا رغم قربهِ، تراه أمامها
لكنها لا تصل إليه مهما جدّت في السير، رفعت صوتها كي يسمعها وهي
تنادي باسمه:

- (منصور).. نت رايح فين؟ إستنى يا (منصور).

الدخان يعبق هواء الصالة من حوله والسيجارة في يده توشك على
الانتهاء، عجز (سامح) عن النوم هو ما جعله يهضر من فراشه ويخرج إلى
الصالة ليجلس على المقعد المواجه لغرفة النوم يراقب (دعاء) النائمة
ويدخن، هذه هي سيجارته الثالثة وقد سحب آخر نفس فيها وأطفاها وهو
يفكر ما إذا كان سيشرّب الرابعة أم سينام

أمسك عليه سيجارته ليأخذ واحدة أخرى ويشعلها مُفضلاً الاختيار
الثاني، راح يسحب منها النفس تلو الآخر دون أن يشعر بأي طعم لها،
كانه يحرق جوفه وأعصابه فحسب، ذلك حين سمع صوت (دعاء) أتيا
من غرفة النوم زكّر بصره عليها وهو يرى حدود جسدها المُمَدّد في
الغرفة المظلمة، هل استيقظت؟ ماذا تراه يكون أيقظها في منتصف
الليل فجأة هكذا؟

هض من مكانه والسيجارة في يده مقرئاً من العرفه ليرى ما هناك.
انها ما تزال نائمة ولكن منذ متى وهي تحدث أثناء نومها وما هذا الذي
تقوله بالضبط؟؟

- (منصور) انت رايع فيى؟.. استنى يا (منصور)

تجمد (سامح) على باب الغرفة حين صك الاسم مسامحه وقطب
جبينه وهو يتطلع الى زوجته مشدوهاً انها نائمة وتعلم، تعلم برجل اخر
على ما يبدو. هناك رجل معها الآن في الحلم وهي تطلب منه أنه ينتظر،
فلماذا؟ وما الذي يفعله معها في الحلم أصلاً؟

- ستنى يا (منصور).. (منصور).

سي السجارة بين أصابعه فتجمع رمادها حتى احترقت عن اخرها
دون أن يشعر. عيناه معبقتان بحسدها الذي راح يتنوى على الفراش
وأدباه لا تسمعان سوى صوتها وهي تنادي باسم (منصور) صاقت عيناه
وهو يلظر إليها بتوعب وظفر. فقد التف حبل إدانتها حول عنقها أخيراً

لم يبدُ على (دعاء) أنها تذكر أي شيء عن حلم الليلة الماضية وهي
تفتح عينيها في صباح اليوم التالي وتثائب بقوة قبل ان تمد يديها
لتنمطى فقط لتكتشف أن النصف الثاني من المراه خالي تماماً، وهذا
يعني أن (سامح) ليس بجوارها، (سامح). اين (سامح)؟

كان (سامح). وعلى النقيض التام من (دعاء). يذكر كل تفاصيل
الليلة الماضية، كان جالماً على كرسي طاولة الزينة وجواره متفضة

سجائر اختفت تقريبًا تحت تل من الأعقاب، عيناه الحمراء والبهالات السوداء أسفلهما كانت تضيء بلبلة لم يذق فيها طعمًا للنوم.

أما وجهه المزهق وفككه المتصلب فكان يُظهرُ توعُّدًا شديدًا وغضبًا مكتومًا.

- إيه يا حبيبي. صاحي من إمتي؟

- مين (منصور) ده؟

بيروء وصرامة قالها كأنه لم يسمع ما قالته (دعاء) التي نظرت له بعدم فهم وأثار النوم لا تزال واضحة في وجهها وصوتها وهي تقول:

- (منصور) مين؟

- أنا اللي يسأل.

- أنا معرشف حد اسمه (منصور).

- أومال كنتي بتنادي عليه وانتي نايمة امبارح ليه؟

تطايير أتر النوم قليلًا من عينهاها وهي تقول باستنكار:

- أنا كنت بيادي على واحد اسمه (منصور)؟؟

ظل صامتًا يتطلع إليها ثبات وفي عينيه نظرة مُعَيِّفة أربكتها وجعلتها تصمت قليلًا قبل أن تحاول الابتسام وهي تقول ببساطة:

- أكيد كنت بعلم.

- مانا عارف إنك كنتي بتعلمي. مين بقى (منصور) اللي كنتي بتعلمي

بيه ده؟

صممت قليلاً كأنها تفكر قبل أن تهرأسها في حيرة وهي تقول.

- والله ما اعرف يا (سامح). أنا حتى مش فاكهه أصلاً أنا حلمت
امبارح بإيه؟

يعني انتي ما تعرفيش حد اسمه (منصور)؟

- خالص

ظلّ صامتاً وعيناه ثابتتان على عينيها قليلاً قبل أن يأخذ بمسّ عميقاً
وهو يهض من كرسيه قائلاً:

- ماشي.

لم تبدُ كلمته وكأنها تحمل اقتناعاً بما قالتة بقدر ما بدت كفصل أو
هدنة بين معركتين ربما تكون هي التي ربحت هذه الجولة ولكنه اقترب
جداً من الإمساك بها. والأنشطة في يديه تضيق شيئاً فشيئاً

- (سامح)، إستنى

كان قد وصل إلى باب العرفة حين سمعها تناديه فاستدار نحوها
بهفة وعلى وجهه نظرة تحفز. هل سنقول من هو (منصور)؟ هل
سنعترف حقاً؟

- أنت متأكد إن أنا اللي كنت بتكلم؟

- يعني إيه؟

صممت قليلاً قبل أن تهض من الفراش وتنظر حولها بقلق وحواف ثم
تقول بتردد:

- أوص أنا حاسة إن الشقة دي مش مطبوخة.

حدجها ينطرة طويلة من أعلى راسها حتى أسفل قدميها قبل أن يقول:

- الشقة برده هي اللي مش مظبوطة.

- [!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!]

منذ معادربه للشركة وحتى وصوله أمام الشقة وقلبه يدق بصوت عالٍ يُصمُّ أذنيه وبكاد يخفي عنه كل الأصوات المحيطة رغم صخبها. قال لنفسه أنه سيعادر الشركة مهما حدث. حتى لو لم يعطوه إذنًا بالانصراف، وحتى لو اضطر إلى تقديم استقالته أو الصراح في وجه مديره كي يطرده.

وقف أمام الباب قليلًا في محاولة لتهنئة أفساسه المتسارعة قبل أن يولج المفتاح في القفل، كان حريصًا على عدم إصدار أدنى صوت أثناء دخوله. ما هي دي الصالة الواسعة تبدو خالية هادئة، وما هو ذا باب غرفة النوم الرئيسية المفتوح يكشف جزءًا من الغرفة نفسها، والتي يسمع صوت (دعاء) أتيا منها.

جلست (دعاء) أمام المرأة الصخمة في غرفة النوم الرئيسية تُمشطُ شعرها الناعم الطويل، مرتدية ذلك القميص الأزرق القصير الذي يحبه (سامح) وفي نفس الوقت يجعلها تبدو مثيرة للغاية.

وبالرغم من كل الأحداث الغريبة والكوابيس التي واجتها في هذه
الشقة إلا أن مزاجها كان رائقاً نوعاً ما في تلك اللحظة مما دفعها إلى
لهيمة بأغنية قديمة لا تعرف هل كانت تعرفها من قبل أم أنها ظهرت
فجأة بعقلها:

أنا هوبته.. وانتهيت وليله بقى لوم العزول.. يحب إني أقول .. ياريت
الحب ده عني يرول

انتهت من تمشيط شعرها وهي تبسم من كلمات الأغنية الغريبة التي
شعرت بأنها محببة في عقلها وأن كلماتها تجري على لسانها بسهولة كأنها
تعمل لها ذكرى سعيدة.

وصعدت الفرشاة على طاولة الزينة ثم خفضت رأسها وفتحت الدرج
الذي تحتفظ فيه بأدوات الرينة الخاصة بها وراحت تبحث بينها بحثة
عن شيء ما وهي ما تزال تدب. كانت منهكة فيما تفعله فلم تشعر به
(سامح) الذي يسير في الصالة على أطراف أصابعه متجهاً إليها

ولا بذلك الرجل غبر وأصبح المعالم الذي بدا انعكاسه ظاهراً في المرأة
أمامها وكأنه يقف خلفها تماماً.

لقد اقترب الآن من الغرفة وصار يسمع صوت (دعاء) أعلى وأوضح
لكنه لا يميز ما تقول. فجأة. خرج من الغرفة رجل. لكنه خرج بظهره
وركض نحو غرفة النوم الثامنة.

اتسعت عينا (سامح) وتسمّر لثوانٍ من وطأة المعاجزة لكنه تمالك نفسه وخلّ الغضب محل الدهشة في نفسه وهو يجري ليلحق بالرجل ويدخل الغرفة خلفه.

الغرفة خالية والنافذة مفتوحة. كان هذا أول ما طالع عيني (سامح) فور دخوله إلى الغرفة الثانية. أسرع نحو النافذة وراح ينظر من خلالها في كل الاتجاهات.

لم يكن يعرف ما يبحث عنه بالضبط، فمن الصعب أن يكون ذلك الرجل قد ففز إلى الشارع بهذه السرعة. ولكن أين ذهب إذن؟ هو متأكد أنه راه، هل هذا هو (مصور) الذي كانت (دعاء) تهدي باسمه في حلمها؟

اشتد غضبا عند تلك النقطة فترك مكانه عبد النافذة ليلدفع نحو غرفة النوم الرئيسية، فإن كان ذلك الحقيق الذي راه يخرج من غرفة نومه يستحق القتل مرة، فالعاهرة التي استقبلته على فراشه تستحق القتل ألف مرة.

اندفع إلى غرفة النوم الرئيسية في حال أشبه بالجنون وقد احمر وجهه وهو يلهث بشدة. وما أن وقعت عيناه على (دعاء) وهي في كامل زينتها، مرتدية ذلك القميص الأزرق القصير، حتى شعر وكأن المشهد أمامه قد اصطبغ فجأة بلون أحمر قاني.

"هاجيك نكرة ري كل يوم وجورك في الشغل. عايزك تلبسي
قميص النوم الأزرق القصير اللي بجنه"

- (سامح). ايه اللي جابتك بدري اوي كده الهـ.

قطعت (دعاء) عبارتها مرعمة عندما انهال (سامح) على وجهها
بصفعة بغت من قوتها ان أسقطتها من فوق المقعد الذي كانت تجلس
عليه وهي تطلق صرخه دهول فصيبرة قبل ان تشق قذلة

- إيه يا (سامح) فيه إيه؟؟؟

انقض عليها وأمسكها من شعرها بقوة وهو يصفعها ويصرخ بطريقة
جئونية والريد يتجمع في ركي شمنيه

- مين الراجل اللي تسه هريان من اوصتت؟

شعرت (دعاء) بمروء راسها تكاد تفسخ وهي تصرخ في دهول قذلة

- راجل مين؟؟

- فاكراي جاي من الشغل بالليل.

ازدادت سرعة وقوة صمغاته لها وبدأ يركلها بجنونا وهي تحاول
حماية وجهها بيديها صارخة:

شعرت أنها صارت اصعب وأعجز عن المقاومة. وأن أطرافها لا تتحرك تقريباً. في تلك اللحظة رأت شخصاً يقف هناك خلف (سامح) دارت عينها نحوه. أراد أن تنبه (سامح) إلى وجوده كي يصدقها وفي داخلها اجابت سؤاله دور أن تتمكن من تحريك لسانها به

كان آخر ما رآته هو شيء يشبه الدموع في عيني (سامح) ومن خلفه وجه الرجل الذي راح ينظر لها قبل أن تتوقف أمامها في صدرها. وتتوقف أطرافها عن الحركة تماماً.

-وعينين..؟-

نظر (سامح) لمعدته بوجه متصلب وعينين راغبتين اسود أسفهما بشدة. تعلقت عيناه بالمعطف الأبيض المعلق على المشجب بجواره في شروق. هو لا يدرى لم يظنونه مجنوناً في حين أنه لم يفعل شيئاً لقد غسل عاره فحسب وهذه لا تعتبر إلا جريمة شرف. فما بال هؤلاء الناس، لماذا يتصرفون هكذا لكن. لكن كل ما يفعلونه لم يكن بهم فاعلاً ولا يؤثر فيه. فكل ما يصايقه فعلاً هو أد.

• كَيْفَ يا (سامح)..

عاد (أيمن) الطبيب المكلف بتقييم حالته العقلية يستحثه على الكلام بهجته الهادئة وهو يجلس خلف مكتبه النسيط في إحدى غرف مستشفى الأمراض النفسية والعصبية. أما (سامح) فقد جلس على

مقعد أمام مكتب (أيمن) وقد أحنى رأسه وشرد بصره قليلاً قبل أن يقول
باعتصاب:

- شفته وهو خارج من الأوضة.

- هو مين؟

صمت (سامح) لحظة كأنه لا يرغب في الإجابة قبل أن يقول بصوت
خفيض:

- (منصور).

- بس الشقة ما كانش فيها غيركم امتوا الاتيين

- ميو الـ الكلب اول ما شافني نطّ من الشباك.

بدا الغصيب على وجه (سامح) في تلك اللحظة فعاد الطبيب بسأله
بهذوء:

- انتوا ساكنين في الدور الكام يا (سامح)؟

- الثالث.

- وتفتكر ممكن حد ينط من الدور الثالث ويترل سليم؟

قطب (سامح) جبينه وهو يحرك عينيه يمنة ويسرة كأنه حائر أو كأنه
يبحث عن الإجابة في عقله قبل أن يقول:

- معرفش. بس أنا شفته.

- شفته وهو يبيط ؟

- لا، بس هيكون راح فين يعني؟؟؟

- يمكن مكانش موجود أصلاً.

- لا كان موجود.

قالها بإصرار يحمل رنة غضب فتوقف الطبيب قليلاً قبل أن يعود
ليقول:

- قلت لي اسمه إيه؟.

-(منصور).

- و(منصور) ده انت تعرفه؟

- لا..

- أو مال عرفت اسمه مين؟

- سمعتها بتنادي عليه وهي مایمة.

- وده اللي خلالت تقاكد إنها بتخونك؟

صمت (سامح) مرة أخرى وهو يكتم الدموع التي تتجمع في عينيه في
حين عاد الطبيب ليكمس كلامه فأنثا

والمكالمة اللي رديت عليها وكانت من عميقها، مش انت بفسك اللي
قلت إن التليفون مقهوش حرارة؟

شعر (سامح) بالحيرة وبالدموع تزداد غزارة في عيبيه مع كلمات (أيمن)، تمنى لو كان بإمكانه أن يسكته، إنه لا يسري حقًا، لو كان هو على حق فكلمات الطبيب لا معنى لها، ولو كان الطبيب على حق،

- مش عارف.

- التي سمعته في التليفون ده كان اللي جواك. التي بسك تسمعه عن (دعاء)، انت اللي كنت بتكلم يا (سامح).

اتسعت عينا (سامح) وهو يستعيد تلك المكالمات في عقله مرة أخرى. هل.. هل كان ذلك صوته؟ هل ذلك الذي تحدث معه كان هو نفسه!

هنا عجز (سامح) عن الاحتفاظ بحموده أكثر من ذلك، وتقطع صوته وهو يقول في لهجة أشبه بالانتحاب.

- انا.. أنا ما قصدتش افتلها، أنا لا يمكن اقتل (دعاء)، (دعاء) دي دي.. انا، افتلها ازاي يعني؟ هي عارفة، حتى اسألها، هتقول لك إن انا، إن انا.. ما قتلهاش"

- خلاص يا (سامح)، أنا مصدقك.

قالها (أيمن) بلهجة متفهمة محاولاً تهدئته وانحى على ورقة أمامه ليكتب شيئاً ما، صمت (سامح) وهو يحني رأسه حتى كادت تلامس ركبتيه والدموع تسيل من عيبيه لتغرق ملابسه، لكن كل ما يفعلونه لم يكن بهمة فعليًا ولا يؤثر فيه.

فكل ما يضايقه فعلاً هو انه يشفق إليها كثيراً. صحيح أنه يراها.
يراهما قبل نومه. يراها عندما يكون بمفرده. أو حتى عندما يكون مع
الآخرين. إلا أنها لم تعد (دعاء) زوجته التي يعرفها. لم يعد يستطيع أن
يقبلها أو يلمسها كالمسابق. نعم. هو يراها. يراها في كل وقت و في كل
مكان. كلما اقشعر جلده أو شعر برودة في أطرافه. بالصبط كم يراها
الآن تقف إلى يمينه وتنتظر له بحزن شديد.

الحكاية الأولى

كانت الشقة مظلمة تمامًا حين فتح (عبد الباقي) بابها مهدوء في تلك الساعة المتأخرة من الليل، دخل متسحيًا كانه لص وهو يصنع حقيقته على الأرض ويشعل صواء الضمالة مُعلِّقًا عليه بباب عرفة النوم الرئيسية الذي كان مقلقًا.

سمع صوتًا حقيقضًا يأتي من عرفة النوم كانه موسيقى لنحي بعرفه، غشوة الغضب تكاد تعمي عينيه وعقله ينمى لو كان ما قاله (سعيد) ناتجًا عن خيالٍ واسعٍ لا أكثر ارفه ادسه ليصبت جيداً وهو يتجه إلى غرفة النوم وينادي بصوت عالٍ:

- (عزيزة)

كان قد اقترب جداً من العرفة حين سمع صوت جليلة خميفة ومهممات خافتة تصدر منها وفجأة انفتح باب العرفة عن اخره وطهر (صالح) من حلفه عارياً حافي القدمين، لا يسر جسده سوى ملابسه الداخلية فحسب أما ملابسه وبعليه فقد كانوا مكومين تحت إبطه بلا نظام.

لم يستغرق ظهور (صالح) عند الباب إلا بضع ثواني فحسب فقد اندفع حارخاً بسرعة شديدة ليصطدم بـ (عبد الباقي) في طريقه ويسقطه أرضاً ثم يجري نحو باب الشقة ليمسحه ويختفي عن الأنظار بسرعة البرق

ظل (عبد الباقي) في مكانه على الأرض مدهولاً يعمل بصره بين باب الشقة الذي تركه (صالح) مفتوحاً أثناء فراره وبين عرفة النوم المظلمة وصوت أغنية (أنا هونته) اصبح واضحاً له وهو يأتي من "الجرامافون"

الذي نقلته (عريضة) لغرفة النوم، رغم معرفته بما يحدث مسبقاً إلا أنه لم يتصور أنه سيرى فداحته هكذا بعينه.

لم يستغرق ذهوله سوى بضع ثوانٍ فحسب، هبَّ بعدها واقفاً وخل الغضب محل الذهول في نفسه وهو يندفع إلى غرفة النوم ويشعل صوءها بضربة عنيفة من كفه لتطالعه (عريضة) جالسه على الفراش thenدم حول جسدها جلياب نوم مفتوح الأزرار، يبدو وكأنها ارتدته للنو وتعيد شعرها بسرعة إلى الوراء.

- (عبد الباقي) ١-

قالتا وهي تنظر له بخوف، فاقتربا نحوها وقد انقلبت ملامح وجهه من شدة الغضب وهو يقول:

- نائمة مع الصبي بتاعي في فرشي يا بنت الكلب.

ازداد خوف (عريضة) مع اقترابه منها وهي تقول بصوت مرتجف:

- هقولك إيه اللي حصل يا (عبد الباقي).

- فاكراني في (طنطا)، صبح؟

رفع (عبد الباقي) كفه الكبيرة وبرز على وجهها بصفعة صفرت لها أذنبا وهو يصرخ بغضب:

- بتخونيني يا مسخة

لم تكن تلك الصفعة القوية سوى بداية لعدة ضربات وصفعات
أخرى انهالت على وجه (عزيزة) وجسدها وجعلتها تبكي وتصرخ من الألم
وهي تتوسل له وترجوه من بين صرخاتها قائلة:

- ارحمني.. ارحمني يا (عبد الباقي)

لم تزد دموعها وتوسلاتها غصبه إلا اشتعالاً، لقد صبغها مثلثة
بالجُرم أمام عيبيه، رأى صنبه يخرج راکصاً من غرفة نومه بملابسه، ثم
ماهي تبكي وتصرخ طالبة الرحمة، أي رحمة!

أمسك (عبد الباقي) برأس (عزيزة) وصدمه بحافة الفراش فشجّه
لبسيل خيط دماء من أعلاه لكنه لم يهتم وظل يصمعهما بقوة وسط
توسلاتها. ألقاها أخيراً فوق الفراش واتجه إلى الدولاب وهو يقول
بنصميم:

- مش هيطلع عليكي نهار إلا وانتي في ثرينك يا بنت الكلب.

فتح الدولاب وظلّ يبحث بالملابس حتى عثر على مسدسه الساقية
الكبير الذي رخصه منذ عشر سنوات ولم يستخدمه. وعلبة الرصاص
الموصوعة بجاسيه، تناول المسدس بينما سقطت العلبة من يده التي
ترنجمت من شدة الغضب فسقطت الرصاصات متناثرة على الأرض.

هناك غشاوة تتكون أمام عيبيه، برغمها انحنى ينحس الرصاصات
ليقبض على مجموعة منها ويبدأ في حشو المسدس وقد اتخذ قراراً بقتلها
فعلاً

هنا نسميت (عزيرة) ألمها والدماء التي سالت على جبهتها حتى وصلت إلى عيناها، لتندفع نحوه صارخة وتثبث بيده محاولة تقبيلها لكنه دفعها لتسقط على الأرض فعادت مرة أخرى نحاول النعلق بقدمه بينما هو يكمل حشو الممسدس غير عابئ بكل ما تفعله

بل إن ما تفعله لم يردده إلا غضبًا وتصميماً، انتهى من حشو الممسدس وصوّبه إلى رأسها. كاد إصبعه يعتصر الزناد فعلاً لولا ذلك الصوت الذي سمعه، صوت بكاء طفل صغير، نظر نحو الباب ليرى ابنة (سعيد) واقفاً هناك يبكي بعرقه والدموع تفرق وجهه، وبجانبه (منصور) يحتضنه صامتاً.

توقفت أصابع (عبد الباقي) وأبعد الممسدس عن رأس زوجته وهو ينظر إلى ولديه متأثر قبل أن يضع الممسدس في جيبه، هنا هدأت (عزيرة) وتركتها وهي تنظر إلى الأرض بفجول. ساد الصمت إلا من صوت (سيد درويش) المتصاعد من الجرامافون يقول: "أنا وحببي في القرام . مفبش كده ولا في المنام". لم تكرر لتتصور أن ظهور ولديها سينقدها من الموت لكنها أيضاً لم تتصور أن تُفضح أمامهما هكذا.

امتلأت عيناها بالدموع وقد بدا لها في تلك اللحظة أن الموت أهون بكثير، أما (عبد الباقي) فقد وضع الممسدس بجيبه وهو يسير حتى وقف أمام الطفليين ووضع يديه على رأسهما بحنان وهو يقول بأسف:

- أمكم خايفة . جابتي العار . القتل حلال فيها . لكن أنا هسيبها تعيش
علشانكوا انتقوا . بس يا رب عارها ما يلحقكوش.

فألبها ثم التفت ليلقي نظرة ازدراء على (عزيزة) وهو يبصق عليها قبل أن يترك الغرفة. كشفكف (سعيد) دموعه وقد هدا قليلاً دون أن يفهم وقتها أنه كان المسؤول عما حدث.

أما (منصور) فقد ظل وجهه من بداية الموقف وحتى نهايته جامداً. لم يبك كشقيقه ولم يصرخ كأخي طفل عادي. فقط ظل ينظر إلى أمه بصمت. لم ينظر لها بحزن كأخيه. ولا باحتقار كأبيه. لم يحمل وجهه أي تعبير يشي عما بداخله رغم الصراع الدائر في نفسه، فرغم سنوات عمره اللسع، والتي قد يظنها البعض لا تكفي كي يستوعب الموقف، إلا أنه كان يستوعبه جيداً، يستوعبه ويخزنه في مكان ما من عقله.

قد يلسى البالغون أنهم كانوا أطمالاً في يوم من الأيام. لذلك نجدهم يحسبون أن عقل الطفل قد يلسى وأن جرحه قد يندمل. ولكن نظرات (منصور) كانت تشي بغير ذلك.

انتهت (عزيزة) من رص الأطباق على المائدة قبل أن تنادي ولديها، مرّ على تلك الحادثة ما يقرب من العام الآن وقد بدا أن بارها صارت رماذاً. أو هذا ما كان يبدو على السطح فحسب

خرج (سعيد) و(منصور) من غرفتهما إثر سماعهما لنداء الأم. كان وجه (سعيد) عادياً بينما كان (منصور) لا يزال يحمل ذلك التعبير الجامد المتحجم، كأنه التصبق به منذ تلك الليلة، وهو ما لاحظته عليه. فلم يعد يتسسم نهائياً حتى ولو صدفة.

اتخذ الصبيان مقعديهما حول الأم التي جلست بدورها قبل أن تمس.
يدها حاملة الطعام إلى قم (سعيد) الذي فتحه تلقائياً ليتناول به بساطة
حاولت أن تفعل المثل مع (منصور) لكنه أبى قمه مغلقاً وهو يبعد
وجهه عنها بقرق.

لم يكن (منصور) يخفي أزدراءه لأمه، لم يكن يحاول حتى أن يفعل
كان يراها شيئاً مدسّساً لا أمّاً، أما هي، فرغم معرفتها التامة لما فعلته إلا
أنها ظلت أمّاً رغم كل شيء، انحصر الحزن عميقاً على وجهها عندما أبعد
(منصور) وجهه عنها، لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يقدم فيها على
حركة كذلك، ولا يبدو أنها ستكون الأخيرة.

- خالو جه.. خالو جه يا جماعة -

مكدأ راح (سعيد) يصيح بفرحة وهو يستقبل (عبد العال) خاله الذي
جاء لزيارتهم.

(سعيد) قد بلغ الثالثة عشر منذ بضعة أشهر وقد بدأت ملامحه هو
وأخوه في التكوّن والوصوح. ظهرت الوسامة التي ورثاها من الأم مع
بعض اللمعات الرجولية التي أخذها عن الأب خاصة (منصور) الذي
بدأ شعر شاربه ولحيته يثبت على استحياء.

أما (سعيد). فقد كان وجهه ما يزال ناعماً طفولياً بعض الشيء تماماً
كشخصيته التي ظلت هادئة وخجولة كما هي.

خرج (منصور) مبتسماً من غرفته هو وأخوه، والتي صارت تحوي فراشين منفصلين الآن، إلى الصلاة. وقد بدا سعيداً هو الآخر لحضور حاله. كانت تلك من المرات البادرة التي يبدو فيها (منصور) سعيداً. كانت سعادته لسبيين.

الأول هو حب الولدان لخالتهما بصفة خاصة بسبب أسفاره الدائمة هنا وهناك، والتي يجمع من خلالها الحف والمعرضات التي يرحر بها متجره في (حان الخليلي). تلك الأسفار التي يعود منها محملاً بالهدايا والحكايات المسلمية التي تثير خيالهما الفص.

أما السبب الآخر، فهو التغيير الذي يحدثه ظهور أي شخص أو راس جديد في حياتهما الروتينية والتي لا وجود فيها تقريباً إلا لـ (عريضة)، التي لا يطبق (منصور) حتى خيالها على الأرض، خصوصاً بعدما ترك (عبد الباقي) المنزل وصار يرى ولديه من خلال زيارته المتفرقة لهم محسب.

أما (عزيزة) فقد كانت تعرف جيداً مقدار المحبة التي يكنها ولداهم لخالتهما، لذلك تتركه معهما بعد أن تحببه بغيرة لتذهب وتعد الطعام للجميع تاركة المجال لهما كي ينعموا بوقتتهما معه، خاصة (منصور) التي كانت تحاول إسعاده بأي شكل.

(عبد العال) شائناً في مقبيل العمر، يكاد يفارب (منصور) و(سعيد) في سنهما، وقد كان أنيقاً حليق الوجه، يرتدي ملابس أفرنجي كما كان (عبد الباقي) يقول.

وبعثكم تعامله مع رواد متجره. كان أكثرهم من الأجانب وقد تأثر بهم
(عبد العال) وصار يتقن بعض اللغات كالفرنسية والإيطالية والإنجليزية
بلهجاتها

كل هذا جعله قريبًا من نفس الولدين ومن عالمهما وثقافتهما. جعلهما
يجدان سهولة في التعامل معه على عكس والدهما خشس الطباع رغم
حنينته الفائقة لهما.

- عندي ليكوا النهاردة مفاجأة.

قالها (عبد العال) مبتسمًا فجوابه (منصور) بابتسامة مماثلة وهو
يقول:

- مفاجأة إيه؟

أشار (عبد العال) إلى الكيس القماشي الكبير الذي يحمله قائلاً:

- جايهلكوا معايا هدية.

- هدية واحدة!

قالها (سعيد) بسرعة دون تفكير فمظّر له أخوه بعتاب وهو يقول خاله
كي يجلس قائلاً بعدة:

- ما تبقاش قليل الذوق يا (سعيد).

تغضب وجه (سعيد) بالحمرة في حين جلس (عبد العال) وهو يصحك
قائلاً:

- ما تكسفوش يا (مصور). هما فعلاً هديتين مش هدية واحدة.

كان وجه (سعيد) ما يزال في خُمرة الدم حين أشار له حاله كي يجلس إلى جواره قبل أن يربّت على كتفه برفق وهو يقول:

- يلا افتحوا الكيس وشوفوا إيه اللي جوده. بس حلي بالكم أوي عليهم

اشتعل المصوّل في نفس الصنيي خاصة (سعيد) الذي أمسك طرف الكيس مع أخيه ليتمتعاه بهدٍ وترقّب وينظران بداخله قبل أن تنسع أعينهم ويطلق (سعيد) شهقة عالية قائلاً

- إيه يا خالوده؟ هو صاحي ولا ميت؟؟!

أما (مصور) فقد بدا أكثر تماسكاً وهو يمد يده داخل الكيس الكبير ليُخرج أحد الأرتنيين المُخسطين بالداخل ليتأمله وهو يقول:

- ري اللي في متحف جينة الحيوانات يا (سعيد)، بس متحنط

ضحك (عبد العال) من نظرة (سعيد) إلى داخل الكيس وقال:

- امسكه ياد ما تخافش. مش هيعصك

أما (مصور) فقد راح يتحمس أرنبه بإعجاب وهو يقول:

(إبراهيم) صاحي راح متحف (فؤاد الأول الزراعي) الجديد ويقول فيه حاجات من دي كتير هناك.

- التحيط ده فن يا ولاد. وهواية حلوة وتكسب كمان لو حد اشتغل عليها بإخلاص. ولو تحبوا تتعلموه. أنا ممكن اعلمكم بنمسي

(سعيد) في تلك اللحظة قد تجرأ ولمس الأرنب داخل الكيس بعذر في حين التفت (منصور) إلى خاله بلهفة قائلاً:

- بجد يا خالو؟

- بجد طبعاً.

- طيب مش التحنيط ده محتاج أدوات ومواد. ثم احنا هنجيب الحيوانات نفسها مدين؟

كل ده سهل. المهم.. عايزين تتعلموا ولا مش عايزين؟

في نفس واحد وبحماسة كبيرة أجاب الاثنان:

- عايزين طبعاً

في ذلك الوقت الميث من اليوم. والذي تكون أغلب الأسر فيه قد تناولت طعام الغداء، المفبوع غالباً بأكواب الشاي. ثم اتجهوا إلى غرف نومها للحصول على بعض الراحة أو نوم القيلولة في وقت "العصاري".

اعتاد (منصور) على الخروج من شقتهم مغلقاً الباب خلفه بهدوء قبل أن يثقلت حوله بعذر ويتخذ طريقه نحو درجات السلم. ليست تلك التي تهبط به إلى أسفل كما قد يتبادر إلى الأذهان، وإنما التي تصعد به إلى أعلى، إلى سطح البناية.

صعد (منصور) الدرجات بخفة وسرعة حتى وصل إلى القمة. إلى أميمة) التي تنتظره هناك مستندة إلى السور بفستانها الأنيق المحتشم الذي راح التميم يداعب طرفه بخفة.

مشعرهما الطمولية قد نضجت وتحولت على مَرَّ المسين إلى حب شاب غض. تمامًا كملامحهما وتكوينهما الجسدي. فيها هي ذي (أميمة) وقد صارت أكثر جمالًا من ذي قبل بعينها المرسومتين ووجهه البيضأوي المعاط شعرها الأسود الناعم الذي قصَّته عند ذقنها لهحتوي ملامحها الرقيقة بلعومة.

أما جسدها. فقد ظل ضئيلًا يميل إلى القصر كما هو مع تحول في الخصر وامتلاء بسيط في تلك المناطق التي جعلت منها أنثى

(منصور) أيضًا قد تغَيَّرَ. ازداد طولًا ووسامة. صار يهتم بتنصيف شعره الدعم الذي يفرقه من الجانب. كما صار يهتم بأناقته ثيابه وتليمع حذائه. خاصة عندما يقابل (أميمة). أما وجهه. فقد تحول من الابتسام الدائم إلى العبوس الذي لم يكن يكسر إلا نادرًا. إن مارس هواية التعصيف. لتي علمها خاله له ولمسعيد. أو كلما قابل (أميمة).

- وحشتيني.

قلاب (منصور) بصوت هادئ فاستدارت إليه بوجه أشرقته ابتسامتها لجميلة. كان هذا هو نفس موعد لقاءهما منذ الصغروإن اختلف المكان. اختلف ليتمكنا من البوح بما تجيش به صدورهما بعيدًا عن الأعين والأذان. فهما لم بعدا طلعين ولم تعد اهتماماتهما تنحصر في دحرجة

"البلي" ولعب (الاستقماية). صاروا الآن يخلقان الأعذار، كسراء قلم أو ممحاة كي يتمكنوا من التسلل واللقاء بغربة.

يعيوب مسيلة وخدير وزدهما الخجل. قالت (أميمة):

- وابت كمان.

- أنا كمان إيه؟

ابتسمت وازداد خذاها احمراراً دون كلام لكنها استسلمت لكف (منصور) الداهنة التي امتدت لتلتقط راحتها الباردة مثيرة تلك القشعريرة الخافتة التي تحبها في كل مرة يمسك فيها يدها وهو يقول:

- بحبك.

فتحت شفيتها لتجيب فعاجلها قائلاً:

- ولو قلني وأنا كمان هارعل بجذ.

- لا أنا مقدرش على زعلك انت عارف.

- قولها طيب.

تعلقت عيناها بعينه قليلاً قبل أن تبتعد عنهما بخجل وهي تقول:

- ما تكسفينيش بقي يا (منصور).

ذابت الابتسامة من على وجهه وهو يقول بخموت:

- براحتك.

بدت عليها اللففة وهي تقول:

- (منصور).. انت زعلت بجد؟

كان وجهه قد عاد لتعبيره المقطب الجاد مرة أخرى وامتلات عيابه بالحزن وهو يهز رأسه بفيًا بطريقة مزقت قلب (أميمة) التي لم تكن تعتمل رؤيته حزينًا فعادت للقول

- حلق علي، وحياتي عندك ما تزعل.

- يا مش زعلان منك ابني يا (أميمة). أنا زعلان من كل حاجة

بعذري وخفوت قالت:

- إنت اتخانفت مع والدتك نائي؟

- لا.. بس ميفتش قادر حتى أبصّلها، لسه مش قادر انسى اللي حصل.

وعندي شعور الي عمري ما هلمى.

كانت (أميمة) هي المخلوق الوحيد الذي ياح له (منصور) بسبب خيانة والدته. والوحيدة التي كانت تعرف كيف تخفف من حرقه الأثر الذي تركته تلك الخيانة. فما هي ذي ترفع يدها لتربت على خده برفق لتهدئته ولكنه على الرغم من ذلك ظلّ مغطبًا مطرق الرأس

إنها تحبه، تحبه حقًا وهو يعرف ذلك رغم خجلها وحدائث مسها التي تمنعها من قول الكلمة صراحة. تحبه وتفهم احتياجه لسماعها نقولها حتى وإن كان يعرف. لكنها شعرت بداخلها في تلك اللحظة شيئًا يشبه

النار، نار أشعلها احتلاط حيا له بإشفاقها عليه، جعلتها تقدم على فعل
لم تكن تتصور أن بإمكانها الإقدام عليه في حياتها.

وجدت نفسها ودون مقدمات، تتحمس ذراعي (منصور) برق قهقري أن
تطوقه بذراعيها بحنان بالغ، لكنها لم تدرك في تلك اللحظة وهي تحتضنه،
أن النار التي أردت إطفاءها بتلك الحركة، لم ترد إلا اشتعالًا، اشتعال
وصل إلى (منصور) نفسه الذي صمها هو الآخر إلى صدره بقوة شعرت بها
حتى ضلوعها.

كان يشعر وهو يحتضنها أنه يحتضن طفلة صغيرة وأما في نفس
الوقت، طفلة يفوح منها عطر البنفسج الذي كانت تنعطر به دومًا، العطر
الذي يشعره أنه يحتضن رهرة البنفسج نفسها، بكل رقتها وجمالها،
يحتضنها بقوة كي يتغلغل عبيرها بداخله، وبرقي كي لا يمزقها في ذات
الوقت.

وببطء المُقبل على أمر لا يرغب فيه، أغلت (منصور) (أميمة) وهو يتأمل
ملامحها بتأني كأنه يراها لأول مرة، مغتفدًا ذلك الدفء الذي منعه
التصاق جسده بجسدها اللين الرقيق، أما هي نفسها، فقد طلت بصبح
لحظات تتأمل ملامح (منصور) في ضوء جديد هي الأخرى، بوجه خَضْبَتُهُ
حُمْرة الخجل والدفء والإحساس بالأمان

وعيين تنشدان ذلك الأمان من جديد، وأمام مباشرة عينيها الخضراوين
الشبهتين بعيني فتاة صغيرة خائفة، لم يتمالك نفسه وسرعان ما غاب
معها في عناق آخر، أطول وأشد حرارة، جاءت فكرة التقبيل في عقله وفي
عقلها في نفس اللحظة.

استعادت ذاكرته مشهدًا من فيلم أحبي راه عندما اصطحبه حاله مع شقيقه لسيلا، وقد انطبعت القُبلة في دهنه لأنها تحتلف عن القُبلة التي رآها في الأفلام المصرية الأخرى.

بلغ ريقه محاولًا التغلب على تردده، أبعدا مرة أخرى ببطء قليلًا حتى صار وجه كل منهما أمام الآخر ببصعة ستيمرتات نظر لشعاعها الصغيرة المحددة بلا أحمر شمع فتحت هي معها قليلًا بحركة لا إرادية كأنها تبلغه بأنها مستعدة لاحتضان شفثيه.

قرب رأسه منها فأغمضت عينيها وهي تشعر بشمته تلامس شفثها برفة كأنها تستكشفها، اقتربت بوجهها منه أكثر لتلتصم شمته بها بقوة شعر هو بلمس شفثها الرطب من الداخل بينما تركت هي شفثيه لتتحرك بحرية وتتعامل مع شفثها ظلًا على هذا الوضع لدقيقة حتى ابتعدت هي قليلًا وأمسكت رأسه تتأمل تماصيل وجهه، ثم قالت مبتسمة وبصوت صادق:

بحبك.

- ده بابا يا (سعيد).

تقريبًا تغير كل شيء فيما عدا العنوس التي عجزت جروحها عن الاندمال. كان (عبد الباقي) قد ترك الشقة لـ (عريضة) لتقيم فيها مع ولديهما، وصار يعتمد على الزيارات التي كانت هذه واحدة منها - كي يرى ولديه ويرعى متطلباتهما.

بدأ وجهه (منصور) جامدًا وهو يحيي والده ويحتضنه قبل أن ينادي على أخيه كي يأتي ويحييه هو الآخر. لكن صوته حمل سعادة واضحة لم تظهر على قسَمات وجهه.

خرج (سعيد) من غرفة النوم الثانية - التي يتشارك فيها مع (منصور) - ليحتضن والده قبل أن يتجه لثلاثهم ليجلسوا جميعًا في الصلاة. وبعد سؤالهما عن الأحوال والدراسة، خفض (عبد الباقي) صوته قليلًا وهو يقول بعذر:

- أمكم هنا؟ -

رد (منصور) بقرف واقتضاب فأنل:

- آه -

زفر (عبد الباقي) بضيق ثم وضع يده في جيبه وخرج بها حاملة مبلغًا كبيرًا من المال أعطاه لهما الذي قال:

- مثل محتاجين كل ده يا بابا.

أضاف (منصور):

- ده المصروف بتاع كل شهر بيتبقى وبنحوش منه.

ربت (عبد الباقي) على أيديهما وهو يقول:

- حبصوا مصروفكوا واطلبوا ثاني ومالكوش دعوة. تعالوني على الدكان تاخذوا اللي انتوا عايزته.

نظر (عبد الباقي) لغرفة نوم (عريزة) وهو يصع بده في حبيبه ويخرج
مبلعاً صرخاً آخر من المال ليعطيه لـ (منصور) قائلاً،

حد وصل قدوس كل شهر لأمك، الحمد لله ابي ما شوفهاش الشهر

د.

لم يكذب بعبارة حتى خرجت (عريزة) من غرفة نومها في ثوب منزلي
محشم وهي تقول بأدب:

- أنا أهويا حاج.

اتجهت (عريزة) إليه وجلست على مقعد مواجه له وخفصت عينيها
إلى الأرض وهي تقول:

- عايزاك في موضوع يا حاج.

- عايزة إيه؟

فألها (عبد الباقي) بقرف فعادت (عريزة) لتقول:

- مش عايزة أكلمك قدام العيال.

نظر لها (عبد الباقي) قليلاً متأملاً وجهها قبل أن يشير لـ (منصور)
(وسعيد) بالهوض فأطاعاه على الفور واتجها إلى غرفتهما، تبادل (عبد
الباقي) المظر مع (عريزة) التي تقول:

- أنا خايفة على (منصور)

- إيه اللي ناقصه؟

قالها مستفسراً بقليل من اللفظة والقلق فردت هي بأسف:

- ناقصه ما يبصليش بقرف. ناقصه يعترمي. يحبتي. (منصور)
بيعاملني كاني عدوته. مش قادر ينسى اللي شافه من 8 سنين...
- معديش هينمي.

قالها مقاطعاً إياها فانهار صوتها والدموع تتجمع في عينيها وهي تقول:

- إيه يا أخي رينا ببسامح وانت و(منصور) مش عايزين نسامحوني.
نهض وألقى بالحال على الكرسي الذي كان يجلس عليه قبل أن يتوجه
نحو باب الشقة وهو يقول:

- مش مش عايزين نسامح.. إحنا مش قادرين نسامح.

وصل إلى باب الشقة ففتحه ليخرج وأغلقه خلفه في حين بقيت
(عزيرة) في مكانها وهي تنتحب بصوت مسموع. أما (منصور) و(سعيد).
فقد كانا واقفين خلف باب غرفتهما المردود يستمعان إليهما منذ البداية.

صارت (عزيرة) وحيدة تماماً. تجلس وحدها. تأكل وحدها. تعمل كل
شيء تقريباً وحدها. كانت تدرك جيداً ما فعلته. لو استعرض المرء نتائج
فعلته قبل الإقدام عليها لما وجدت كلمة الندم.

لحظة ضعف أنهت على حياتها دون أن ترهق روحها. لا زالت تذكر
يوم نشبثت بيد (عبد الباقي) وقبّلت قدمه كي لا يقتلها. لقد ندمت لأنها
أخطأت وندمت أكثر لأنها لم تتركه ليقتلها عقاباً لها على فعلتها

فهذا العقاب الذي نعيشه أشد وطأة من القتل، لم يتركها إلا من أجل ولدتها التي صارت تحيا معها كالعربية الآن، عرفت فيما بعد أن (صالح) قد اختفى بعد تلك الليلة بعدما وجدوا دماء تغرق فراشه في غرفته على السطح لكنهم لم يجدوا أثرًا له، تمنيت أن يكون مصيرها مثله، برغم أنها تشعر بأن (عيد الباقي) وراء اختفائه أو قتله بمعنى أصبح.

لكن (سعيد) الذي لا تكن له مشاعر حالية اختفى وتركها تواجه نظرات الجميع وخاصة نظرات (منصور) التي تمزقها، لم تكن تعرف أنه في تلك اللحظة يقف خلف باب غرفة النوم الثانية ويحتلس النظر لها وهي جالسة على المائدة تاكل بمفردها من طبق صعب امامها.

العصب يهزوا ملامحه بقوة، أما هي فقد استغرقت في أفكارها، تسترجع شريط حياتها وهي تمصغ طعامها بشروء حين شعرت بالهم حاد مفاجيء في بطنها توقفت عن المصغ وتقلصت ملامحها لحظة وهي تمسك بطنها ثم ما لبث وجهها ان استعاد هدوءه، فقد زال الألم كما هاجمها فجأة، اندمشت (عريضة) قليلًا لكنها لم تعط اهمية للأمر وعادت لتكمل طعامها ظنًا منها ان ما حدث لم يكن سوى وعكة طارئة فحسب

ها هو ذا (منصور) يقف مع والده قرب باب الشقة يصافح آخر خمسة رجال في طريقهم للخروج، اللون الاسود يغلب على ملابس كل منهم، وكان وجه (منصور) الذي كان على أعتاب الثامنة عشرة من عمره - يحمل تعبيره الجامد المعتاد، أما الشقة، فقد خلت من كل مقاعده وأثاثها تقريبًا ليحل محل ذلك مقاعد خشبية متراصة، جلس

(سعيد). دو الخمسة عشر عامًا، على واحد منها بوجه أحمر وعيين غارقين في الدموع التي كانت ما تزال تنساقط على وجهه. كان (سعيد) يبكي بصوت حزنًا على أمه

- شكر الله سعيكم

قالها (منصور) لآخر المعزين قبل أن يفلق الباب ويتوجه نحو أحد المقاعد استعدادًا لتنظيف الشقة فأوقعه (عبد الباقي) بيده وهو يقول:

سبيك من ده. أنا بكرة هبعثلكم حد يروق البيت. تعالى دلوقت عنشان غابرك في موضوع انت و(سعيد).

اتجه (عبد الباقي) نحو (سعيد) وجلس على الكرسي المجاور له في حين تناول (منصور) مقعدًا ووضع قبالتهما ليجلس عليه منصنًا لوالده.

- عندي حاجتين عايز أقولهم. أولهم ما تحملوش هم شغل البيت بعد موت امكم. كل يوم الصبح بدري هاتجبلكم ام (صبيح) اللي شغال معاها في الدكان تنظم البيت وتحضرلكم أكل اليوم كله وتسببه في المطبخ. لغاية ما كل واحد فيكم بنجوز

صمت (عبد الباقي) قليلا وهو يخرج من جيبه علبة سجائر معدنية ليأخذ منها واحدة وينظر لولديه يسوع من الارتباك والقلق. وضع المسيجارة العريضة في فمه وأشعلها بعود من الكبريت قبل أن ينفث دخانها في الهواء ثم يقول بتروده:

- لما ماتت أمكم بعد ما اتعشت ونامت وطلبتوني في التلافون وجيت وشوفتها. خلصت كل حاجة بسرعة. تمسرح الدفن وشهادة الوفاة. وجبت مفصلة لغسل الجثة وما نقولش لحد على أي حاجة نشوفها. علشان الموضوع ما يدخلش فيه البوليس. لأنني عارف الحقيقة قولتلي يا (سعيد) إن أمكم بعد ما اتعشت بساعة جالها إسهال وترجيع؟
- أه.

قالها (سعيد) مجيبًا فعاد (عبد الباقي) ليقول:
- وأما عطار. ولما شفت الجثة عرفت اللي حصل.
صمت (عبد الباقي) بضع لحظات ثبت فيها عينه في عين (منصور) قبل أن يقول:
- أمكم اتسممت بالزرنبيخ.

هنا أدار (سعيد) عينيه هو الآخر نحو وجه (منصور) الجامد. ورغم تركيز عيني والدته وأخيه عليه، إلا أن وجهه ظل جامدًا بشكل غير مفهوم

الحكاية الرابعة
عماد الدين 2005

كان (عماد) يحمل حقيبة سفره الكبيرة في يد ولوحًا خشبيًا كبيرًا في اليد الأخرى وهو يعطو بداخل الشقة ويجعل عينييه يمسة ويسرة في أرجائها. وقعت عينييه على المحبضات المعلقة في صالة الشقة ولكنه لم يشعر بشيء نحوها، بل اعسرها ديكورًا سينا لا أكثر. اوما برسه في رضا وهو يقول للبواب الذي يقف حلقه حاملًا بفيه حقايبه - مثنى بطلاة

ترك (عماد) الحقيبة على الأرض وأسند اللوح الى الجدار قبل ان يلتفت إلى البواب ويضيف:

- بس أهم حاجة يكون فيها أوضة تنمع نيقى ستوديو ري ما فهمنت أنا مستخدم الشقة للتصوير.

طبعًا يا بيه، الشقة دي أصلًا كانت بناعة واحد مصوراتي، أنا هوربك الأوضة بمسي.. تعب احط الشسط في؟
- خلهم هنا على جنب.

وضع لبواب العقبتين بحرص على الأرض ثم اتجه نحو العرفة لثالثه وطلب من (عماد) ان يتبعه قانلا - اتفضل يا بيه، اتفضل.

فتح باب العرفة ودعا (عماد) للدخول وهو يقول
- الأوضة أهيه، شوفها بنفسك.

دحل (عماد) العرفة وأجال بصره فيها قليلًا قبل أن يقول

- هي قديمة شوية ومتريزة قوي، بس تمام.

ارتسمت ابتسامة مجاملة على وجه البواب وهو يقول:

- حضرتك تؤمر بحاجة ثانية؟

أخرج (عماد) من جيبه مبلغاً من المال وصبعه في يد الحارس قائلاً:

- ربنا يخليك، بس فيه في بير السلم تحت شوية لوح وصندوق.

طلعهم لي. وحاسب ع الصندوق علشان جواه كومبيوتر.

- ما تخلي طيب.

قالها البواب بلهجة غير صادقة وهو يتناول النقود فعلاً فرد (عماد).

- معش خليه علشانك.

قالها (عماد) وهو يخرج هاتفه المحمول من جيبه وينظر في شاشته فقال البواب:

- على فكرة يا بيه، التلاجة اللي سابها المسكان القدام هي واليونجاز

أنا انطمتلك عليهم وشغالين زي القل. استأذن أنا عشان أطلع بقية الحاجات

أوماً (عماد) براسه وهو ما يرال مدشغلاً بهاتفه فخرج البواب من الغرفة في حين اتصل (عماد) برقم ما وانتظر يضع ثواب قيل أن يقول.

- إزيك يا (سارة).

جاءه صوتها المرح وهي تقول:

- (عماد)، ازيك، وحشتني.

وانتي أكثر.. بقوللك. عندي ليكي مفاجأة

- مفاجأة. خير؟ طلب انت فين طيب؟

- لا ما هي دي المفاجأة.

- تبقى لقيت الشقة اللي هتعمل فيها الاستوديو

- وهي دي ميزة إنك تبقى خاطب واحدة ذكية

بعتاب ضاحك، قالت (سارة).

- وانت خطبتني بس عشان أنا ذكية.

تصنع (عماد) الجدية وهو يقول.

- أو مال انتي فاكدة إن أنا خطبتك ليه؟

- يعني عشان بتعجبني مثلاً

- لا طبعاً مش حقيقي. أنا خطبتك عشان انتي ذكية، لكن هتجورك

عشان بحبك. وكمان ما نيمش أهم ميزة فيكي.

- ايه ؟

انك بتكلميني بمعن وانا برد عليك بطريفة أمعن

- أمعن !!

اتجه (عماد) نحو الكرسي الخشبي الوحيد الموجود بداخل الغرفة

وجلس عليه قائلاً:

- سيبك انتي ؟ تعرفي إن المشقة مش بظالة. جاهزة امها تكو
ستوديو تصوير. النهاردة بالليل بالكثير هكون خلّصت كل حاجة. يعني
من بكرة ممكن تعملي دعاية. وتبعيني زباين كمان.

- أكيد طبعا يا حبيبي.

التقط (عماد) نبرة حزن خفيفة ظهرت في صوتها فقال باندماش:

- إيه ده انتي مش فرحانة ولا إيه؟؟

ردت (سارة) بسرعة:

- لا يا روجي فرحانة طبعا بس.. كان نفسي يعني تفصل معانا في
الجرنال.

وأنا كمان والله يا (سارة). بس انتي عارفة بقى اللي حصل. ومين
عارف مش يمكن كده أحسن ليّا وليكي؟
- يمكن.

قالتا بتهيدة ولهجة غير المقتنع فقال هو بسرعة مهنّا الموضوع. كانه
لا يريدما أن تتطرق إلى تفاصيله:

- يلا بقى روجي كمالي شغلك وأنا كمان هشوف هعمل إيه عشان
البواب كده شكله طلع الحاجة. وهبقى ابعثلك العنوان في رسالة.

- أوكي. باي باي.

- باي باي يا حبيبيتي.

أعلق هاتفه المحمول ونظر للأعلى مبتسما وهو يقول:

«موت في معن أمها.

لم يكن البواب قد حصر فعلاً كما قال (عماد) ولكنه تحجج به كي يتمكن من إنهاء الموضوع وإغلاق الخط مع (سارة). فهو يعرف جيداً أنها ستدخل في تفاصيله التي يكرهها. ويعرف أيضاً أنها تفعل ذلك بدافع الحب ليس إلا، لذا لم يجد امامه شيئاً إلا التهرب.

نهض من على المقعد وهو يدور ببصره في العرفة قبل أن يخرج منها ليتفقد بقية الشقة القديمة المترية. إن امامه من العمل الكثير فعلاً، وهو عارم على ان يشغل نفسه به وبحياته الجديدة. ويحاول نسيان ما مضى.



وقف (عماد) أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به والذي انتهى حالاً من وضعه وتركيبه على منصة جانبية صغيرة في الصالة. اختار بضعة مقاطع من الموسيقى الكلاسيكية التي يحبها وقام بتشغيلها لتصدح في أنحاء الشقة التي كان قد انتهى من تنظيف جميع غرفها فيما عدا عرفة الاستوديو التي قرر تركها للهاية حتى يستكشفها بهدوء.

وبضبطها بـ "مزاج". هكذا قال لنفسه وهو يحمل حقابه ويتجه بها نحو غرفة النوم الرئيسية ليضعها على الفراش الكبير ويفتحها. أخرج أحد قمصانه المحشورة داخل كوم الملابس بالحقبة، تدرجت بعض الملابس لتسقط نعضها على الفراش وإحداها سقطت على الأرض. مال بجذعه كي يلتقط ما سقط أرضاً ففُئِلَ إليه أنه رأى شيئاً ما تحت الفراش.

جثا على ركبتيه يدقق البظر ليفاجأ بالثعبان المنحط. استعص وهو
يتراجع زحفا للوراء وبشيق. سكت ثوان وهو ينظر له ثم اقترب ببطء
يتأمله وهو يلتف حول نفسه بثبات.

- يا ولاد الوسخة يا مجانيين - حد يشتري تعبان منحط

لمسه بيده وابتسم وهو يسحبه ويرفعه ليضعه على الكومود ويتأمله
وهو يتمتم

- ولاد مجنونة بصحيح

التفت نحو الدولاب الضخم وفتح إحدى ضلعه اليمني ليبدأ برص
ملابسه بالداخل.

انتهى (عماد) من رص جميع ملابسه بسرعة ودون الحاجة إلى ضئف
الدولاب اليسرى.

اتجه إلى غرفة التصوير ووقف ينظر إلى كميات الفبار الهائلة التي
نغطي كل شيء قابتسم ساخرًا وهو يقول لنفسه:

- استعنا على الشقا بالله.

وقعت عينيه على مجموعة كبيرة من الصناديق في أحد الأركان
فتوجه نحوها وراح يريح الفبار عنها ويتفحصها مُزِنًا الفارغ منها جانبًا.
ووسط كل تلك الصناديق المغتررة وجد (عماد) علبة صغيرة من الكارتون
نعب حتى أزال التراب المتراكم فوقها ليقرأ ما كتب عليها بصعوبة.

- يا نهار ابيض. فيلم (كوداك) من الأربعينات. ايه المتحف اللي انا دخلته ده؟؟

وصع (عماد) اللعبة جانباً ليكمل عمله في الغرفة وهو يُحدّث نفسه قائلاً:

- ماشي يا بواب الكلب. بتقولي شقة كانت ستوديو قبل كدة. وسيت بصولي إنها كانت ستوديو من القرن اللي فات. ده انا محتاج معجزة علشان انقلبها لقرن ده.

نعثرت يده في صندوق نحاسي مرخوف مفلق. حاول فتحه فلم يفتح قائلاًه جانباً.

- فيه تصوير أفراح هنا؟

- طبعاً يا فندم. فرح مين ؟

- فرح (سارة) و(عماد).

- تقصدي فرح (عماد) و(سارة).

- لا أحنأ كده نلغي الفرح.

قالتها (سارة) واستدارت متظاهرة بالرحيل فامسك (عماد) بسراعا وهو يضعك قائلاً:

حلاص خلاص. هيمشيها (سارة) و(عماد) يس يتجوروا

ضحكت (سارة) أيضًا و(عماد) يجذبها معه داخل الشقة ويعلق الباب خلفهما وهو يقول:

- اتمضلي يا فندم في ستوديو (كلاسيك)

دخلت تنظر لصالة الشقة ف وقعت عيناها على المحيطات .

- أعوذ بالله. إيه ده .

- أه انتي تقصدي الأصنام دي. سيبك منها دا تلاقي صاحب الشقة كان مجنون ولا حاجة.

ضحكت (سارة) وهي تقول.

- مش هيكون أجن منك.

وقعت عيناها على "الجرامافون" فأشارت له متسائلة فردّ عليها.

- لا الجرامافون ده علشان ترقصلنا عليه .

انفجر الإثنان في الضحك لعدة ثوان قبل أن تربت على ذراعه وتقول.

- ألف مبروك يا حبيبي.

أمسك يدها وهو يقرئها من فمه ويطبع عليها قبلة فابتسعت. اقترب منها وهو يصمها إليه ويقبل شفرتها بعنف بينما أغمضت عيناها وهي تبادلته التقبيل بعنقب أكثر استمر لثوان قبل أن تبعد رأسها ورفرة شوق تخرج من شفرتها .

طب مش هتوريني الشقة الأول.

تأمل وجهها وهو يقول:

- هو لازم دلوقتي.

- نشوف الشقة وأنا ملكك بعد كدة.

قالتها بدلال وهي نعلت من بين يديه بحمة فتركها مبتسما وهو يسير بجانبها ناحية إحدى الغرف.

- بصي. أوضة التصوير هناك أهيه.

- مخش اشوفها دلوقتي لكن عابرة أكلحك في موضوع الاستوديو ده مرة أخيرة.

قلتها بجديفة فتغبر وجهه واتجه نحو احد مقاعد الصلاة ليجلس عليه مشيرًا له كي تجلس بجواره وهو يقول بملل

- تاني هتقوليلي اشوف جرمال تاني غير اللي اتعرفت منه

جست على المقعد وهي تقول بطريقة لينة محاولة إقناعه

- إنت منكش ديب في رعدك. ربمس التحرير الجديد كان مستقصبك

من يوم ما صممت نشر الصور اللي لقطتها في حادثة عربية ابن رئيس الوزراء اللي خبطت طالب الهندسة.

- على العموم ادبي ارتحت وهشتغل لوحدي من دلوقتي.

- بس انت كنت بتحب التصوير في قسم الحوادث

اعتبريني أحدث أجارة من تصوير الجثث وهصور الصباحيين

قالتا بابتسامة شبه ساخرة فتهدت وهي تقول.

- يعني مقبش أمل إنك تقدم في اي جرنال ؟؟

- محدش عارف إيه اللي هايحصل بكرة

أومات برأسها وهي تنظر أمامها بمرود قائلة.

- اه.. فعلاً.

- شكك مش مقتنعة بكلامي.

أدارت عينيها نحوه لتجده ينظر إليها نظرة فاحصة تكاد تفضح عدم اقتناعها. أسرع لتقول:

- لا يا حبيبي. طالما القرار ده هيرحك يبقى انا معاك فيه

نظر لها قليلاً بغير تصديق فارتبكت راسمة ابتسامة واسعة على شفتيها وهي تقول:

- هتبدأ الشغل من إمتى بقى؟

• من دلوقتى. أنا ظبطت الأوضة وبعد بكرة إن شاء الله هروح أقدم ورقى علشان أخد الترخيص وأعمل سجل تجاري وضريي. ولما بيعجوا يعاينوا علشان بدوني الرخصة هبقى احط يافطة برا.

وانا هبعثك أي حد اعرفه عاير يتصور. وهاقول لكل زمايلنا في الجرنال على عنوان الاستوديو.

نظر لها بابتسامة معتمة ثم اقترب منها قليلاً بوجهه وهو يقول:

بقولك.

رفعت عينيها إليه بتساؤل فتابع:

- ما تيجي أفرجك على أوضة النوم.

ردت بدلال:

- اشمعني؟

- هفرجك على التعبان اللي جوه.

ضحكت وهي تزح وجهبها عنه مبتسمة فرد هو:

- متخليش مخك بروح ليعبد. فيه تعبان جوه بجد.

- نعم؟

- بس متعنط ما تخافيش

تبع عبارته بنهوضه وهو يمسك يدها ويجذبها ناحية الغرفة
ووجنتاها تزداد احمرارا لا إراديا وهي تنسم بخجل. بينما هو يقول:

- كتي فاكراه صاحي وبهلع مش كده

في ظلام الغرفة الذي لا يبدده جزئيا إلا بعض الضوء القادم من
الصالة، (عماد) يغط في النوم على الفراش الكبير، المكان هادئ ولا يكاد

يسمع سوى صوت أنفاس (عماد) المنتظمة الهادئة. وصحافة. رن جرس الهاتف في الصالة.

تقلب في رقدته وأفاق جزء بسيط من عقله وهو يفتح عيناً واحده مذهشة ليتبين ما هناك. أغلق عينيه بقوة لثواب ثم عاد ليفتحهما مع ويرفع نصف جسده فقط من الفراش و.. مهلاً. هناك كتلة ظل سوداء موجودة معه في الغرفة

كتلة لها حدود الجسد النشري. بل هو فعلاً سيلوبت لرجل يقف قرب الفراش الذي يرقد عليه. وفي الضوء الخافت تبينت عين (عماد) المذهولة معالم ذلك الرجل النحيل ذي الشارب الرفيع في فرع. الرجل يرتدي بطلوناً من التماش معلق بحمالتين على قميص أبيض تنوث عند اليافعة بدماء تنزف من جرح عرضي بالعنق.

نعم فقد امتلأ وجه الرجل بالجروح إضافة لجرح عنقه. مذبوحاً ويقف على قدميه أمام (عماد) مشيراً إليه بإصبعه.

رنين التليفون ما زال مسنماً لكنه تحول من كونه أمراً عربياً أو منيراً للمذهشة إلى نوع من ضجيج الخلقة بالدسية لـ (عماد) مقارنة بذلك الرجل المذبوح الذي يقف على بُعد خطوات منه

لم يُلغ عقل (عماد) صوت الرنين وإن تجاهله قنبلاً وهو يرمش بعينه عدة مرات قبل أن يفتحهما عن آخرهما حين تأكد أنه يرى ما يراه فعلاً. ورغم رعبه. والشميل الذي شعر به في لسانه. إلا أنه وجد نفسه يهتف بصوت خافت مخنق:

- إنت مين؟؟

لم يفعل الرجل سوى أن ادار يده ليشير بها نحو الدولاب أمام عيني
(عماد) المتسعتين. كان جسده يرتجف بشدة وقلبه يدق بقوة. والرجل ما
برال واقفًا والجرس يرن في الخلفية. وهجاء. شعر (عماد) بانتماصة فتح
معها عينيه وصحا من نومه

أول ما فعنه هو أن دار بعينه في الغرفة بسرعة بحثًا عن ذلك
الرجل أو عن أي شيء غريب. تحركت شعثاه بهبارة "الحمد لله" حين
وجد الغرفة خالية تمامًا.

الأمر اندي أكد له أنه كان فعلاً يعلم. أما جرس الهاتف فما زال
يكمل رنبيه كما في الحلم. ورغم تعجب (عماد) من اتصال أحدهم به في
تلك الساعة وهو نفسه لا يعرف رقم هاتف الشقة ولا إن كان به حرارة
أم لا. إلا أنه نهض من فراشه وخرج إلى الصالة ليرد.

بحث عن مصدر الرنين بأذنه التي قادته إلى الركن الذي تقع فيه
الطاولة التي وُضع عليها التليفون الأسود القديم. ركع على إحدى ركبتيه
بجوار الطاولة ورفع السماعة ليصعها على أذنه وهو ما يزال على دهشته
حين سمع صوتًا عميقًا يقول:

(سرة) بتحبك أوي يا (عماد). وعلشان كده دايماً بتجاملك، إنت
ما انطردتش من الجرنال علشان رئيس التحرير بيكرهك. إنت انطردت
علشان شغلك بقى أقل من إيه بتعرض قدام الناس. أنت احترت تصور
الجنت لأن عمرها ما هتعرض على بصويرك. الحقيقة إنك فاشل في
التصوير. وكنت بتهرب لقسم الحوادث لأنه أسهل عليك.

صرخ (عماد):

- مين اللي بيتكلم!!

- واحد من اللي صورتهم بمن مكانش قادر يقولك رأييه في الصورة

- ومكنتش قادر تقول رأيك ليه؟؟

- مش قلتك الجثث عمرها ما متعترض

ظل (عماد) صامتا للحظات بعد الصدمة التي سمعها والتي جعلته
يصرخ بخوف وبأعلى صوته:

- إنت مين؟؟؟؟

لم يجد جوابا على سؤاله سوى الصمت التام مما جعله ينظر إلى
الهاتف ليتفحصه بعينين متسعيتين. فعندما جذب السلك لم يجده
متصلا بقابس ولا بأي شيء، بل وجده ملفوفا على نفسه بإحكام كأي
سلك لم يستخدم منذ مدة طويلة

ظل ثابتا لعدة ثوانٍ وقد تجعدت كل من يديه، اليمى الممسكة
بالسماعة والبسرى الممسكة بالسلك. قبل أن يترك الهاتف وينهض من
مكانه بشروط.

كان شاردًا إلى درجة أنه ظل واقفا في الصالة أمام الغرفة كأنه لا
يدري أين يذهب أو يتجه. وقبل أن تخطو قدمه خطوة واحدة نحو

العرفة التقطت عيه من داخلها مشهداً لصلفة الدولاب اليسرى وهي
للتفتح من تلقاء نفسها بهدوء.

لم يفق (عماد) بعد، رعم القهوة السادة التي شربها والمياه الباردة
التي استحم بها، فقد كانت الأحداث، أو الأحلام كما أقنع نفسه، التي
وقعت الليلة الماضية ما يزال تؤثر على عقله منذ أن استيقظ، أو بمعنى
أدق منذ أن غادر الفراش، فهو لا يعرف فعلاً متى ولا كيف نام

لا يعرف حتى إن كان قد نام أصلاً، المهم أنه حاول أن يكون عملياً
وأن يرمي بكل هذا وراء ظهره وهو يقف خارج الشقة ليبحث بالقرب من
بابها لافتة متوسطة الحجم قد أحصرها معه كُتب عليها عبارة "استوديو
كلاسيك للتصوير" بخط أنيق، أسعها سهم يشير إلى الباب الذي تركه
مفتوحاً كان حلاً مؤقتاً حتى يمكنه من تعليق لافتة تطل على الشارع .

- استوديو كلاسيك؟

النفث (عماد) بهدشة وهو يجلس أمام الكمبيوتر في الصالة، إلى
الفتاة الشابة التي تقف على باب الشقة وهي تقول عبارتها بابتسامة
جديها بابتسامة مماثلة وهو يقول في نفسه بانه من المستحيل أن يعرف
أحد الزبائن موضع الاستوديو الآن، نهض من مكانه مشيراً لها بالدخول
قائلاً.

- أه يا فتدتم اتفضلتي.

دخلت الفتاة الشقة وهي تقول:

- محتاجة اتصور صور شخصية وكارت من فضلك.

- نعت أمرك. بص الاستوديو هنا هيقدم لحضرتك 3 كروت مختلفين هدية على الصور الشخصية.

يبقى فعلاً (سارة) كان عندها حق لما عرفتني المكان هنا.

ازدادت ابتسامته أكثر وقد فهم أن خطيبته تجامله ببعض اصدقائها كزباني له. بالتأكيد اجبرتهم على المجيء

أشار لها بأدب إلى غرفة التصوير كي تتقدمه إليها وتدخل إلى العرفة التي تغيرت تماماً الآن. فقد نقلها (عماد) فعلاً إلى هذا القرب. وحولها إلى غرفة تصوير حديثة بعد أن كانت غرفة كراكيب متربة بعد أن نقل كل ما بها لغرفة النوم الصغيرة.

كانت تحوي مقعداً صغيراً وضع أمام خلفيات متحركة وأمامه كشاف إضاءة (ستاند) وكاميرا ديجيتال ذات عدسة موضوعة على حامل ثلاثي الأرجل.

دعا (عماد) الفتاة للجلوس على المقعد وأشعل كشاف الإضاءة ليوحيه نحوه ثم وقف خلف الكاميرا وقال:

- ارفع ي راسك شوية.. نزلها سنة. يمينك. كمان شوية، أيوة، ابتسمي كدة.. تمام.

صقط زر الكاميرا فظهر المشهد الملتصق أمامه على شاشتها الصغيرة. مشهد الخدمية والمقعد والفتاة المبتسمة التي تجلس عليه كان المشهد في الواقع هو نفسه المشهد على الشاشة الصغيرة ولم يكن بينهما سوى فرق واحد فحسب. أن الفتاة الظاهرة على الشاشة ليست هي التي تجلس فعليًا على المقعد أمامه.

بيدين مرتبكتين وعينين حائرتين. راح (عماد) يقلب في الكاميرا متعصيًا إياها بعد أن رفعها من على حاملها. ورغم عدم فهمه لما حدث إلا أنه حاول الابتسام وهو يقول للمتاة

- أأ أعتمد أسأ هأأأ صور الكروت الأول ونرجع للصور الشخصية في الآخر. أفي ورئعي إيدك بعد إذك وألي جسمك بأصص للميمي ووشك بأصص لي.

بهضت المتاة بسأطة وفعلت مأ طلبة (عماد) الذي أضط زر مرة أخرى ليتكرر نفس مأ أأ في المرة السأفة. اللقطة وأأة والزأوة وأأة لكن الفتة ليست هي. الفتاة المبتسمة الظاهرة على الشاشة هي نفس الفتاة العربية التي طهرت في الصورة السأفة. لكأ الآن وأمة بمص الوضعية التي تفك بها المتاة الحقيقية

شعر بالارتباك والدهشة ورفع الخجل أرة أرة جسمه قبلأ وهو بمسك بالكاميرا وبشرب من الفتاة ليلنقط لها صورة ثانية وثالثة. طلب من الفتاة أن تغير وضعية جسمها مرة وأثنى لكن النتيجة ظنت وأأة.

في كل مرة تظهر تلك الفتاة التي لا يعرف من أين أنت لتظهر على الشاشة ،
مبتسمة ومتخذة نفس وضعية الفتاة الواقفة أمامه.

نبئت حبات صغيرة من العرق على وجه (عماد) الذي بدت الدهشة
واضحة عليه رغم إخمائه لها في صوته وهو يقول:

أسف يا أنسة. بس الكاميرا فيها عطل. لو ينفع تشرفيني بكرة
علشان تتصوري وهتكون الصور الشخصية والكروت مجالية اعتدرا
من الاستوديو على وقتك اللي صاع.

تعجبت الفتاة قليلاً إلا أنها هزت رأسها بتفهم وهي تقول:

- مفيش مشاكل. هاجي بكرة ثاني. بس هدفك تمن الصور الشخصية.

- يا فندم حضرتك تنورينا في أي وقت. ومش هتختلف على أي
حاجة.

خرجت الفتاة من الغرفة وهي تتبادل الابتسامات الدبلوماسية مع
(عماد) الذي انتظر حتى سمع صوت قدميها تغادران الشقة ليقول محدثاً
نفسه وهو ينظر إلى الكاميرا بملء:

- هي الكاميرا باظت والا إيه؟؟ بتعرض صور متخزنة عليها مثلاً؟؟

استعرض صور الفتاة وتأمل ملامحها الجميلة وملابسها القديمة
التي لم يكن قد انتبه إليها في البداية وهو يقول:

ومين دي وإيه اللي جايها في الكادر؟؟ إيه ده ؟؟

عاد يستعرض الصور مرة أخرى مركزًا في تفاصيلها. كانت المئات
تملك جسدًا صليلاً وملامح دقيقة منمّنة. أما عيناهما الخصران فقد
كانتا تشعان وسط وجهها الملانكي الذي يحيط به شعر أسود قصير و
فجأة انتبه إلى تفصيلة أخرى عاية في الأهمية لم يكن قد انتبه إليها
أيضاً. تفصيلة عربية جعلته يهتف بدهشة قائلاً:

« ده الخلفية دي غير الخلفية اللي انا حاطتها دلوقت
!!!!!! »

أخذ (عماد) الكاميرا معه وخرج من الغرفة إلى الصالة ليقف أمام
طولة السمرة الضخمة ويجرب أخذ نقطة عثمانية لها ..
- إيه ده !!!

قالها (عماد) وهو يلتفت للخلف حين أظهرت شاشة الكاميرا صورة
ثابتة لمسيحة جالسه على السفرة تاكل.

■

..كانت (عزيزة) تدرك جيداً ما فعلته. لو يستعرض المرء نتائج فعلته
قبل الإقدام عليها لما وُجدت كلمة الندم في قواميسنا...

- أنا مش فاهم "

قالها (عماد) وهو ينتظر إلى طاولة السفرة الحالية أمامه، ورغم وزعه مما رآه إلا أنه رفع الكاميرا مرة أخرى ووجهها في اتجاه عشوائي آخر. وجهها نحو أريكة الصالة ليظهر على الشاشة أمامه صورة ثابتة لرجل يقرأ الجريدة ويجواره فتاة تنظر نحوه وترفع يدها كأنها تحدثه وهو غير منبه لها.

خُيَّم الصمت عليهما لدقيقة أو اثنتين لم يُسمع ههما سوى صوت تقليب أوراق الجريدة في يد (سامح) الذي ظلت عيناه مركبتين على الجريدة فلم يلحظ التردد اليادي على وجه (دعاء)، والتي راحت عينها تتحركان بتوتر كأنها تكرر كيف تبدأ كلامها.

تأرجعت مشاعر (عماد) بين الخوف والمضول وهو ينتظر حوله في أنحاء الشقة متراجعا بخطواته. لا يدري إلى أين. فمن الواضح أن كل ركن هنا يظهر كادراً عربياً إذا تم لقطه على شاشة الكاميرا.

رفع يده مرة أخرى ليلتقط صورة للطريقة المؤدية إلى الحمام والمطبخ. أظهرت الصورة شاباً يمسك سكيناً ملوثاً بالدماء ويقف على باب المطبخ كأنه يهم بالدخول إليه.

تعالَت أنفاس (عماد) واتسعت عيناه من شدة الخوف لكن فصوله غلبه ليجري نحو المطبخ وليلتقط صورة أخرى لدخله ليرى على الشاشة منتظراً بشغاً لشابين قتيلين ملقيين على الأرض غارقين الدماء وقد انغرس

سكين في ظهر أحدهما، شقيق وتراجع حتى اصطدم بالحائط المقابل وهو
يشعر بغثيان ودوار يكاد يسقط الكاميرا من يده.

سالت دموع (سيد) بعرة على وجهه وهو يرى صديقه الثاني يسقط
قرب الأول والسكين التي قتلها بها مغرسة في ظهره.

المسكين اللقطة الأولى كانت تظهر شاباً يمسك سكيناً ويقف على
باب المطبخ. نفس المسكين كان موجوداً في اللقطة التالية ولكنه كان
منغرساً في ظهر واحد من القتيلين. الأمر يشبه القصة المسلسلة إذًا، هذه
الكادرات تظهر أحداثاً وليست مجرد مشاهد عشوائية.. هكذا فكر (عماد)
وهو يعود بهمة إلى الصلاة وعبادة تدور حول حوله في حركة سريعة متوترة.
رفع الكاميرا ليلتقط "كادرًا" آخر. ظهر فيه رجل وفتاة يتعانقان و.. تلك
المناعة، إنها نفس الفتاة التي كانت تظهر في غرفة التصوير بدلًا من
الزبونة!

فجأة طرأت فكرة في عقل (عماد) إثر تذكره لموضوع الزبونة، فكرة
جعلته يسرع إلى غرفة التصوير ويلتقط حقيبة جلدية صغيرة على مقاس
الكاميرا ليضعها بداخلها ويعلقها على كتفه ثم يخرج منها ويسرع مرة
أخرى نحو باب الشقة ليمتعه ويغلفه خلفه بسرعة وعنف وهو يخرج
راكضًا.

- (عماد)!

قالها (سارة) بابتسامة واسعة وقليل من الدهشة وهي تنظر إلى (عماد) الذي وقف على باب مكتبها في الجريدة بوجه شارد زانغ العينين وأنفاس لاهثة.

كان المكتب عبارة عن غرفة متوسطة تحوي ثلاثة مكاتب من ضمنها مكتب (سارة) بالإضافة إلى مكتبين إضافيين لزميلين آخرين بدت على وجهيهما الدهشة أيضًا وهما يتحضان مبتسمين لتحية (عماد) الذي صافحهما بشروء وهو يمر رأسه لهما في صمتٍ بابتسامة سريعة قبل أن يتجه بلهفة إلى مكتب (سارة) التي راحت تمرر يدها بسرعة على شعرها لتضبطه وهي تقول:

- إيه المفاجأة الحلوة دي، ليه ما قلنلبش إنك جاي؟

- أصلك يا وحشتيني فقلت أحي.. أشوفك.

نظرت بعيرة وقلق إلى وجهه الشاحب وعينيه الزائفتين وصدره الذي ما يزال يعلو ويهبط بقوة وإن خفُ لهائه قليلًا. ثم أشارت إليه ليجلس وهي تقول:

- طب اقعد ارناح يا حبيبي وأنا هجيبلك شاي دلوقة.

- لا لأمش عايز.

فأطعها بسرعة بعبارة فتعجبت أكثر من طريقته في الرد وقالت ببطء وهي تتأمله بعيرة ودهشة:

- طب اقعد طيب.

- لا مش وقته. بعدين بعدين.

يقفي وتساؤل بطرت له وهي تقول:

- مالك يا (عماد)؟ إات كويس؟

- ما تبغي نتصور.

قالها فجأة كأنه لم يسمع سؤالها.. اتسعت عيناها وكادت الدهشة
تفمر من وجهها وهي تقول باستعراب:

- نتصورا دلوقتي!!

بابتسامة باهنة مصطنعة أنزل حقيبة الكاميرا من على كتفه
وأخرجها منها وهو يقول:

- أه. أنا وانب، أنا معايا الكاميرا أهو.

اتبع عبارته بأن اتجه نحوها ووقف بجوارها وهي ما ترال مدهشة
مطلقة ضحكة قصيرة:

- إشمعني يعني؟

لم يجيبها، ولكنه اقترب منها بجسده وهو يرفع الكاميرا لتواجهها أمام
أعين رمبي (سارة) اللذين ثبا «لا النظر باندهاش خفيف وإن أخفياه
متظاهرين بعدم النظر الهما مباشرة. لم يعرفهما (عماد) أي ابتاه وهو
يضغط زر الكاميرا ليلتقط الصورة قبل أن يتنعد عنها قليلاً مقرّباً
الكاميرا من عينيه بلهفة وهو يعود ليضبط أوضاعها كي تعرض آخر صورة
تم التقاطها.

- خير؟

قالتا بمضول وتساؤل وهي تمظر له باستغراب شديد فلم يجيبها، كان عقله وعياده معلقين بالصورة المعروضة أمامه، الصورة التي يظهر فيها هو و(سارة) بطريقة طبيعية تمامًا، بنفس الخلفية ونفس الراوية التي تم النقاط الصورة بها، رفع عينيه أمامه في شرود قبل أن يتجه نحو باب المكتب قائلًا:

- سلام دلوقت.

- سلام! استنى يا (عماد).

قالتا بدهشة وهي تسرع لتقف أمامه وتقطع طريقه قبل أن تعود لتقول:

- فيه إيه؟؟

لم يتمكن رميلا (سارة) من إبعاد أعينهما عن المشهد في انتظار إجابة (عماد) الذي قال بالقنضاب:

- مقبش..

- مقبش أزاى! إنت شكلك غريب أصلاً من أول ما دخلت، وبعدين..
إنت بجد جيت هنا بس عشان تنصور الصورة دي وتمشي؟؟

- أه، عادي يا (سارة)، عن إذتك دلوقتي وهكلمك بالليل

قالتا (عماد) بسرعة وهو يدور حول (سارة) ويتجه نحو باب المكتب ليخرج أمام عينيه المتسعنين اللتين راحتا تتابعانه وهو يعبث نفسه بصوت غير مسموع ويهرول في الرواق حتى ينحني عند المنعطف المؤدي إلى السلم ويختفي.

- المشكلة مش في الكاميرا.

هبط (عماد) من سيارة اجرة على بعد أمتار قليلة من العمارة التي يسكن بها ومضى يسير بشرود نحوها حين قال تلك العبارة محدثاً نفسه. وصل (عماد) بعد حوالي نصف دقيقة من السير التثبث ودلف إلى المدخل وهو ينظر يمينا ويساراً باحثاً بعينه عن عرفة البواب حتى وجدها فطرق على بابها المغلق بلهفة

- خيراً يا به؟؟ تحت أمرك.

قالها الحارس وهو يفتح الباب بشيء من الملل فسأله (عماد) بلهفة:

- قل لي الشقة اللي انا قاعد فيها مين كان ساكنها قبلي

تعجب البواب قليلاً من السؤال لكنه أجاب قائلاً:

- واحد مصور زي حضرتك كدة كان قاعد فيها زمان أوي هو واخوه الصغير.

- محدش سكن قريب؟

صمت الحارس قليلاً وهو يُجِيز النظر في (عماد) قبل أن يقول بتساؤل:

- بتسأل ليه يا به؟ هي الشقة مضايك في حاجة؟

أخرج (عماد) من جيبه مبلغاً من المال وهو يقول:

- طب افكر يس من كان ساكن قريب في الشقة. لأنني ممكن ادور على أسماءهم لوحدي.

لم يأخذ البواب النقود ولم يتكلم حتى وضع (عماد) المبلغ في يده فظل صامتاً متردداً لعدة ثوابٍ أخرى قبل أن يقول:

- من كام سنة كان فيه ثلاث شباب سكنوا فيها. وبعد كام يوم من سكنهم واحد منهم قتل الاثنين التانيين.

اتسعت عياده قليلًا وهو بتذكر إحدى الصور التي التقطها داخل الشقة

- وبين ثاني؟

- من سنتين كان راجل ومراته، والراجل قتل مراته بعد ما شك انها بتخونه.

هذه المرة تمكّن (عماد) من مداراة التساع عينية ولم يظهر من وجهه سوى الجمود. بلا حديث ترك البواب المدهش واتجه نحو السلم ليصعد خطواته مفكرًا بصمت حتى وصل إلى الطابق الثالث حيث تقع الشقة.

اتجه نحو الباب وفتحه ليدخل ويقلقه خلفه هدير ثم اتجه نحو أحد مقاعد الأتربة في الصالة وجلس عليه وعقله يس من شدة التفكير. خفض رأسه وهو يراجع الأحداث السابقة في ذهنه مشهدًا مشهدًا ولكن بصورة عكسية. الصور تتلاحق في عقله والعيارات والجمال تعيد نفسها في أدبيه ومشهد الرجل الذي وقف أمامه في الحلم يعود مرة لخياله. وكأنه يراه أمامه مرة ثانية .. شيق وهو يدقق فيما يراه..

نفس الرجل يقف الآن مرة ثانية أمام (عماد) الذي انفتح فمه تلقائيًا لا لهصرخ وإنما لعجره عن السيطرة على عضلات فكه الذي ارتجف بالتزامن مع إحساس البرودة في أنامله. كأنه يقبض على مكعبات من الثلج. ظل ينظر في عين (عماد) دون أن يتحرك أو يتكلم. القريب أن هناك لمحة من الحزن تشع من عينيه. لمحة التقطها (عماد) لكنها بدت له وقتها غير ذات قيمة على الإطلاق. ارتجفت شعنا (عماد) بقوة أكبر وهو

يتطلع إلى السواد العائر أسفل عيني الرجل، إلى الدماء الجافة على قميصه وتلك التي لا تزال تسيل من جرح عنقه.

فجأة، تحرك الرجل من مكانه ليسير بخطوات بطيئة نحو غرفة النوم الرئيسية ويختفي بداخلها، ظلّ (عماد) جالماً في مكانه لا يدري ماذا يفعل، ظلّ صامئاً ثابتاً حتى سمع صوت صرير يبدو كما لو كان صادراً عن فتح باب أو ضلفة.

بصدّ راح يعلو ويهبط بعنف فيما يشبه اللهاث. بهض من مجلسه على ساقين مرتجنتين واذناه تطنان بشكل غريب، سار بخطوات مترددة نحو غرفة النوم الرئيسية حتى وصل عند بابها ليُجِبَ بصره بداخلها بسرعة وخوفٍ دور أن يدخل، كانت العرقة خالية تماماً، لكن ضئمة الدولاب اليسرى مفتوحة عن آخرها كأنها تدعوه كي ينظر بداخلها. وفجأة، تذكر (عماد)..

لم يفعل الرجل سوى أن أدار يده لينشير بها نحو الدولاب أمام عيني (عماد) الملمعتين.

قبل أن تخطو قدمه خطوة واحدة نحو العرقة، التقطت عينه من داخل مشهداً لضلقة الدولاب اليسرى وهي تفتح من نقاء نفسها بهدوء

إنها المرة الثانية. المرة الثانية التي يرى فيها ذلك الرجل. والمرة الثالث أيضاً التي تتمتع فيها هذه الصلقة وحدها. لو كان يعلم في المرة الأولى فهو بالتأكيد ليس بانثًا الآن. نعم، لقد فهم. ربما لم يفهم كل شيء، ولكنهم فهم هذا الجرم على الأقل. ذلك الرجل يريد أن ينظر داخل تلك الصلقة لأن هناك شيئاً ما يتعلق به حتماً

دخل (عماد) الغرفة يتنازعه الخوف والفضول وهو ينظر حوله بقبح ويتجه نحو صلصة الدولاب ليتفحص أرففها حتى عثر على مجموعة من الصور والأوراق والجرائد المقصوفة فأحدها وجلس على المراس ثم قام بفردتها جميعاً أمامه. بدأ كعادته بتنظيم كل شيء فقسّم ما أمامه إلى ثلاث مجموعات صور، أوراق، أقصوصات جرائد. التقط إحدى صور الفتيات القديمة وتأملها قليلاً ثم قلبها ليقرأ الاسم المطبوع على الظهر وأسفله عنوان الشقة قبل أن يرفع عينيه قليلاً ليقول مُحدث نفسه بشروود:

• امتوديو (منصور).. أكيد انت المصور اللي كان ساكن هنا زمان.
بس يا ترى انت الراجل المدبوح اللي بيظهر لي كل شوية؟

قلب (عماد) في الصور قليلاً فوجدها جميعاً تمثل لقطات مختلفة لفتيات جميلات. أثناء تفليبه لمت نظره مقالاً في إحدى الجرائد المقصوفة على خير معنى ألحمت به صورة فتاة. كانت صورة الفتاة في الجريدة هي نفس الصورة الفوتوغرافية التي يمسكها بين يديه. أمسك (عماد) بأقصوصة الجريدة بسراده وقربها من وجهها ليقارنها بالصورة الأصلية في يمينه. نعم، إنها نفس الفتاة بلا شك.

الخبر المكتوب غريب

(البوليس المصري يتوصل لشخصية جثة فتاة روض المرح .. أهل
هدى التي احتفت منذ أيام تعرفوا على جثتها التي وجدها البوليس بلا
رأس)

اتسعت عيناه وهو يجري بهما على تفاصيل الخبر. عن جثة الفتاة
التي وجدها منذ يومين بشاطئ النيل بالقرب من روض المرح مقطوعة
الرأس بلا ملابس. ولم تتحلل كبقية الجثث التي وجدها بأماكن متفرقة
في القاهرة لعنيت بلا رؤوس. هذه هي الجثة الأولى التي اهتدوا لها
وتعرف عليها أهلها من خلال حرق قديم في ظهر المعني عليها.

هنا بدأ (عماد) بمرد الصور جميعاً الواحدة بجانب الأخرى على
الفراش ثم فعل المثل مع أقصوصات الجرائد. وراحت عيناه تلتفت بين
المجموعتين بنمى.

معظم الأخبار تتحدث عن العثور البوليس المصري على جثث فتيات
بلا رأس وقد أصابها النقص الرمي. فحتى ملامح الجسد احتفت معظمها.
لكن إحدى الأخبار أكدت أنهم تعرفوا على جثة جديدة لعنا تدعى (لبنى)
وصورتها قد نشرت في نفس الخبر..

بحث في الصور الفوتوغرافية حتى وجد صورتها. نفس الصورة
المنشورة بالجريدة! في النهاية رفع عينيه قليلاً وهو يفكر قبل أن يحدث
نفسه قائلاً:

- الدأخلية لما ينتشر صورة شخصية لمفقود أو قتيل في الغالب
بتطلب آخر صورة حديثه فيه. والهنئين دول آخر صورة اتصوروما هي
نفس الصور دي

قلب الصور العوتوغرافية ليجد عبارة (اسوديو مصبور) مطبوعة
عليها .. فكر في نفسه ماذا لو ان كل القنيلات كانت آخر صورة لهن في
هذا الاستوديو. هل هذا يعني أنه ...

فجأة قطع حبل أفكاره صوت انتفض له مفزوعاً في البداية قيل ان
يدرك أنه مجرد طرقات على باب الشقة. أخذ نفساً عميقاً ليسيطر على
أعصابه قبل أن يعيد كل ما أخرجه من الدولاب لموضعه ثانية بدون
تنظيم. ويخرج من الغرفة لينتجه نحو باب الشقة ويفتحه ليجد (سارة)
تقف خلفه وتبتسم له بحنان. افسح لها الطريق في صمت فدخلت
وأغلق الباب خلفها في حين التفتت هي له وتقول بقلق

- مالك يا (عماد)؟ جيت لي فجأة الجرنال ومشيت فجأة برصو بعد
ما انصورتنا. ودلوقت شكلك مضطرب.

بصمت اتجه نحو الأريكة ليجلس عليها فذهبت (سارة) وجلست
بحواره ثم ربت على كتفه برفق وهي تقول:

- مش عايز تحكي لي يا حبيبي؟

نظر إليها طويلاً متفربساً في ملامحها بصمت. لا، لن تفهم لو حكى
لها. بل ولن تصدق أصلاً. لا هي ولا أي شخص آخر.

- مش هتصدقيني لو اتكلمت.

طب جرب واحكي، قل لي - متصابق من شغللك الجديد ؟؟

عاد إلى صمته ليريه قصيرة وقد بدا التردد واضعًا على وجهه قبل أن يقول:

لو حكيتك إني كل ما أحد لقطة في الشقة دي الأقي فيها صورة واحد ميت هنصدقيني !!!

جاوبته بصمتٍ ووجه جامد من وقع الصدمة قبل أن تنظر في وجهه بتمعنٍ وهي تقول بهبط:

- مش فاهمة.

لم يمنحها على ردة فعلها فهو نفسه لم يكن ليصدق ما يقوله لولا أن الكلمات تخرج من فمه هو، أحد مبنا قصيرًا حاول تهدئة نفسه به قبل أن يقول شارخًا:

• الهارده أول يوم اصوّر حد فيه ولما جيت اصوّر الربونة لفيت في الكاميرا صورة واحدة تانية مكانها. جريت وصورت صور كتير في لشقة وكل صورة أُصورها تطلع لحد ميت، أو جثث ناس كانوا عايشين في الشقة وانتقلوا.

طالت فترة صمتها هذه المرة وهي تنطلع في وجهه بدهول. ما هذا الذي يقوله! كانت الفكرة تتكون في رأسها ببطء، لابد وأن (عمد) قد أصابته عقدة أو مرض نفسي، ما نتيجة لما حدث في الجريدة وما ترتب عليه من طرده. نعم، أكيد

او ربما نتيجة لكثرة تعامله مع الجثث وتواجده في أماكن الحوادث. دارت تلك الأفكار بخُلدها لكن لم تُطهر منها شيئًا كي لا تجرحه ورعهم أنه

بدا مجنوناً في نظرها إلا أنها حاولت أن تضع في صوتها وحركاتها أكبر قدر ممكن من الرفق والهدوء وهي تقول:

- (عماد). مش ممكن تكون متضايق شوية إنك سببت شغلك في الجرنال علشان كده نفسك ترجع تصور في الحوادث تاني"

أغمض عينيه وزفر بصيق وملل وهو يقول:

- عارف إنك مش هتصدقيني.

- طب إيه رأيك لو تسببك من التصوير في الاستوديو وأنا ما أروحش الجرنال بومبي ونخرج فيهم مع بعض علشان تغير جو.

قالتها بابتسامة واسعة لكنها فوجئت بنبرته القاصية وهو يقول:

- بقولك ناس ماتوا وبأصورهم ونقوليلي نخرج مع بعض!

أجعلت وذابت ابتسامتها حرجاً قبل أن تقول بغفوت:

- طب اهدى يا حبيبي، اللي انت عايزه بعمله.

بنفاذ صبر قال.

- بعد إذنك يا (سارة) عايز أقعد لوحدي دلوقتي وبالليل هكلمك أو أقابلك.

- بس انا مش عايزة أمشي واسببك. إحكي لي وأنا هصدقك

- أنا قلت مش هتصدقيني وفعلاً ما صدقتينييش.

قالها وهو يمحس ويقتادها حتى الباب ثم يصيف.

- عارف انك هتقولني عليا مجبور. بس صدقيني الهاردة بالليل
هتبتك هوريكي الدليل.

ربتت (سارة) على كفه بتعاطف وهي تقول.

- اما معك ما تخافش.. هسنتي تكلمني بالليل

أوما (عماد) لها راسه بالية وهو بفتح الباب هخرجت ثم استدارت
لتنظر له بحباي قبل ان يتجه إلى السلم في حين اعلق هو الباب خمها
بهدهوء

- إيه ده؟

كانت الصور والأقصوصات التي رتها (عماد) على السرير قد انزاحت
ووضعت مكانها ورقتان مصفرتان كتبت عليهما بحبر بهت لونه قليلا. مما
دفعه الى إطلاق نك الصيحة الاستنكارية وهو يدور بعينه في تعرفه
بقلق. ورغم حوجه الا انه النقط احدى الورقتين يحدر ورعها امام
عينيه ثم جلس على الفراش يقرأ:

(لمادا يا (سعيد). كل ما أفعله اني النقط صورا لئاس. رجالا
ونساء. ولكي أهتم بالنساء أكثر. أرى الحباية في أعينهم كما رأيها في عين
أمي. لذلك أحتفظ بصور الغائقات..)

رفع (عماد) عينيه عن الورقة وقد بدت عليه معالم الفهم وهو يقول.

(منصور) أمه كانت خائنة علشان كده كان بيقتل البنات اللي ببصورهم لأنهم خائنين.. بس القصة فيها حاجات ناقصة. أنا محتاج أعرف حاجات كثير.



في نفس اللحظة فتحت (سارة) باب سيارتها الزرقاء الصغيرة. دخلت لتجلس بداخلها ثم أغلقت الباب بصمت دون أن تنطلق بها أو تدبر المحرك حتى.

ظلت على تلك الحالة لعدة دقائق. يداها على المقود، عينها تنظران إلى لا شيء، وعقلها منشغل بـ (عماد). هو في مصيبة حتى وإن كانت لا تعرف ما هي. وحتى وإن كانت لا تجد لها حلاً. ولكنها ستحاول على كل حال.

فتحت حقيبتها وأخرجت هاتمها المحمول ثم طلبت رقمًا معينًا وراحت تنصت إلى الرنين في انتظار الإجابة لتقول:

- ألو. أريك يا (نورا). عاملة إيه؟

جاءها صوت صديقتها على التليفون وهي تقول:

- أنا كويسة الحمد لله. أريك اني يا بت؟ بقالك شهرين مختفية وما بتسألش. ده انا كنت عابزة أوريكي الـ.

قاطعتها (سارة) بجديّة فأنلة:

معلش يا (نورا) محتاجاي في موضوع مهم أوي.

لنقطت (نورا) نبرة القلق في صوت صديقتها فأسرعت تقول:

- خير؟؟

مش (عصام) جورك دكتور بمسي برضه؟؟

- أه... بلسالي ليه؟

- هو جيبك دلوقتي؟؟ اصلي محتاجاه في استشارة نفسية بسرعة
لواحد زميلي.

- طيب ثواني أندهلك عليه.

مرت فترة قصيرة من الصمت سمعت بعدها (سارة) صوت (عصام)
زوج (نورا) وهو يقول باهتمام:

- ألو، اريك يا (سارة)، خير يا ماما دي (نورا) قلقني

طهر القليل من الارتباك في صوت (سارة) التي حاولت اخفاؤه وهي
تقول.

- لا ما تنقش ولا حاجة يا (عصام)، ده بس فيه رميز ليا في الجرنال
ليه حكاية عابرة احكيكك عليا وتقولي رأيك وهل هيجناج لعلاج بمسي ولا
لا؟

- أنا سامعك.

- رميلي ده كان شغال مصور في الجرنال معايا، بس مشكلته إنه
عمره ما كان واثق من نفسه في التصوير لدرجة أنه طلب يدخل قسم
الحوادث علشان محدش يهينم أو تعلق على صوره، ولطروف خاصة

اترقد من الجنال، لكنه كان حاسس انه اترقد علىشان ما ببعرفش
يصور. قرر من يومين انه بفتح أستوديو تصوير خاص وبهرج من شغل
الجراید، لكنه بدأ يقول كلام عريب

رغم الخوف الذي يملكه من الداخل إلا أن الموضوع تحول مع
(عماد) إلى نوع من العناد جعله يُصرُّ على معرفة ما حدث في الشقة لذا
اندفع إلى عرفة التصوير وبحث بين حاجياته حتى بعثر على كاميرا
ديجيتال صغيرة شغلها على وضع تصوير الفيديو المستمر ثم قال:

- أنا معرف اللي كان بيحصل هنا زمان، محل أم اللغز ده.

وسروح المصور الصحفي التي تلمسته وجعلته يلمى خوفه قليلاً.
أمسك بالكاميرا ورفعها ليوجهها نحو مقعد التصوير ليرى من خلال
الشاشة الصغيرة تلك المئات ذات العينين الخضراوين تجلس على المقعد
وتبتسم. يدخل الكادر معها رجل وسيم طويل القامة ويقف أمامها، يصع
يده عند ذقنها ويرفع رأسها لأعلى قليلاً فترفع هي عينها إليه بخجل، دار
(عماد) بالكاميرا في اتجاه الغرفة الخالية فظهرت على الشاشة بتفاصيلها
الضدبة، فجأة أجفل (عماد) حين رأى شأنا آخر له ملامح طيبة مريحة
يقف على باب الغرفة وينظر إلى مشهد العنة والرجل الوسيم أمامها.
أين رأى هذا الشاب! يشعر بأنه يعرفه بشكل أو بآخر

ورغم أن تلك المشاهد تُعرض على شاشة الكاميرا فقط، ورغم خلو
الغرفة فعلياً أمامه، إلا أن (عماد) تمتع لنفسه بدهشة كانه يخشى أن
يسمعه أحد:

- المصور هو (منصور) اللي بيقتل البنات الغابة في نظره. يا ترى
الت مين بقى؟؟ (مسعيد) أخوه؟؟

قالت (سارة):

- بدأ يقول إنه بيصور الناس بكاميرته. ولما ببص على الصورة
بيلاقهم مينين أو جثث. وأظن إنه يقول إنه صور جثث أو حاجة ري
كدة. وواثق في كلامه ومعدوش أي بية إنه يصدق العكس.

خرج (عماد) من غرفة التصوير إلى الصالة والكاميرا لا تزال في يده.
راى على الشاشة (سيد) وهو يحمل المسكين ويدخل المطبخ فتبعه ليراه
وهو يطعن (أمجد) في ظهره ليسقط (أمجد) قنيلًا بجوار جثة (صادق)،
ورغم رؤيته لتلك الجريمة على هيئة صور ثابتة من قبل إلا أن رؤيتها
تتكرر فعليًا أمامه جعلت أمعاه تنقلص وعينيه تتسعان وتخرجان عن
مجال الشاشة كل أن وآخر. كأنه يريد أن يثبت لنفسه أن كل هذا غير
حقيقي.

تراجع (عماد) خارج المطبخ فرأى المشهد في زاوية أوسع. رأى رجلًا
يقف موليًا ظهره إليه ينظر إلى مشهد القتل بهدوء، يرتدي قميصًا
وسروالًا وحمالة للسروال كأنه من عصر آخر. فجأة التفت الرجل
لعماد، أجفل (عماد) وتراجع للخلف فاختمى الرجل من كادر التصوير
وبقى مشهد الشباب داخل المطبخ.

بعد أن انتهت (سارة) من سرد القصة لـ (عصام) بدأ هو في إخباره،
بتحليله قائلاً:

- الأول يا (سارة) لازم اشوفه واتكلم معاه. عنشان اقدر احدد
تشخيصي ليه أكثر. لكن الموضوع باختصار إن المصور ده فقد الثقة في
نفسه من رمان. وعند مرحلة طرده أصبح عقله الباطن مهمته كلها إنه
يثبت له فشله في التصوير أو في أي بداية جديدة في حياته

دار (عماد) بالكاميرا لبواجه غرفة النوم الرئيسية قرأى على الشاشة
الشاب ذا الوجه الطيب الذي كان يقف بعيداً عن المصور في غرفة
التصوير. واقفاً على بابها وهو يصيح بلا صوت في المصور الذي استلج
أنه (منصور) الواقف أمامه. يصيح (منصور) بلا صوت أيضاً في الشاب
ثم يمسكه من ملايسه ويدفعه بقوة حتى اصطدم ظهره بالحائط.
اتسعت عينا (عماد) أكثر وهو يقول:

- هو.. هو (منصور) قتل ده كمان؟؟

أضاف (عصام):

- وواضح إن عقله نجح في إثبات العشل ده. وأصيب رميلك بدايات
فصام. الفصام ممكن يغليه يسمع أو يشوف حاجات مش موجودة.
وهو بدأ يشوف في الصور أموات. كأنه دليل على إنه مهما حاول يصور

الأحياء هيفشل وهيتحولوا لأموات. وللأسف ممكن بسيب المصام
بصاف باكتئاب في مرحلة متقدمة.

تابع (عماد) الشجار الدائر على الشاشة أمامه بين (منصور) والشاب
بقلق وتركيز كانه يرى مشهدًا حقيقيًا و.. فجأة، يدخل الكادر أمامه، وعى
بعد من واحد فقط، شخص آخر، لكن هذا الشخص لا يحدثُ أحدًا ولا
يتشاجر مع أحد كالباقين، هذا الشخص ينظر إلى (عماد)، إلى عيديه
مباشرة، هذا الشخص هو نفسه ذلك الرجل المحبل المذبوح الذي ظهر
له من قبل.

نظر (عماد) إلى الشاشة منتظرًا أن يختفي هذا الرجل وهو يحدث
نفسه:

- (منصور) (منصور) قتلك أنت كمان؟ بس ليه؟؟

نظر لخارج شاشة الكاميرا فوجد الرجل يقف فعليًا أمامه ثم بخطو
بهدهء ناحيته وهو يشير بيده اليسرى نحو الطرفة المؤدية للحمام،
انفض (عماد) تعجب وهو يتراجع بصرع حتى اصطدم بحافة النافذة
المفتوحة بظهرة بقوة وسرعة وانقلب منها.

- وممكن ينتحر.

ثم تدر (سارة) في البداية مصدر تلك الصرخة التي جاءت متزامنة
تمامًا مع عبارة (عصام) الأخيرة، لكن تلك الصرخة لم تطل كثيرًا إذ
سرعان ما تبعها صوت ارتطام عنيف بسقف السهارة جعلها ترتج بقوة.

الحكاية الأولى

عام 1951 - القاهرة

تغيّرت صالة الشفة قليلاً صار هناك مكتب خشبي صغير خلفه
مقعد وامدحه الثمن، وفوقه توجد مرهبة ممتلئة بالرهور وبصعة أطرف
صفراء وأوراق عميقة وقلم.

اشتح باب الشفة على الصالة الخالية ليدخل إليها (سعيد) مرتدياً
بدلة كاملة وطربوش ويحمل بيده حقيبة سمر صغيرة فقد صبر في
الحادية والعشرين من عمره الآن.

خطا لداخل الصالة ونظر إلى المكتب بدهشة في البداية سرعان ما
تحولت إلى نصف ابتسامة حين خرج عليه (منصور) من الحمام مرتدياً
قميصاً وبساطاً فوقهما مريلة بيضاء وقمار من البلاستيك في يده تلوث
بالدماء كبر هو الآخر وصار على مشارف الرابعة والعشرين، ما إن رآه
(سعيد) حتى قال وهو يشير إليه،

- إنت بتعلط من ورايا يا (منصور)

- حمد لله على السلامة تعال بسرعة أما لسه في البداية بعمل
حاجة هتعجبك اوي، طريقة جديدة

جرى (سعيد) لفرقة اليوم وحلج بدلته بسرعة وهو يرتدي ملابس
المرل ثم فتح الدولاب ليحضر مرلته الخاصة وقفاراته وارتداهم بسرعة
وهو يجري ناحية الحمام.

- البس الكمامة اللي عندك علشان الريجة

وصع (سعيد) يده داخل جيب المرلة الأمامي وسحب الكمامة
البيضاء ليضعها على فمه وهو يقول.

-إيه الريحه الثقيله دي انت مسحملها ازاي ؟

تقدم لداخل الحمام و(منصور) يجلس على مقعد بجانب حوض الاستحمام يمسك بيده رأس ثعلب فتح مؤخرتها وأخذ يسحب بملقه شينًا ما من الجمجمة بتركيز وهو يقول:

-اتعودت على الريحه، أنا بقالي 3 أيام مركز مع الراس دي

-اوعى تكون عقيبت

قالها (سعيد) وهو يقرب راسه من رأس الثعلب ويتأملها باستغراب. فنظر له (منصور) بوجهه المنجهم وهو يقول ببرة حملت الكثير من الفخر:

-إيه رأيك ؟

-مين اللي جابلك الراس دي ؟

-(ابراهيم التولي) وهو يزور قرايبه في المنيا طلع عليهم التعب ده فصربوه بالنار، أخذ هو الراس وجابهالي يومها بليل. البكتيريا ما لحقش نعنفا الحمد لله .. طلب فيها 60 قرش

-وانت طلبها دفعتك على طول

وضع (منصور) رأس الثعلب بيد (سعيد) وهو يقول.

-تستاهل .. شوف بنفسك

نفحص (سعيد) الرأس بتركيز للوان . قبل أن نسمع عييه وينظر
لنصور وهو يقول:

-انت سايب العين في مكانهم إراي ؟

كانت قربة الثعلب ذابلة تميل للون الرمادي ولسانه نفس لون
العيين وقد تحول لشريحة رقيقة

-وكمان اللسان انت اتجنت، كده هيفض

قالها (سعيد) وهو ينظر لمؤخرة عنق الثعلب بينما (منصور) يهض
من موضعه وهو يقول:

-بس الرأس بغالها 3 أيام وما عفتش .. ومش هتعض

-ازاي !!

-فاكر خالت الله يرحمه علمنا إراي نعط الرأس بالذات

-أه طبعا. نسلخ الرأس بالمشط وننفض الجمجمة من جوه من
اللحمة والمخ واللسان والعيين وأي دهون نشوفها. وبعد ما نكمل الرأس
كونس نعط القربل والملح جوه الجمجمة وبينها وبين الجلد. ونعوض
بعد كده بأغيش والقطن مكان اللحمة. ونحشي الرأس بهينين إزار
ونثبها بالسلك والخشب

-الله ينور عليك

جلس (سعيد) على المقعد الخالي وهو مارال يحمل الرأس بينما جلس
(منصور) على طرف الحوض وهو يصع قدما فوق الأخرى ويقول:

- من ساعة ما سافرت انت تبع شغلك في البنك وأد بعقب موضوع
التحنيط ده في دماغي .. زهفت من الطريقة القديمة في التحنيط، دايماً
حاسس إنها بتشيل كل حاجة من جثة الحيوان وتسيب الجلد بس واحدا
بعوض العضم ونعشي مكان اللحم على القاصي . كأننا في مدبقة .. كل
شغلنا على الجلد والشكل من برا. مميش فرق بينا وبين اللي بيعملوا
الجرم والسط من جلد التعالين والتماسيح

-أمال انت عايز تحنط ازاي ؟

قالها (سعيد) وهو يضع الراس بعذر في قعر حوض الاستحمام.

أنا عاير احافظ على كيان الحاجة اللي بحنطها .. عنها . لسانها
لحمها .. حتى لو شبلت منها المخ والأمعاء والكبد وشوية حاجات. أسيب
القلب مكانه هو والعضم

- انت عايز تحنط زي الفراغنة ولا إيه

شرد (متصور) وهو ينظر للرأس في الحوض فترة ثم قال ببطء

-مش لازم زي الفراغنة. المهم احافظ على روح اللي بعمطه.

- انت اتعاملت مع الراس دي ازاي ؟

- بسيطة . فتحت فتحة صغيرة من ورا وسحبت منها المخ علشان

كده كدة هيعفن. بعدها حشيت الجمجمة بالملح وعطيتها كلها بيه .
سببتها لحد ما صفت كل المية اللي فيها و..

قاطعه (سعيد) وهو يقول

نفس طريقة المراجعة بالطببط، يسحبوا المخ من فتحة المناخير
ويحشوا الرأس بالملح، بس انت سينت اللسان والعنبر ليه ممكن
البكتريا تتفاعل فيهم

مش هتتفاعل طالما انصفوا من المية ببقى تمام، مش مشكلة
يبقى شكلهم دبلان كدة، المهم يفصلوا في مكانهم ري ما كانوا فين كدة
هص (منصور) ليخرج من الحمام بنما (سعيد) يقول.

- رايح فين ؟

لم يُجِبهُ وهو يدخل المطبخ ويرفع حلة وصفت على الباجور ثم
يحصرها لحمام ويضعها على الأرض بجانب (سعيد)

- إيه ده ؟

• خل ودقيق وسكر ومية و

قاطعه (سعيد):

- انت هتطبخ ؟

• لا ده صمغ فيه صفات الفراء يعني صمغ شفاف ولا مواحدة

انت هتلق به ايه ؟ انت مش قلت مش هتعوّض جوا الرأس ري
التعنيط العادي

قالها (سعيد) وهو يتناول الرأس مرة أخرى فرد (منصور)

هدخل الصمغ حود الجمجمة ولحمها، علشان ما يبقاش فيه مجال
إنها تتعفن، وادهس به اللسان والعينين. و..

قاطعه (سعيد):

-إيه ده انت لارق بق التعلب على وضع مُعَيَّن

-ما هو ده اللي كنت هقولهولك. انا بَشَكِّل عضلات الوش على الحاجة اللي انا عايزها واحقها بالصمغ قبل ما ينشف، فتتصلب العضلات على الشكل اللي انا عايزه

- انت حققت عضلات الفك على وضع غريب

- ايوأ علشان أظهر الأناب

تأمل (سعيد) أسنان الثعلب وأنيابه الظاهرة وقال بدهشة:

-لا يا (منصور) .. انت شَكَلت العضلات وخليت التعلب كأنه بيتنسم

نظر لمنصور مندهشًا وهو يكمل كلماته مبتسمًا:

-لا دا فعلاً مبتسم .. خليت التعلب اللي عمره ما ايتنسم بيتنسم بعد ما يموت

- اعتقد أنك ما تقدرش تعبر حد على الايتسام إلا وهو ميت

فألها (منصور) وهو يتناول الرأس من يد (سعيد) الذي اختفت ابتسامته من على وجهه وهو يتطلع لوجه (منصور) الذي انهمك في العمل

جلس الشقيقان على منضدة السفرة التي نقلوها لغرفة النوم يتناولان الغداء الذي أعده (منصور) بعدما أكمل عمله على رأس الثعلب.

-فكرتني بعد العدا يا (منصور) أديك شهادات الاستثمار والأسهم التي عملتها لك في بنك مصر.. انا حبتهم معاً

قالها (سعيد) وهو يتناول صدر الدجاجة الموصوعة في طبقه باستمتاع. فطلب (منصور) حاجبيه وهو يتوقف عن الأكل قائلاً.

-شهادات إيه التي عملتها لي ؟

أكمل (سعيد) طعامه وقال بلا أن ينظر لشقيقه.

-فلوس ميراث أبونا التي استلمناها من شهرين وحق بيع الوكالة والبيت بتاع الجيزة

-مالهم . ما كل واحد فينا خد نصيبه وعملنا حسابين في البنك بتاعك واحد باسمك وواحد بإسمي

-ما أنا حولت كل فلوس حسابي لشهادات استثمار واشترت بشوية منهم أسهم في كام شركة تبع البنك، وحلبتهم بإسمك

عدت نبرة صوت (منصور) بشكل لا شعوري وهو يقول.

-أنت اتجملت .. عملت كده ليه؟

توقف (سعيد) عن المضغ وبلغ ما تبقى في فمه ثم بطر لشقيقه قائلاً:

-مرتني من البنك مكفيني وزايد ومش محتاج الفلوس التي في حسابي في حاجة فقولت أحولهم لشهادات اسـ.

قاطعه (منصور) وهو يتنفس:

وما عملتهمش بإسمك ليه

-اعتبرني بحوشهم معاك يا أخي

- انت بتعمل كده ليه ؟

نهض (سعيد) هو الآخر باطراً لعين شقيقه وقال بنبرة حافتة:

-بحاول أشكرك بأي شكل على اللي عملته معايا

- عملت إيه ؟

- مش الرسول بيقول "انت ومالك لأبيك" .. انت بقى أبويا اللي رباني
بعد موت أميا، حتى أبويا الحقيقي كان خايف يعيش معايا ليكون مصيره
زي مصير أمنا

نظر (منصور) لحظتها للأرض وقد هدا قليلاً و(سعيد) يكمر:

انت الوحيد اللي كنت جني وما سينتبيش، حتى من قبل ما تموت
أميا، عمري ما وثقت إلا بك، وعمري ما هقدر أوفي دينك عليا

جلس (منصور) على مقعده وهو يشبع بصره بهذا قانلاً.

-هرضه لازم فلوسك ترجعلك

- حلهم معاك يمكن تحتاجهم في استوديو التصوير اللي تسه فانتحه

لا .

- (منصور) لو فعلاً عابري ارتاح خلي الشهادات بإسمك ري ما هي،
ولو احتاجتهم حقولك .. وهما يعني هبروحوا في

رفع (منصور) عينيه ببطء لشقيقه وارتمم شبح ابتسامة على وجهه
نادراً ما يظهر وقال ساخراً:

-تقصيد إبك كده كده هتورثني لأنني مش معرف اتجوز واخلف

بعد خمسة أيام.

وقف (سعيد) داخل عرفة النوم يعتّل من هدامه وهو يرتدي أفخم بدلة يمتلكها لأنه سيقابل زملاءه في البنك اللبلة في (اكسيسيور) وعلى الألعاب سنتواجد بضعة فييات قريبا استطاع أن يطمر ببحداش

أُمسك طربوشه وفكّر هل يرتديه ام يخرج عاري الرأس كالموصة المنتشرة ؟ ألقى الطربوش على الفراش وقد قرر. هنا سمع صوت جرس الباب بعدها بثواب صوت (متصور) يرحب بشخص ما ويدعوه للدخول.

فتح باب العرفة وخرج للصالة ليجد فتاة شابة حميدة الوجه اجسها (متصور) على المقعد المقابل للمكتب وهو يمسك ورقة وقلم. لم تكن المتاة قد لاحظت (سعيد) حتى الآن. لكن هذا الأخير قال لها مبتسما

-سعيدة-

-سعيدة مبارك-

ردت عليه مبتسمة برقبة بينما (متصور) يقول

-مممكن انشرف باسمك يا مودمواريل

-(ليلى عثمان) .. من فصلك عندك تصوير مية عشرين مجناجة

النصور بسرعة

- يبقى حصرتك من غيرا بتشرف ونشوفك تاني بقى

ربما قالها (منصور) بلا ابتسامة لكن عينيه تركزت بعينها بشكل
جذاب جعلها تفرح لثانية بوجهه حتى انتهت لنفسها وهي تبسم وتقول

-مفيش مشكلة ممكن استلمها أي وقت

نهض وهو يشير لغرفة التصوير ويقول:

-اتفضلي علشان ناخذ الصور

سبقته لغرفة التصوير وجلست على المفعد المواجه للكاميرا. دخل
ورائها ووقف امامها وهو يُعيدُ خُصلة من شعرها للوراء بحركة سريعة
ويعدل من وضع وجهها .. برغم أنه لمس طرف وجهها بشكل عادي وسريع
إلا أن (ليلي) شعرت براحة من لمسات أصابعه وحاولت أن تجعل وجهها
أكثر صرامة وهو يحركه يمينا ويسارا.

عاد ووقف أمام الكاميرا وهو يحضر مصباح الفلاش ويثبتنه أعلى
الكاميرا، نظر داخل العدسة وهو يقول:

-انتي زعلانة مني في حاجة

-لا أبدا

-طب جربي كده تبسمي

ابتسمت بصدق فانكسر المصباح وهو يغمر الغرفة بضوء الفلاش.
اعتدل (منصور) وهو ينظر للكاميرا ويقول:

-أجمل وش لقطته الكاميرا دي

نظر لها فزادت ابتسامتها التي تحولت لخبيل فأكمل هو قائلاً.
- يمكن ألقط صورة كمان أنا مش ضامن هنتيجي ثاني ولا لأ.
وبصراحة ما أقدرش أهوت الفرصة كده
فلتت منها ضحكة وحمرة الخجل تغزوا خديها أكثر.
- ها موافقة ؟

هرت رأسها بحماس علامة الموافقة

1953

إدارة عموم الأمن العام

جنس (سالم البغدادي) وكيل قلم المباحث الجنائية أمام مدير إدارة
عموم الأمن العام بمكتبه بالقاهرة. كان (سالم) على معرفة شخصية
بالمدير منذ زمن طويل لذلك تهاست معه وهو يقول:

- حلمك علي سيادتك .. الملف اللي قدام معاليك أنا سايبه لمساعدتك
من يومين. فيه معظم التحقيقات اللي جمعناها من سنة 1951 لحد
دلوقت. وسيادتك أكيد بصيت فيه ولقيت إن كلها طرق مسدودة
هرش المدير في رأسه وهو ينظر للملف ويقول-

شكلك، مش عايز تفهمي يا (سالم) .. أنا مصدقك وعارف إن الطرق مسدودة، الملف ده راحت نسخة منه لمندوب مجلس قيادة الثورة زي ما طلب وهو اللي صمم على إن القلم المخصوص يتدخل في التحقيقات

لُوح (سالم) بيديه بحركة عصبية وصوته يعلو تدريجياً

- معاليك إيه اللي جاب البوليس السياسي لتحقيقات جديدة، دي جنث بنات بتترمي في الشوارع مش اغتيالات سياسية

رد المدير ببرة حملت بعض الحدة قائلاً:

- افهم بقى يا اخي، طباط مجلس قيادة الثورة اعترضوا إن عدم حبس البوليس المصري لجرائم القتل احراج سياسي ليهم. يقولوا إنها مؤامرة عشان تثبت عجزهم عن ادارة البلاد

- اراي واحنا بتلاقي جنث المجني عليهم من سنين، هما اتجنبنوا ولا إيه

ما تتعشب نافوخي يا (سالم)، اعترض إن الطباط اللي هبيعنوه من القلم المخصوص عشان يباشر التحقيقات ظباط شرق، لا يعمل ولا يربط، بس الأهم انك تعامله باحترام عشان ما تلافيش نفسك طالع معاش ري اللي طلغوا الكام شهر اللي فاتوا عشان نافوخيهم ناشف ربك

- تلاقي اللي هبيعنوه ده قريب واحد من طباط الجيش

- لا بالعكس ده يبقى (موسى عبد العليم المحمدي) ابن معالي اللواء (المحمدي) اللي أسس مكتب المخابرات العام للمغدرات الله برحمه.. ما انت خدمت معاه في بدايتك

فَشُّ وجه (سالم) وانقسم بصدق وهو يقول:

بجد دا (موسى) دا ايا اعرقه من وهو عدل بكافولة ألف رحمة
عن والده كان مثال مشرق لليونيس المصري
ضحك المدير وهو يقول:

-طلب طالما طلعتوا حبايب كده مش كيت نسلم عليه وانت جاي على
مكتبي

-ازاي ؟

ما هو قاعد برا في الاستقبال مستني يخش
نهض (سالم) وهو يقول:

-أرحوك دخله معاليك عايره اشوفه واسلم عليه

صفط المدير على الجرس بحايبه فأتى عسكري الحراسة طلب منه
أن يبيع السكرتير باء يدخل من ينتظره في الخارج حرج الحارس وثوان
ودخل شاب طوي رقيق الجسد، برس وجهه التوسيم شارب صمغ أكسيه
صرامة وغبطة لكنها لم تُغَيِّر من وسامته شيئاً

أدَّى الشاب التعمية لهما بأدب عمار (سالم) بأحيطه حتى وصل له
واحتضنه وهو يقول:

-كبرت بد يا (موسى) إوعى تكون مش هاكرني
ربت (موسى) على ظهر (سالم) وهو يقول بود.

-شوقت معاليك برا بس خوقت ما تعرفنيش

سحبه (سالم) من يده حتى أجلسه على المقعد المواجه لمكتب المدير وهو يجلس على المقعد الآخر ويقول:

-انت انخيلت ولا ايه، أنسى اللي أبوه كان أكثر من أخ .. والله يا ابني لما والدك اتوفى كنت في مأمورية مستعجلة في المنيا وما عرفتش أخي العزا لكن بعنت تلغراف

-وصلنا معاليك وزادنا شرف

-أنا شايف إنكم مش محتاجين مي توصية علشان تتعاونوا في القضية

قالها المدير مبتسمًا فتنحج (موسى) وقال:

-فيه موضوع عايز أقوله وأرجوا إن صدركم يسمح إني أتكلم براحتي
-اتفضل

قالها المدير بلهجة متشككة فتنحج (موسى) ثانية وقال:

-أنا عارف ملاسبات اللي حصل، زي ما مندوب قيادة الثورة صايقكم، فهو برضه عمل مشكلة كبيرة في القلم المخصوص، مدير القلم ما كانش راضي لتدخل في القضايا الجنائية لكنه صمم وهدد وطبقًا لكنا عارفين إن البلد بقت في حالة حرجة والبوليس المصري مش لازم يعاند مجلس الثورة في الوقت العالي.

نظر (سالم) للمدير وقد تبادلا نظرات الدهشة بينما (موسى) يكمل:

-إدارة القلم المخصوص ينتمني إن ما يحصلش أي مشاكل بينها وبين
القلم الجنائي أنا هكون موجود في التحقيقات كمتابع وأسجل ملاحظاتي
وأعمل ملف جدير خاص بيا هاقدمة رسميًا لمندوب المجلس لكن طبقًا
هتكون نسخة منه تحت أمركم ودّيًا قبل ما أسلمها ونقدر نتناقش فيها
براحتنا

ابتسم (سالم) وهو يقول بغفر:

هذا الثبل من دالك الأسد . ابن حلال بصحيح وفيك حكمة
وأخلاق المرحوم والدك.

هز المدير رأسه برضا وهو يقول:

-كده أنا اتطمنت . ويقول كده كدة تكتب تقاريرك وملفك من
دلوقت بعد ما تطلع على ملف القضية وتسلمه بمرعة عدشان نخلص
من المشاكل دي

أنا قرئت الملف فعلاً وعندي بعض الملاحظات اللي عاير أعرضها
قدام معاليكم

-وماله يا ابني قول

قالها المدير وهو (سالم) رأسه مشجعًا فهص (موسى) متجهًا إلى
الخريطة المعقفة يعرض الجائط عند نهاية المكتب للقاهرة الكبرى. وقف
بجانبا وهو يخرج من جيب بدلته الداخلي مفكرة صغيرة وقلم حبر ..
فتحتها وبظر داخلها وهو يقول:

- مجموع الجثث التي تم العثور عليها 9 جثث لحد دلوقت. كلهم لبنات ما بين الـ 19 والـ 28 سنة .. الجثث كلها من غير راس ومكان القطع عند الرقبة مكوي بالبار علشان العروق توقف ضح الدم. تواريخ العثور على الجثث لا تمثل اي رابط. برضه التوقيت والأماكن .. كل الجثث من غير ملابس والتحقيقات رجعت إن الراس بتقطع علشان يصعب مع اختفاء الملابس التعرف على الضحية .. حطيت نفسي مكان القاتل وسألت نفسي انا بختار البنات دي بالذات ليه ؟ هل بدافع الاغتصاب مثلاً ؟ طبعاً فيه جثث كانت صاحبها لسه عذراء وده بيخلي الاحتمال ده. طب الزكراه ؟ أو الشرف ؟ كلها احتمالات بتصب في نقطة واحدة

انزل المفكرة عن عينييه وقال:

-لو كان القتل بسبب طبيعي ما كانش هيمصل الراس بالشكل الاحترافي ده وبحتفظ بها وخصوصاً إن مفيش أي بلاغات بالعثور على أي راس منفردة عن جثة .. إيه اللي هيمصل لو تخيلت عن حذرها وفكرنا بعقليته عقلية مريضة نفسها بتستمتع بالقتل لمجرد القتل. بتحتفظ براس الضحية لسبب لسه مش هاهميه.

-تقصد زي سفاح كرموز ؟

قالها المدبر فرود (موسى) سريعاً:

-حاجة قريبة منه. لكن السفاح بتاعنا دقيق في عمله وبمعصر الراس عن الجثة باحتراف وبمس مقاس القطع كل مرة كأنه خبير في التشريح. عنشان كده فكرت في البداية إنه دكتور

-دكتور !

-لكن بعد برهة لفيت إن كوي جرح القطع بالنار عمل عيب ودقيق.
يعني محتاج لإيد عندها خبرة في القطع لكنها مش ايد دكتور

-اعصري يا (موسى) بس انت كده بتقول مجرد تكهين

قالها (سالم) فلم يُعِرْهُ (موسى) انتباهه وهو يعطيهم طهره وبالصم
يرسم نقاطاً على خريطة القاهرة وهو ينقلها من مكرته ويقول:

-لما حطيت نفسي مكان القاتل وفكرت اتخلص من لعنث قوئت لو
أنا انخلصت منهم بليل فده احتمال يثير الشك سواء عند حد ممكن
يلاحظني او عند عسكري الدورية في احياء القاهرة الوقت الوحيد اللي
ممكن يبعد الشبهات هو بعد العجر عند الشروق . في البداية
استغربت من الأماكن اللي لقبها الجثث فيها وحسيت إنها عشوائية .
لكن ..

انتهى (موسى) من تحديد 9 نقط على الخريطة ثم نظر لهم وهو
يقول:

-مفيش عشوائية في الأماكن

نهض المدير من مقعده واتجه ناحيه الخرائط و(سالم) يتبعه حتى
وقفا بالقرب منها. اما (موسى) فرسم خطا يصل بين التسع نقاط ونظر
لهم يقول:

-النقط دي عبارة عن خط سير يتبعه الأنوبيسات والأوتومييلات
للاكي . خط سير راجع في اتجاه واحد بس. القاتل كل مرة بيتبع خط
السير ده ويرمي الجثة عند نقطة فيه.

بأمل المدير و(سالم) الخريطة تركيز قبل ان يقول هذا الأخير:

-عفارم عليك .. كده انت بدأت فعلاً تمسك حيط تبع القضية

-كل اللي بطلته إني أعيد فتح التحقيق بطريقتي وبمساعدة ظبط
المباحث بشكل سري علشان نبعد احتمالية إن القاتل باخد حذره .. وأول
ما أوصى لحاجة قوية واتأكد ان عندي براهين وأدلة حقيقية هاجي
لمعاليتكم على طول علشان مناقشها

-طلباتك كلها هتكون من اختصاصي

قالها (سالم) فرد (موسى):

-أول حاجة محتاج استجوب ثاني كل المدير اللي عثروا على الجثث
في المواقع دي، حقيفي عدى وقت طويل لكن عندي أمل اني الاتي خيوط
جديدة

عاد المدير لمكتبه وجلس عليه ثم نظر لموسى قائلاً:

-(سالم) هيدبك حرية الحركة اللي انت محتاجها. لو أثبتت إن
وجودك في القضية دي مفيد مش بس قيادة الثورة هترضى عنك،
البوليس المصري كماى مش هيسالك لأنك هترجع هيبته ثاني زي رمان.

-أوعد معاليك ان في اقل من شهر القضية هنتقفل

رس جرس الباب فذهب (منصور) ليفتحه كما تعود علة يكون ربوناً.

-مش هنا ستوديو (منصور) برضه

تامر وجه قائلة العبارة .. هل يعرفه ؟ يشبه وجه (أميمة) الطفولي قبل
أن ترحل مع والدها منذ أكثر من عشر سنوات بعدما نقل والدها لإحدى

المحافظات وانقطعت أخبارهم.. حتى صوته يشهها. لم يحيا فأكملت
العتاة:

وحشتني يا (منصور)

انفتح فمه دهشة وتراجع خطوة للوراء وهو يئنسم بلا إرادة منه

الحكاية الخامسة

مستشفى Nightingale بلندن

سار هذا الرجل الوقور الذي تعدى الخمسين داخل اروقة المستشفى
ببدلته السوداء الثمينة التي جذبت انتباه الممرضى في اروقة القسم
النفسي بالمستشفى والطبيب المشرف على صحة والده يميز بجانبه
مشيرًا لآخر التطورات في حالة والده.

شعره الرجل الأسود وملامحه ربما أعطت انطباعًا لبعض بأنه من
دول البحر المتوسط لكن عينية الملونة ولون بشرته سرعان ما يرجحوا
أصله البريطاني حتى اسمه الأول (ادم) لا يعطي الكثير عن أصله.

وصى الطبيب و(ادم) الى منطقة الأجنحة الخاصة لرلاء القسم
النفسي وتوقف امام إحدى العرف والطبيب يطرق الباب نادب قبل ان
يأتيه صوت عجوز يدعو للدخول.

نظر الطبيب لادم نظرة دات معنى وهو يهر رأسه و(آدم) يشكره. فتح
هذا الأخير الباب ودخل للجناح المخم الذي يشبه أجنحة المصادق
لعالمية وصوت ثلثيرون يأتي من إحدى أركانه. كان يعرض فيلم (الناظر
صلاح الدين). وامامه جلس رجل عجوز ممثلي الجسم بعض الشيء
يرتدي نظارة طبية وقد اطلق ثحيته البيضاء المنقفة للتناسق مع شعر
رأسه الأبيض الخفيف صائعًا وقازًا وهيبه بالإضافة لوسامة قديمة
مسحها الزمن بتجاعيده فلم يبق الا اثارًا ندل على ما كان

ينتمى العجوز عند كل كلمة بطلقها (علاء ولي الدين) بينما تقدم
(ادم) ليقف بجانبه باحترام وهو يقول بعبء عربية ولهجة مصرية
متكسرة:

-أخبارك إيه يا بابا؟

نظر له العجوز بلهفة فرخا بيما (أدم) ينحني عليه ليعنضه بحس.

-أنا كويس يا ابني المهم انت وأولادك

-الحمد لله

قالتا (أدم) وجلس على مفعد قريب منه وهو يتطلع ريقه وتتسارع
أنفاسه كأنه يريد أن يقول شيئا لكنه ينتظر الإذن من والده

قول يا (أدم) إيه المشكلة .. الشركة حصلها حاجة ؟

-الشركة كويسة جدًا لكن المشكلة في مصر مش في هنا

انثت نجاعيد وجه العجوز واتسعت عيابه وهو يعتدل بصعوبة في
كرسيه

-فاكر يا بابا الشقة القديمة اللي ورثتها في القاهرة من زمان ؟

هز العجوز رأسه بالإيجاب بهدوء فأكمل (أدم)

-بعد ما دخلت المصحة هنا من خمس سنين ظهر قانون في مصر
بيص على إن الشقق اللي متأجرتش لـ 40 سنة هاتسحب منها الكهرباء
فدا خليت security guard يأجرها بعد ما عطلته نوكيل في السمارة.
ومن ساعتها حصلت حادثتين قتل وحادثة انتحار من ايام. ان خبيت
عليك في الأول علشان متزعش. لكن حاسس اني اتصرفت غلط أكثر من
مرة من غير ما أرجعك.

نظر العجور للتعلميون مرة أخرى و(علاء ولي الدين) يتحدث مع (احمد حلمي) عن مشاكل المدرسة .. ضحك العجور بصوت عال ثم بطر لادم وقال:

خلص اجراءات خروجي من المستشفى واحجر لي على رحلة نازلة
مصري في اقرب وقت

اسبوع مر على (سارة) منذ إيداعها في المستشفى النسمي التي يعمل بها (عصام) روح (يورا) صديقتها كان (عصام) هو اخر من حدث في الهاتف قبيح موت (عماد) حبيبها وقيل ان تدخل في حالة الاكتئاب التي لم تخرج منها منذ ذلك اليوم المشؤوم

لم تبكي او تصرخ، لم تفعل اي شيء في الواقع، فقد صممت منذ عجزت عن الرد على (عصام) وقت وقوع الحادث. لم تكن هي نفسها نعرف ان كانت ترفض الكلام او تعجز عنه، لكنها ظلت صامته على أي حال.

أما (عصام) فشعر نحوها بالمسؤولية، كونه صديقة زوجته، وكونه اخر من استطاع التحدث معها. لذلك فقد أصر على إيداعها في المستشفى التي يعمل به، وأصر على الإشراف على حالتها بنفسه، لكن حالة (سارة) لم تتقدم ولم تتأخر بالرغم المداومه على ادوية الاكتئاب التي يحرص على أن تسولها، ظلت على صمتها الذي لم يتمكن احد من إخراجها منه.

- صباح الخير.

قالها (عصام) وهو يفتح باب غرفة (سارة) بعد طرقه قبل أن يدخل
مبتسماً ثم يغلقه وراءه قائلاً:

- عاملة إيه النهاردة؟

لم تجبه كعادتها. لم ترفع عينها أو تحركها حتى كي تنظر نحوه، وإنما
نظرت بشروء من خلال المائدة التي تجلس أمامها. سحب هو مقعده
ليجلس قبالتها صامتاً لعدة ثوان قبل أن يقول:

- أنا نفسي نتكلم.

تعبيرات الوجه كما هي. لم تتحرك عضلة واحدة فيه. لم تتكلم أو
تبكي منذ جاءت إلى هنا. وهو يعرف جيداً أن حالتها ستزداد سوءاً لو
استمرت على هذا المنوال.

- طيب اكتبي. إرسمي حتى. عبري عن نفسك بأي شكل. أنا عايز
أساعدك.

.....

- صديقي يا (سارة) أنا عارف أنني حاسة بإيه. مابقولش إني حاسس
بیه بس عارفه. وصديقي يرضه لو أنكلمتي الموضوع هيمختلف. هتبقی
أحسن. جربي مش هتخسري حاجة.

.....

- لو خايفة إني مصدقش كلامك فمتخافيش. أنا مصدق أي حاجة
متقولها

تنهد (عصام) وهو يمكر هل يخبرها بما سيفعله أم يصمت .. لم يفكر كثيراً وهو يقول:

- ثاني يوم حادثة (عماد) الجرايد كتبت عنها بالتفصيل .. جربال منهم كتب مقالة عن الشقة تمسها وإن حصلت فيها حوادث ثانية قبل (عماد) الله برحمه، طالب قتل اثنين رمايله ووزوج قتل مرانته فيها، والحوادث دي بتحصل بعد ما يسكنوا الشقة بكام يوم. محدش طول فيها عن اسبوع .
أما دورث ورا الحكاية لحد ما وصلت لذكثور صاحبي كان هو اللي بيقم لحالة العقلية للراجل اللي قتل مرانته قبل ما يتحاكم. وجمعت منه تفاصيل كثيرة عنه .. خلتي، قرر أبي ارواح الشقة واعيش فيها بنفسي

ولأول مرة منذ جاءت (سارة) إل هنا تحركت عينها حركة حميمة إثر كلامه وبدأ على وجهها تعبير طفيف يوحي بالاهتمام. لم يحتج (عصام) إلى رسم التعاطف والحماس على وجهه لأنه كان يعيش بالشعورين بالفعل وهو يضيف:

- بس لازم قبل ما اروح تكلميني وتمهميني إيه اللي (عماد) قالهولك بالظبط قبل ما.. قبل ما ينتهر.

- (عماد) ما انتحرش..

ملأت الدهشة نفس (عصام) وهو يستمع إلى صوتها الخافت المبحوح وهو يخرج من حنجرتها الصعيفة التي لم تستخدمها منذ اسبوع. كاد يقفر فرحاً لأنه استغفرها لتتكلم بعض البطر عما تقول. أحس مشاعره وهو يقول باهتمام وهدهوء:

ليه بتقولي كده؟

وجهت عينها نحوه وهي تقول:

- لأنه بييجلي ولسه باشوفه.

بعذر قال:

- بيعيلك فين ويتشوفيه إزاي؟

- هنا في الأوضة. باشوفه زي ماما شايفاك دلوقتي. مبيقولش غير كلمة واحدة.. أنا ما انتحرنش.

- طب بتقوليله ايه؟

- ميقدرش أرد عليه.

- ليه؟

نرفرت عينها بالدموع وهي تقول بحرن بالغ.

- عشان أنا ماصدقتوش.

- ماصدقتوش في إيه بالظبط؟؟

- لما قال لي على الميتين اللي بيصورهم في الشقة.

فصام. لقد أصيبت (سارة) هي الأخرى بالفصام. تمامًا كخطيها الراحس. هكذا فُكّر (عصام) وهو ينظر لها مليًا. أصيب (عماد) بالفصام وتخيل رؤية وسماع أشياء غير موجودة في الشقة أدت به في النهاية إلى الانتحار.

وها هي دي (سارة) يضاً قد أصعبت بنفس المرض لى بدورها أشياء
غير موجودة. وكل هذا بسبب تلك الشقة ولكن. أنراه ممكنًا؟ ان يكون
ما بقولانه صحيحًا او به شيء من الصحة؟ ايلقي كل ما تعلمه عن الطب
النفسى في أقرب صلة مهملات ويصدق نظريه الأموات الذين يمكنون
الشقة؟ كلا بالطبع.

هو سيمكث في الشقة لأنه يشعر بمسؤوليته عن (سارة) فحسب وليس
لأنه مقتنع حقًا بما تقول.

- (عماد) بيقول لك بلاش.

قلتها (سارة) بصوب اجش وقد ثبتت عيناها في عيني (عصام)
بطريقة بدت له مخممة بعض الشيء وهو يقول بنسأول

- بلاش إيه؟

- بلاش تروح الشقة.

- ليه؟

- عشان.. عشان (منصور).

- (منصور) مين؟

- ماعرفش. (عماد) هو اللي بيقول.

قلتها بيرة حارة وعيناها تنحركان بسرعة فقال (عصام) برفق
محاولاً تهدئتها

- طب وهو قال لك كده إمتى؟

- دلوقتي.

- هو (عماد) معانا دلوقتي في الأوضة؟

أومات (سارة) براسها إيجاني في صمت. وزغم ثقة (عصام) في أن ١٠
تقوله مجرد هلاوس بصرية إلا أنه توتر في جلسته قليلاً. صحيح أن هذه
ليست المرة الأولى التي يخبره فيها أحد مرصاه أنه يرى شخصاً آخر معهم
في الغرفة ولكنه يشعر بشعور غريب هذه المرة. قد يبدو هذا مضحكاً
ولكنه يشعر فعلاً أن هناك شخصاً ثالثاً في الغرفة

مهتدياً بالعنوان الذي يعرفه بسبب نشر تفاصيل الانثحار بالجرائد
والمعلومات التي أخذها من زميله، شقّ (عصام) طريقه في شوارع وسط
البلد حتى وصل إلى العمارة ووقف امامها متأملاً إياها ليتأكد من كونها
هي العمارة المنشودة. دخل من البوابة ليجد البواب جالساً أمام غرفته
فحياه بالتمسامة قائلاً.

- سلام عليكم

- وعيبكم السلام ورحمة الله.. أي خدمة يا بيه؟

- كنت بادور على شقة، مش فيه هنا شقق فاضية للإيجار برضه؟

ارتبك البواب قليلاً وهو يقول:

- لا يا بيه معلش مقيش.

- متأكد يا.. اسم الكريم إيه؟

- (ربيع) يا بيه.

مميّش بنی شفق قاضیة هنا ما (ربيع)؟

- لا والله.

من الواضح ان الرجل يكذب لئلا يسب ما لم يدركه، ولكنه لم يكن على استعداد للنزاع عن تلك الشقة، لذا أخرج عليه سجاره وجذب منها واحدة ليقدّمها للبواب وهو يقول بلهجة بسيطة وبإتسامة واسعة ودودة.

- بس ولاد الحلال قالوا لي إن فيه هنا شقة لقطة وسعرها كويس في الدور الثالث، وانت شكلك جدع وبتحب تخدم.

تردد الرجل قليلا ولم يجب أو يأخذ السجارة فهاد (عصام) يقول وهو يضع السجارة في يده:

هاديلك 500 ريّدة فوق ابجارها. قلت ايه؟

وصع الحارس السجارة خلف أذنه ثم نظر يمينا ويسارا كأنه يخشى أن يسمعه أحد قبل أن يقول:

- مش فكرة فلوس يا بيه. المشكلة في صاحب الشقة. مش عاير يأجرها لحد ثاني بعد.. بعد كل اللي حصل فيها يعني.

- وهو إيه اللي حصل؟

بدأ القليل من الخوف على وجه البواب وهو يقول

- سلامّ قولاً من رب رحيم.. محدش بيخرج منها سليم

قرب (عصام) وجهه من البواب وباهتمام قال.

- إزاي؟

بدأ يروي قصص من مروا على الشقة بعد أن نجح (عصام) في كس
الحاجز بينهما وحل عقدة لسانه. راح يعكي مستمتعاً بكونه يخبر البد
بأشياء لا يعرفها وتثير دهشته. وقد لعب (عصام) على هذه النقطة جيداً
وهو يستمتع لما يقوله حتى أنهى كلامه قائلاً.

- عشان كده صاحبها بقى مش عايز يأجرها لحد ثاني. هو أصله
مرتاح ومش فارق معاه القرشين اللي بتجيبهم. فري ما تقول كده إيه
مش عدير مشاكل تجيله من تحت رأسها؟ قال لك بواقص يعني.

- طب وانت؟

- أنا إيه لا مواخذه؟

- إنت أكيد فارق معاك القرشين اللي بتجيبهم الشقة.

يا بيه والله لو عليا أديها لك من غير فلوس خالص. بس بعمل إيه.
بص أنا ممكن أكملك حد يجيب لك شقة قريبة من هنا بس هتبقى
حراقة شوية.

- بكلام يعني؟

- يعني ألف، ألف ونصف كده.

أخرج (عصام) ورقتين فئة الـ 100 جنية ووضعهما في يد البواب وهو
يقول:

- ولو قلت لك إنني مستعد أدفع في الشقة دي 2000 راند الـ 500 جنية
اللي قلتك عليهم. يبقى 2500 .. حلال عليك. أنا هأجرها شهر واحد بس
وممكن أسيب معاك صورة من بطاقتي علشان تبقى مأمّن نفسك. وأهو
الشقة يبقى فيها رجل بدل ما صاحبها راحها كده. ها قلت إيه؟

نظر البواب إلى الفتود التي أعطاها له (عصام) وأسرع يضعها في جيبه وهو يقول مُذَاهَنَّا:

- يا باشا انت توامر بس الحاجات دي ما تتاخدش قفش كده لازم اخد وادي مع نفسي علشان .

قاطعه (عصام)

- يا جدع حد يقول كده برصه. أنا دكتور محترم في مستشفى كبيرة وجايلك دوغري علشان ما أوجعش قلبك. لو موافق يبقى نتوكل على الله.

موافق يا باشا

- عى البركة .. يبقى نتمق على التفاصيل

- خلاص من بكرة هنلاقيني عندك ري ما انفقنا

أبى (عصام) مكالمته مع البواب واستعد داخليًا للمعركة الثانية التي أعد نفسه لها منذ اتخذ قراره بتأجير الشقة. كان يجلس في غرفة المكثب بمنزله وقد هُمّ بالخروج منها حين استوقفته زوجته (بورا) عند الباب قائدة بشك:

- كنت بتكلم ميين؟

أخذ نفسًا عميقًا ليهديء نفسه استعدادًا للمعركة الكلامية التي بدأت مبكرًا قبل أن يقول:

ده بواب العمارة اللي كان عايش فيها (عماد). خطيب (سارة)

باستغراب سألت:

- وأنت بتكلمه ليه؟

- عشان ناوي أجرنفس الشقة اللي كان عايش فيها قبل ما يموت

صمنت (نورا) للحظات وقد بدا عدم الفهم على وجهها فعاد
(عصام) يقول شارحاً:

- إنني عارفة طبعا إن (سارة) في حالة اكتئاب وما بتكلمش بهاني، وده
بعد (عماد) - الله يرحمه - ما وقع من الشباك على عريبتها.

رفعت (نورا) أحد حاجبيها باستنكار قائلة:

- الله يرحمه؟؟ ده إنسان فاشل فضيل رابط البت جنبه واخرتها
سايها وانتحر. أنا من زمان بقولها (عماد) ده مش هيبقي من وراه خير
أبدًا، وأديها أهيه قاعدة تتعالج في مستشفى بسليه ونقول لي الله يرحمه.
ده منتحريا (عصام) يعني ما تجورش عليه الرحمة.

بدا الصيق على وجه (عصام) من كلامها وهو يقول:

- صبح، إنني طلعتي صبح يا (نورا)، وربنا أكيد بيعاقبها دلوقتي عشان
ما سمعتش كلامك من الأول وسابت الراجل اللي بتعبه.

- إنت بتتريق. ثم تعب إيه وتليل إيه، ده واحد مات كافر.

- بغض النظر عن كونك نصيبي نعمك إله وفررتي إنه كافر. هو دلوقت عند ريسا وما بقدرش نعمل له حاجة. اللي بقدر نعملها فعلا هي خطيئته، وأنا عايز أساعدها.

- ومرواحك الشقة بقى هيساعدها ازاي؟؟

- أنا حاسس إن فيه حاجة مش طبيعية ورا موت (عماد)، كان عسدي إحساس بكده من فترة لكن كوني دكتور نفسي. يعني راجل علمي من الآخر، خلاي أبعد عن الطريقة دي في التفكير، والحقيقة إن الطريقة العلمية في التفكير ما نجحش في علاج (سارة). أما بقى الطريقة الدينية فخلتها تتكلم أخيراً بعد أسبوع سكوت.

بدت السعادة والدمشة على وجه (نورا) وقد نسيبت الموضوع الأصلي
لثوان وهي تقول:

- بجد؟؟ (سارة) اتكلمت؟

- أه، وأنا وعدتها إني هروح الشقة عشان اعرف إيه اللي حصل لـ
(عماد) بنفسه. عشان كده كنت بكلم البواب

باسننكار بالظ عادت (نورا) لتقول:

- وهو إيه اللي هيكو في الشقة يعني. عفاريت؟؟

-ليه لا-

- (عصام). أنا صحيح فرحانة إن صاحيتي رجعت تتكلم بس ده مش معناه إنك تخزف وتقوللي الشقة فيها عفاريت، وكمان عايز تمسبني أنا وابك وتروح تقعد في شقة مفروشة لوحدةك عشان تحل لها مشكلتها
ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة وحمل صوته لمحة من السخرية وهو يقول:

- تخزف؟ ده أمي حتى ما عرصتيش عليّ إنك تبجي معايا عشان ما أروح وحدي.

- آهي معاك فين انت بهزرا!!

- اه، بهزر يا (نورا)، بهزر، وعن اذنةك عشان أرواح أوصب شنطة صغرة أخذها معايا.

قالها (عصام) وقد بدت لمحة من الألم على وجهه قبل أن يسير مبتعدًا لتعود (نورا) وتقف أمامه لتقطع طريقه وهي تقول بغضب وازعاج:

- (عصام)، إنت بجد هتروح تقعد في شقة مفروشة لوحدةك؟؟
الناس تقول إيه؟ وكل ده ليه أصلاً؟؟ عشان حاطر (سارة) هانم ترجع نتكلم وننسى خطيئها اللي مات كافر!!

امسك (عصام) بـ (نورا) من كتفها وأبعدها عن طريقه وهو يقول:

- أنا عارف إنك شايفها بتدلج، عشان كل الموصى النفسيين في رأيك ناس قاضية وما عندهاش مشاكل وبيعوا يكتنبوا من باب

النسلية، لكن أحب أقولك أن ده شغلي حتى لو إني مش مقتنعة بيه، آه
أنا هروح أقعد في شقة مفروشة لوحدي، ووطط في كلام الناس عشان انا
بانقذ حياة واحدة ممكن تفضل مرمية بقية عمرها في المستشفى بسبب
ناس زك شايفين إنها بتدلع.

اولاها (عصام) طهره بعد اتمام عبارته وهمم بإكمال طريقه نحو غرفة
النوم لكنه توقف فجأة وادار وجهه فقط ناحيتها ثم قال

- اه، ولما يجيلك خبري ما تلمبش تبقى تسألني أنا فنت أزاي، وابقى
احكمي عليا اخش البار ولا الجبة، بس بلاش البار اليومين دول علشان
الدنيا حر، عن إذتك.

لم يدرك (عصام) سبب ذلك الإحساس الذي راوده وهو يدخل الشقة
بعد أن أخذ المفتاح من (ربيع) الذي لم يعرض عليه الصعود معه أو
مساعدته فيما يحمل بعد أن مضى العقود الصورية التي ستحميه إن
انكشف الأمر، فهو يخاف الشقة بلا شك.

صحيح أنها تبدو من الخارج مجرد شقة قديمة عادية متزنة إلا أنها
تحمل تأثيراً نفسياً ما، ورغم قلق (عصام) وتوجسه إلا أنه شعر أن كل
هذا بسبب ما سمعه عن الشقة فحسب وليس أي شيء آخر

فهو رغم كل شيء، ورغم ميله للابتعاد عن التطريبات الواقعية
الصماء، إلا أنه ما يزال يريد أن يرى ويسمع ويشم شيئاً حقيقياً ملموساً.

حتى لو كان مجرد دليل على نظرفته. وحتى لو كان ضبعيًا باهتًا إلى أقصى حد.

يسراه تحمل حقيبة ملابسه الصغيرة ويمناه تحمل عدة أكياس بلاستيكية.

وصح كل ما يحمل على مائدة الطعام وبدأ بفضّ الأكياس البلاستيكية التي حوت بعض الطعام وشيئًا آخر بدت على (عصام) لهفة شديدة وهو يخرج به عرض.

ذلك الشيء عبارة عن (شيشة) كبيرة ذات جسد معدني مزخرف ومعها كل مستلزماتها من الميسم والحجر إلى كيس الفحم وعلبة "المعسل القص" اللذين اشتراهما من نفس المحل.

كانت الشيشة تحمل مكانة خاصة في نفس (عصام): فهي ليست بالنسبة له شيئًا يدخنه وحسب، هي له أعمق من أنفاسها الطويلة ورائحتها الزكية، ليست كالمسجائر التي يشعر أنها شيئًا خبيثًا نجارًا أجبرته الظروف على تدخينه أمام الناس لأن الشيشة شيء سوفي و"بلدي" كما ترى (نورا).

لذا فهو يتعرج من تدخينها أمامها مكتفيًا بتدخينها في مفاه بعيدة عن منزله، حتى السجائر لم ترحمه (نورا) من نقدها، إياها لأن التدخين حرام طبعًا من وجهة نظرها. ويكفي أنها تتحمل سجائره التي لا تطبق رائحتها بل وتجبره ألا يدخنها سوى في الشرفة.

لذلك اتجه إلى الحسين قبل دهابه إلى الشقة ليحقق حلمه بامتلاك
شيشة خاصة به، سارين الشوارع حتى وقعت عيناها على أحد المحال
التي تباع مستلزمات الشيشة واختار اصغى ما استطاعت أن تراه عيناها
واشتراها بكل مستلزماتها مع الكثير من أوراق معمل القص وبعض عب
القلم، حتى أنه وجد موقدا كهربيا صغيرا لتسخين القلم اشتراه ليسهل
له إعداد الشيشة كي تصبح الحياة أكثر روعة

وكأنه يعامل طفلا صغيرا راح يمد أجراء الشيشة على المضادة، ثم
أخرج الموقد الكهربى وأوصله باقرب مصدر كهرباء وهو يرض عليه
قطعتين من القلم وينظر اشتغالهما

نظر حوله للشقة وابتسم فهو يعرف أنه قرر إعداد الشيشة بمجرد
دخوله للشقة كي يكسر أي خوف أو اغتراب يتكون داخل عقله من
الشقة، أراد لنفسه أن يشعر بأن الشقة غير مخيفة بالعكس فهو
سيدخل الشيشة الآن وكأنه تعود على دخول الشقة منذ سنوات، الآن
يمكنه أن يسير بها ليأتملها.

أخرج من حقيبة سمرة مفكرة صغيرة مرفق بها قلم، فتحتها وكتب في
أول صفحة (تجربة بمسبة رقم 1) شعر أن العنوان ركبك وخاصة أنه
لم يقم بأي تجارب بمسبة حقيقية على أرض الواقع، لكنه يعرف من كان
يتم بعلم النفس التجريبي، (سلوى)، الفناء التي أحيا قديما، مجرد أن
يتذكرها يفرح بلا سبب معلوم.

برغم أنه لا يراها الآن إلا كل عام أو عامين مصادفة، هذا غير أن
استمرارهما في الحب أصبح مستحيلا عندما أعلنت له اتجاهها للإلحاد

بعد عام واحد من تخرجهما من الكلية. وقبل أن يفكر في طلب يدها رسميًا.

بعد مناقشات ساخنة بينهما استمرت لأسابيع وجد نفسه يبتعد عنها ببطء. حتى هي لم تعترض أو تحاول الاقتراب. بالعكس كلما ابتعد هو قسراً ابتعدت هي الأخرى بنفس القدر. كأنما تشجعه على الانفصال في صمت. حتى قرر ألا يتصل بها نهائياً

دهش في البداية من رد فعلها الهادئ فلم تتصل به من حينها. وكان ميثاقاً رسمياً غير مكتوب قد تراضى عليه الطرفان بأن يختفي كل منهما عن الآخر وكأهما زميلان بالجامعة أحدهما مشاغل الحياة بعد التخرج.

منذ تسع سنوات لم يتقابلا إلا مصادفة. حفل زواج صديق مشترك بينهما. أو عيد ميلاد أحدهم أو حتى في المستشفى التي يعمل بها جاءت مرة لزيارة صديقة تعمل معه.

وفي كل تلك المصادفات حافظا على الميثاق وكأهما زملاء. يعني كل منهما الآخر ويتجاذبان أطراف الحديث بكثير من بسمات المجاملة مع هرّ الرأس. ثم يمثل كل منهما الانشغال عن الآخر بأي شيء حتى يمر الموقف. مند عام فقط تقابلا مصادفة في عيد ميلاد ابن أحد أصدقائهم المشتركين. ولكنه صدم من مظهرها الذي تبدل فجأة.

أصبحت أكثر جمالاً بشكل لم يحلم به. وجد نفسه يتأملها رغماً عنه كما لم يتأملها من قبل. حتى وجد دلة ذهبية بيدها اليسرى. صدم قليلاً وفكر هل تزوجت من قريب !! أم انه لم يلاحظ الدلة إلا بعد أن تأمل

جسده جيداً ؟ أما هي فقد لاحظت نظراته لها وابتسمت له كما لم ينقسم منذ سنتين.. ابتسامة نمي تفاصيلها ابتسامة خجل.

تجاذبا أطراف الحديث هذه المرة بشكل أكثر تمصّلاً برغم أنه لم يسألها عن رواجها متمنياً أن تفتح هي الموضوع وسط حديثها، ولكنها لم تتطرق له. حكّت عن كناها الذي تكتبه مد عام عن الظواهر النفسية التي يطرق عليها البعض الخوارق، ومحاولة تفنيدها علمياً لبيان مشاكل الهلوسة الجماعية والفردية والاضطرابات الكهربية التي تصدر عن المخ عند مواجهة تلك الظواهر.

فجأة طلب رقم هاتفها المحمول. فأملته (سلوى) إياه ببساطة. ندم على الطلب المخرج وهو يسجل رقمها. لام نفسه لأيام بسبب ما فعله. رسم عشرات السيناريوهات للأفكار التي دارت في رأسها عندما همّ بطلب الرقم. الأدهى أنها قبل أن تمليه الرقم قالت مبتسمة بأنها تمليه الرقم كل مقابلة بينهما ولم يتغير بعد كأنها تصفحه بأدبٍ وحرفية.

لم يتصل بها لم نواته الجراءة حتى ليتمكن من سماع صوتها على الهاتف بلا سبب حقيقي يقدمه.

طرح عنه أفكاره ثم نظر إلى المفكرة وكتب (موضوع الدراسة الشقة. وصف تفصيلي) نهض يتأمل صالة الشقة بعينه ويكتب تفاصيلها الهامة كانت الأتربة قد علفت ببعض الأثاث، خمن في رأسه أن البواب خاف من تنظيفها.

تأمل الطيور المحبطة المعلقة على الحائط وهو يحاول أن يتخيل طريقة تحبيطه. جالت عيناه حتى وصل إلى "الجرامافون" الموضوع على

"كومود" خشبي بدرجيين فذهب إليه جرنًا. كان جده يمتلك "جرامافون" في منزله بإحدى قرى الشرقية ورأى جده بديره الكثير من المرات وهو يتباهى به أمام ضيوفه.

أخرج مسدبل ورفي من جيبه وحاول أن يربل الأتربة ولكنه فشل. مرر المسدبل على المنطقة التي كانت توضع بها الأسطوانة قديمًا فأراح بعض التراب الذي تكون من فترة قليلة، انحنى وقرَّب عينيه من ابرة الجرامافون فوجدها متأكلة من طرفها يبدو أنه لم يستخدمه أحد منذ زمن.

نظر للأدراج في الكومود وتمنى أن يجد ما يبحث عنه. أول درج وجد به بعض الأسطوانات محفوظة داخل أغلفة ورقية حميت شعارات مختلفة.

أغلق الدرج وفتح الثاني فوجد فرشاة صغيرة وبضع علب معدنية في حجم علب السجائر. ابتسم وهو يمسك إحدى العلب ويرفعها ويقرأ ما عليها: "مشط إير فاخر فائق الإستخدام يتحمل حتى 6 أسطوانات. شركة صوت سيدة"

أطلق ضحكة عالية وهو يفتح العلبة ويتناول إحدى الإبر. لقد تمنى أن يجد بقية ما يحتاجه "الجرامافون" في نفس الكومود الذي وُضع عليه. كما كان يفعل جده ويحفظ بكل ما يخص "الجرامافون" بجانبه أو في درج قريب منه. وكان يغير ابرة الجرامافون كل بضع مرات يديره.

أزال الإبرة القديمة ورُكّب الجديدة كما كان يرى جده يفعل. تناول من الدرج الأول أول أسطوانة صادفتها يده حتى لم يقرأ غلافها وأخرجها ووضعها على "الجرامافون" بعدما أدار الذراع الربريكي بضع مرات

حرك ذراع الإبرة بعرض ووضع الإبرة على الأسطوانة.. انتعد قليلاً وهو يتمنى أن يعمل كي يتذكر جده. فجأة سمع صوت احتكاك من بوق "الجرامافون" ثم صوت رجل يقول بسرعة وبصوت عال (بيصباهون. عبد اللطيف افندي البنا كروا مصر) ثم جاءت موسيقى ابتسم لها (عصام) وهو يمسك معكرته مرة أخرى ويستمتع واقفاً بتركيز. جاء صوت المغني يقول:

(ما تخافشي عليا أنا واحدة سجوريا في العشق يا إيت واحدة

البكالوريا

أفعد سهتاة قلبي مشغول بك. ولما تشعل لهاليب نار حيك
أرخي لنا موسية وأمام لي شوية وأحبكها وأشبعكها بميتين ديوس
وأحصن وأبوس وأرل على صورتك... حنك بئنك. ما تخافشي عليا)

صحك بصوت أعلى هذه المرة وهو يدقق في الكلمات

(ليلة ما تجهني فوت جنب البيت واده تلاقيني في أوصة النواليت

مستنية ما العصيرة. على شباكها.. خط الماكهة)

فجأة صدرت حشرجة منه وصوت احتكاك من داخل البوق يخالطه صوت المغني غير واضح. ذهب للجرامافون ورفع الإبرة. أخرج بقية الأسطوانات من الدرج وهو يتأمل أسماءها بسرعة حتى توقف عند أسطوانة شعر فجأة بالحنين لسماعها. (أنا هوته سيد درويش). كان

يعرف الأعبية من قبل وسمعتها مرة مصادقة. ولكن الحنين لها بهذا الشكل اقلقه. رفع حاجبيه وكأنه ينفذ عن عقله هذا الخطر ثم وضعها على "الجرامافون" وقام بتشغيلها. لبثني صوت المقدم بقول (اسطوانات كولومبيا - اسطوانات من غير خشخشة - سيد درويش أنا هوينه)

(أنا هوينه وانتهيت.. وليه بقى لوم العرول

يعب إبي أقول. بارت الحب ده عني يزول

مادمت أنا ...

فجأة اهتزت اضاءة مصباح الصالة وصوت طرقة أتى من خلف (عصام) فنظر بسرعة ليجد ماسا كهربيا يخرج من قابس الكهرباء الذي أوصل فيه فيشة السخان الكهربى. نظر للجرامافون ولا يدري لم جرى ناحيته وهو يرفع الإبرة عن الإسطوانة لينقطع الصوت وفجأة. عاد كل شيء لطبيعته وتوقف الماس الذي يخرج من القابس وعد الصوت.

نظر حوله هدوء هو نفسه دهش منه، ثم تحركت عيناه لتعود للجرامافون.

جلس على مقعد في الصالة ورائحة الفحم المشتعل تداعب أنفه مع صوت طقطقته التي تدل على وصوله لدرجة عالية من النوهج نمر على أذن (عصام) الذي لم ينتبه لأي شيء سوى ما حدث.

بدأ بتسلل الخوف تدريجيًا لنفسه فعلم أن اترانه مند ثواب كان
نتيجة الصدمة لكن عودته لحالته الطبيعية وإدراكه لما حدث سبقه
فربسة لترعب النبي يجب أن يصيب كل من شأهد ما شأهد.

تهض جرئًا وأمسك بمفكره وكتب عبارته سريعة (بمجرد تشغيل
الجرامافون بدأت أحداث غريبة كأنه اثار شيئًا ما). رفع عينيه مائلًا
للجرامافون ثم أعادها للمفكره وهو يكتب (الجرامافون ليس المشكلة.
بدأت الأحداث الغريبة مع تشغيل اسطوانة سيد درويش فقط).

عاد بمفكرته وهو يقبض عليها وجلس على المقعد مفكرًا. ما معنى أن
يستثير هو ظاهرة غريبة! لقد توقع أن تحدث الظواهر من تلقاء نفسها
كما يروي الناس. وكيف تبدأ ظاهرة من تشغيل اغنية

لم لا يشرب بصعقة أنفاس من حجر المعسل ستساعده على
الاسترخاء. وخاصة انه يجب عليه أن يتفقد بقية غرف الشقة ولو تمكن
الخوف منه الآن فلن يمضي أكثر من ساعة في الشقة.

ترك المفكرة واعدُ بسرعة حجر المعسل وأخرج زجاجة مياه معدنية
من الحقيبة التي أتى بها وافرغ بعضها داخل بئرة الشيشة. أكمل
إعدادها ورضُ بعض الفحم بعد تكسيهه وجذب بها بصعقة أنفاس

لم تعجبه في البداية لكنها ساعدته على الاسترخاء فعلاً. جر الشيشة
بجانب المقعد وجلس وهو يجذب الأنفاس الساخنة وينفثها كأنه يمش
معها ثوتره وحوافه. والغريب أنه نسي خوفه فعلاً. والأغرب أن (سلوى)
عادت تلجُ على رأسه.

أبعد الملبس عن فمه لئلا حتى تتعد أبخرة المعسل ثم اشتم الهواء وهو يحاول تذكر رائحة عطرها، نجح بسهولة فابتسم لذلك، ما الذي كان يمنعه قديماً من التفكير بها بهذه الحرية ؟ زادت ابتسامته أكثر وهو يتذكر من كان يشاركه هواية تدخين الشيشة منذ الصبا . (سلوى) مرة أخرى.

تجلس معه على ذلك المقهى بالقرب من الجامعة تدخن الشيشة بغبرة من وُلد في مصنع للمعسل، العجيب هو كرهه للمرأة المدخنة.. كأن من تدخن تسحب جرّة من رجولته وسيطرته عليها، إلا (سلوى)، شعر بأنها يجب أن تشاركه بهذه الميزة، حتى عليها الناظرة له وهي تدخن تمتلئ بالامتنان لسماحه لها بذلك أمامه.

كانه من عليها بنعمة الدخان. شعور لذيق الغصوع أعطته له كان متعتها ملك له يعطيها لها وقتما يحب ويحبها وقتما شاء.

سحب نفساً طويلاً خرج ببعض السعال وهو مازال يشحن قلبه بذكريات قديمة فصلته عن خوفه من الشقة. حاول أن يبحث عن سبب عودة تلك الذكريات له الآن، هل هي الشقة ؟ أم ... لأنه ابتعد عن زوجته وطفله؟ يبدو هذا سبباً جيداً، في الواقع هذه هي الحقيقة، ولكن ينقصها أن يعترف لنفسه أنه يحتاج لسلوى الآن، بما أنه يعيش في شقة وحيداً، ما الذي سيحدث لو أمكنه أن يقنعها بزيارته، على الأقل لياخذ رأسها العلمي فيما يحدث.. ابتسم مرة ثانية لمحاولته أن يقنع نفسه بهذا.

ترك المعسل ونهض بعدما أخذ المفكرة. تنفس بعمق ثم بدأ يدون في مفكرته كل ما يراه أمامه في الشقة

(الصالة على الحائط بعض الطيور المحبطة بيدٍ خيرة، مصدرة
سفرة قديمة وهاتف قديم عليها، جوامعون على كومودسو، أرنكة
وبضعة مقاعد، ثلاثة أبواب لثلاثة غرف)

تحرك لأول غرفة وفتحها ببطء وبده الحرة نسبه تنحس الحائط
حتى وجد رر الإضاءة فأشعله، تأمل الغرفة

(الغرفة الأولى، في الغالب تستخدم للتصوير وتخص (عماد)، مرآة
صغيرة، مقعد، ستاند كاميرا، خلفيات متحركة على الحائط، سندان
(إضاءة)

خرج من الغرفة وتوجه للثانية.

(الغرفة الثانية: يبدو أنها غرفه نوم لشقيقتين، سريرين بحجم
متوسط، دولاب، ومكتبين، وبضعة صناديق في طرف الغرفة)

توجه للغرفة الثالثة.

(الغرفة الثالثة، سرير كبير باعمدة من النحاس، دولاب كبير مزخرف،
اثنين كومودينو على أحدهما ثعبان محنط)

توجه للحمام وأضاءه .. مرت ثوان وهو يحرق في الحوض، رجل
يرتدي مربلة ملطخة بالدماء وقمازيس وكمامة قم يقف بجانب حوض
الاستحمام وهو يحمل أمعاء بشرية ويضعها بجردل بجانبه .. أغمص
(عصام) جفنيه وفتحهما، نفس المشهد لم يتغير.

سقطت المفكرة من يده وتراجع جرئاً حتى تعثر وسقط أرضاً. هل يشعر بالآلم بذراعه الأيسر ؟ رحف على الأرض عائدًا للصالة ثم وقف.

أطلق صرخة ألم وهو يمسك بذراعه الأيسر . فكرر هل سيصاب بنوبة قلبية ؟ لكنه لم يعاني من أي أمراض في القلب. تعامل على نفسه وجرى باتجاه باب الشقة .. الألم يزداد حدة. مد يده ليفتح الباب لكنه توقف عن الحركة وهو يمسك مقبض الباب. هل يجب عليه مغادرة الشقة ؟ أم يتوقف .. تنفس بعمق وفجأة تنبه لاختفاء الألم.

اعتدل بوقفته معكزا، كيف أصيب بنوبة قلبية مفاجئة ظهرت واحتفت بشكل غريب . الألم لا يذهب بتلك الطريقة كأنه لم يكن !!، نظر للطريقة المؤدية للحمام وهو يفكر بالاقتراب مرة أخرى.

ذهب ناحية الحمام بقدم قدمي ويؤخر الأخرى وهو يفكر فيما سيجري . ها هو الحمام خالي. اقترب منه أكثر ودخله. تسارعت أنفاسه قليلاً وهو يتذكر المشهد الذي شاهده في الحمام.

تناول المفكرة والقلم من على الأرض وذهب للصالة. بحث بين حقيبة ملايمه حتى أخرج جهاز قياس الأكسجين في الدم وجهاز قياس ضغط الدم. دفع مبلغاً طائلاً فيهما بعد أن أوصى إحدى شركات الأجهزة الطبية باستيرادهما، فهو يحتملها معه في أسفاره.

لف جهاز قياس الضغط حول معصمه. الضغط طبيعى وسليم !!!! مستعجل . وضع طرف جهاز قياس الأكسجين في اصبغه. القلب سليم ونبضاته طبيعیه وحده في أحسن حال.

جلس على أقرب مقعد ينظر حوله وهو يخرج هاتفه المحمول من جيبه ويبحث عن رقم. أتصل وانتظر حتى سمع صوتها فقال

-أريك يا (سلوى) أنا (عصام) اللي كنت زميلك في الكلية .. عارفة صوتي . طب بصي. أنا هاحكيك على حكاية طويلة شوية يس فعلاً محتج مساعدتك أوي .. بصي يا ستي .

أدان الفجر من مسجد ما بوسط البلد يأتي من بعيد يتبعه بصفه أصوات لأكثر من مؤذن. حالة من السلام نزل على شوارع وسط البلد الهادئة بعد أن شبعت صخباً طوال النهار.

القليلين الذين يسبرون بها آل تراهم كالسكارى بلا خمر يحركهم الهواء يمينا ويسارا بلا هدى. حتى ذلك المقهى الشعبي بشارع (عماد الدين) الذي خلا من الرواد مارال يتحرك العاملون به من فترة لأخرى بالتصوير البطيء كأنهم يثبتون أهم على قيد الحياة

-أغيرلك الحجر يا برنص-

قاله القهوجي لعصام الذي راح في سبات قصير لدقائق عاد منه على صوت القهوجي المتعلم

-أه غبرلي وهاتلي قهوة زيادة مقلبة-

انصرف القهوجي مع الحجر بينما يترك (عصام) وجهه ببديه علّة يننيه ينظر حوله وهو يفكر في موعد قدوم (سلوى) . بعدما روى كل

شيء لها من البداية حتى وصوله وما حدث وقد أثار فضولها فراح
تمطره بالأسئلة عن طبيعة الثقة وما حدث له. أخبرها بأن تحضر
لتساعده في التجربة فوافقت قبل أن تمر حتى ثانية واحدة.

حتى أنه شعر بأن في الأمر خدعة. أعطاهما العنوان وأخبرها بأنه
سيطل في الشارع حتى تأتي في اليوم التالي. فقالت أنها ستحضر فجاء.

ها هو أذان الفجر يمتلي والقهوة تأتي بجانب حجر المعسل. طقطق
رقبته وهرش برأسه على الوقت يمر. رن هاتفه المحمول فجأة رقم
(سلوى).. هل أخذت الموضوع بجدية أم تعتذر؟

رد على الهاتف فقالت له بأنها داخل الشارع، غمرته الفرحة وهو
يخبرها بموقع المقهى. حاسب القهوجي وانتظر على الرصيف بسعادة
محولاً أن يعدل من وضع قميصه الذي كان مكوناً بعناية في بداية اليوم
وينطاله الذي سقط عن وسطه منذ فترة ولم يمتيه.

سيارة جيب شبروكي حديثة توقفت أمامه .. هل أصبحت (سلوى)
غنية فجأة!! أم أنه زوجها إن كانت متزوجة؟

استمع زجاج السيارة ليطالع (سلوى) وهي تشير له بالدخول، ركب
معه وأرشداه بدقة لتركن سيارتها بالقرب من العمارة. خرجت وهي تفتح
الحقيبة الخلفية للسيارة وتخرج عدة حقائب ضخمة وبضعة أكياس
بلاستيكية.

شيل معاي

قالتها وهي تناوله بعض الحقائب.

-إيه كل ده

-شيل يس وهتفهم كل حاجة

حملا الحقائق واتجها إلى العمارة. لم يفت على (عصام) أن يتأكد بأن الهواب سائم كي لا يبادل له نظرات من قبيل "أبوه يا عم". صعدا على السلم حتى وصلوا للشقة، فتح هو الباب والقلق يعود له مرة ثانية . هل حدث شيء غريب في غيابه ؟؟

الشقة هي كما تركها وكما ترك أدوانه على المنضدة لم يتغير بها شيء

-انت جايب فحم وشيشة ا

قالتها (سنوى) وهي تمنع نفسها من الابتسام. أغلق هو الباب بينما أكملت هي:

-كنت متعارب العفاريت بالشيشة ولا إيه ؟

ضحكك هو متحرجا.

-أصلي كنت عامل حساني إني مش ملاقي حاجة . ألا انتي متجورة ؟

اندش من العبارة التي قالها. كيف كان بهذه الحمافة ؟ أما هي فلم تقدر على اسليعاب السؤال في البداية فبطرت له تحرك رأسها بعدم فهم

-والله ما تفهميني غلط أنا مش عارف سألت كده ليه فجأة

نظرت للدبلة الذهبية في يدها اليسرى ثم نظرت له وابتسمت
بمخفية قائلة:

-اتجورت اقل من سنة وما حصلش بصيب .. ولو مستغوب من
الدبة فأنا خطاها علشان محدش يستظرف معايا

-ورحمة امي ما يستظرف .. ومش عارف أنا خدت الكلام على نفسي
ليه بس والله وما أقصد

رادت ابتسامتها فزاد جمال وجهها أكثر

-عارفة إياك مش فاصد، المهم فولي جببت معاك أي أجهزة

-جهاز الضغط والقلب

-وده إيه علاقتك باللي انت جاي علشانك

جلس هو على مقعد من مقاعد منضدة الطعام قائلاً:

-أنا فاكرك بتسأل بشكل عام

جلست أمامه وهي تصنع حقيبة يدها جانباً

-طب ليه ما رصيتش تبات في الشقة لحد ما أجي تاني يوم الصبح؟

-بصراحة خُفت

اتسعت عينيه من إجابته الصريحة وقال:

هي الشقة دي قائمة معايا بصراحة كده ليه ؟

صبرحت فضحكك لضحكها

-فعلاً انت شكلك محتاج تنام. روح نام دلوقت وأنا هاعمل شوية حاجات عقبال ما تصبحي

-أناام إيه عيب

لو فيه عيب فهو إني معاك في نفس الشقة لوحيداً. أكيد لو دمت شوية مش هتهقي عيب أوي

-طب انا هرتح على التراييرة هيا حمس دقايق

قلبي وسقطت راسه على المنضدة وصوت نفسه بعلو منتظماً دلالة على النوم.

-فوق يا (عصام) (عصام) طب فين أوصة النوم اللي هنا؟

لم تنلق رذاً، بهتت وهي تدخل إحدى الغرف فوجدتها ذات هراش كبير. عادت له وهي تمسك يده برفق لكنه هرع وهو ينظر لها.

-تعال ما تخافش هوصلك للسريـر

احاطت خصره بيدها اليمى كي ترفعه من على المقعد. انتفض مرة أخرى ليمسك يدها

-أنا فوقت خلاص

قالها وهو يتهمص فصبرحت هي تقول:

-ما تخفش مش هعضبك. اتسد عليك بس

ترك نفسه لها وجزء منه مستمتع بلامسة جسدها وعطرها الذي يداعب أنفه. أمسكت يده لتضعها على كتفها وهي تسير به إلى العرفة. وهو مازال يفكر في عطرها .. ليس نفس النوع الذي اعتادت وضعه قديمًا، لكنه يشكل أو آخر نفس رائحتها التي تثيره، كأن لها بصمة تضيف لمسة لكل عطر يلامس جسدها لتجعله مميزًا.

وجد نفسه على الفراش ولا يدري كيف، ولكنه استمتع بلهونة الفراش المفاجأة .. لم يفكر لأنه نام من فوره.

أغرب شيء في النوم أن تعلم وأنت تعلم بذلك، تتحرك شخصيتك داخل الحلم بلا إرادة حقيقية منك. وإن حاولت تحريك شخصيتك يلتقي الحلم في الحال كأنه يعترض على تدخلك في عرضه الخاص.

هذا ما فكر فيه (عصام) وهو يرى (سلوى) تمرر يدها على شعره فيرتجش جسده وهو يعتدل ليلمس بأصابعه وجهها الرقيق ثم يغيب معها في قبلة قوية انتفص لها جسده وهو يبعد ملابسها عنها بالقوة فندسجيب له

في تلك اللحظة بالذات جاءه خاطر غريب .. هل يحلم فعلاً ؟، لكنه أبعد الخاطر وهو يندمج معها أكثر ويخلق ملاسبه.

فتح عينيه فجأة ليحد وجهه (سلوى) النائم لا يفصه عن وجهه سوى بضعة سنتيمترات يديها تحيطه ويديه تطوقها وهما عاربان، الحلم لم يكن حلمًا ، بل كابوسًا.

ما الذي فعله ولمادا طأوعته ! كاد أن يوقطها ويصب غصنه عليها لكنه توقف لثوان مفكرًا .. هو الذي دعاها للنحضور . وفي الحقيقة لو بحث وراء أفكاره لوجد انه هو المحرك لهذه الاحداث وهو السبب فيها

عليه بان يتقبل ما أراده، لذلك قُرب رأسه منها وقبلها على جبهتها فتمتحت عينها بتناقل وأبتسمت له.

أبتعدت عنه وهي تداري جسدها بخجل وتلنقط ملابسها المتناثرة على الفراش والأرض، بينما هم هو المثل

نمض وخرج للصالة وهو ينظر لساعة يده، الثانية عشر ظهرًا، خرجت وراءه فقال:

-فيه أكل أنا كنت جايبه امبارح لو مش بايظ تعالي ناكله.

سبقتة وهي تتجه للحمام

-مش الحمام هنا برضه

أهـ

-دور في الأكياس البلاستيك هتلاقبي جايبة أكل عملته بصمي

قالتما وهي تجري بأحذية الحمام وتعلق الباب خلفهما

اتجه ناحية الأكياس البلاستيكية يفتح بعضها. ما هذه الأوراق؟
أخرج رزمة من الأوراق وقلبَ فيها. قياسات عصبية لتذبذبات المخ
وتعبيقات بالإنجليزية تحتها. صور بعض الأشعة الغير واضحة لأكثر من
مع مريض. كأنه يملك أوراق متمرقة لأبحاث علمية مختلفة المصدر

أعددها وفتحَ كيسًا آخر فوجد الطعام. رضه على المنصدة بسرعة في
بمس وقت خروجها من الحمام. مكث شعرها بطريقة ذيل الحصان
وغسلت وجهها فاشرق أكثر بعد غياب مساحيق التجميل.

- تصدق الميصفون قديم من اللي بيتشد بملك ده

- ما لحفتش أشوقه

جلس على المنصدة فأخذت مقعدًا وجلست بجواره تمامًا حتى
لامسته. كان الاثنان يتعاملان كأن شيئًا لم يكن. تناولوا الطعام بصمت في
البداية وكل منهما يخاف أن يفتح الآخر موضوع ما حدث منذ ساعات.

- لكن انت جيت من غير أي أجهزة أو خطة .. كنت ناوي على إيه؟

قالتها (سلوى) وهي تمضغ طعامها فقال هو بدون النظر إليها:

- أنا كل اللي توقعته إني مش هلاقي حاجة بجد. كنت عاير أطبق
المبدأ العلمي اللي بيقول كل ما هو غير مكرر ليس علمًا .. افتكرت إن
مفيش حاجة هتحصل في الشقة وشكلي كده كنت باخد أجازة وأنا
مش حاسس

-بس المبدأ ده مش صح، ممكن الحاجة تكون مكررة لكن انت لسه
ما تملكش أدوات القياس اللي تخليك تعرف وقت تكررها

-تقصدي إن فيه أشباح بجد هنا ؟

-انت مش شوقت بنفسك

قالت، وهي تنظر له وتبتسم بطريقة ساحرة. فرد بعصبية

-ممكن تكون حاجة نفسية

-انت بتسميها حاجة نفسية وغيرك بتسميها اشباح وباس نقول
مسكونة بالجن، كلها مسميات لطاهرة نتحصل بجد بس المسميات
مختلطة

-يعني إيه ؟

-يعني بلا بيا نشتغل

قالتا وهصبت تبحث بحقيبتها عن منظم اليد السائل ثم توجه
للحمام لتغسل يدها، تبعها هو حتى انتهى وعادا للصالة

أخذت إحدى الحقائب الجندبة فقال هو:

إيه معاكى الأجهزة اللي بتصور الأشباح

-لو كملت طريقة همشي

-خلاص أنا عارف إن دمي تقول

-على العموم مفيش حاجة بتصور الأشياء، دا لو الشقة نفسها كان
فما حاجة من الأساس

قالتا وهي تفتح الحقيبة وتسحب علبة عريضة منها فتحتها وأخرجت
منها جهاز يشبه الهاتف المحمول بشاشة صغيرة يخرج منه بروز طويس،
مدت يدها وأخرجت بضعة قطع أخرى في حجم الليمون كتب على كل
قطعة رقم بالإنجليزية.

-إيه الحاجات دي وجبتها منين ؟

رفعت الجهاز الذي يشبه الهاتف المحمول وقالت:

-ده جهاز (sound level meter) بقيس درجة الأصوات سواء
الأصوات اللي أعلى من قدرة سمعنا أو اللي أقل منها، يعرف منه لو فيه
مصدر للصوت، ودول ميكروفونات دقيقة

-صوت أشباح يعني ؟

-يا (عصام) قللتك بلاش هزار، دي تجارب علمية، أي نوع من
الصوت، ممكن يطلق صوت من برا الشقة أو أي حاجة تانية

-طب جبتي البتاع ده منين؟

فنحت الجهاز وأخذت تضبط إعداداته وهي تقول:

-مركز بحثي في ألمانيا بعثلي الحاجات دي كدعم طالما بيعتله تقاربر
عن أي تجربة يعملها وهو بيشراف عليها

تراصبت أرقام على الجهاز فسمارت به وهي تحمل ميكروفون بيدها الأخرى. سارورائها وهي تراقب عداد الأرقام الذي أخذ يعلو ويهبط ببطء. فنحت عرفة أنتصوير القديمة فلم تجد شيئاً

عادت ودخلت الغرفة الثانية ذات المراشيين قارتفعت الأرقام في العداد بشكل سريع وعادت تنخفض، وجئت البرور الذي يخرج من الجهاز في كل أركان الغرفة. عند أحد الفراشيين ارتفع عداد الأرقام بجنون. وضعت على الفراش الميكروفون وضغطت زرّاً بارزاً به.

عادت وحملت ميكروفوناً آخر ووضعت عند غرفة النوم الرئيسية بجانب الفراش وواحد آخر عند الدولاب اعتماداً على قراءة العداد.

في الصالة وضعت ثلاثة ميكروفونات بأماكن متمرفة. انجبت للحمام لكن الجهاز توقف وانطفأ.

-إيه البطارية خلصت ؟

قالها (عصام) بصوت خافت

-موطي صوتك ليه ؟ قبل ما الحجارة نخلص بيديني تنبيه

نظروا للحمام وقال:

وااا علشان بنقرب من الحمام ؟؟؟

سظرت هي الأخرى للحمام تقدمت خطوات وهي تفتح الحمار لكنك يغلق مرة ثانية عند ضبط التردد. دخلت الحمام وأعادت ضبط الجهاز فعاد العداد لكن أرقامه ارتفعت بسرعة شديدة فوصعت ميكروفون بجانب الحوض.

المطبخ أيضاً ارتفع عداد الأرقام لكن بشكل بسيط فوضعت ميكروفوناً هناك.

عادوا للصالة فأخرجت من حقيبة أخرى عدة كاميرات صغيرة مرقمة لبثتها في معظم الشقة ثم أمسكت ورقة وكتبت رقم كل ميكروفون وموصعه في الشقة ورقم كل كاميرا وموضعها بالتحديد

كده انا لو عايز أروح الحمام مش معرف، هيتسجلي صوت وصورة. قالها (عصام) فنطرت له (سلوى) بلامع جامدة لفترة من الوقت ثم أشارت بيدها ليتبعها .. دخلت غرفة النوم الرئيسية ووقفت عند ركن. وقف بجانبها وهي تقول:

-هنا نقطة عامة الكاميرات مش هاتلقطها

تبعها بأن قبلته بقوة فاستجاب لها وهو يحملها ويلصق ظهرها بالجائط . فجأة رن جرس هاتفه المحمول. توقف الاثنان كأن صفعه لاسعة أخرجهما من عالم الخيال لتعيدهما للواقع.

أنزلها وهو يبتلع ريقه ويعود للصالة ليرد على هاتفه، زوجته تطلعن عنيه في أول ثانية ثم دفانق من الصراخ عن عدم تحمله المسئولية وجنونه وغياؤه إلخ إلخ .. كان عجز رأسه بملل ويكتفي كل فترة بقول كلمة ليس لها معنى أو تشكيل حروف.

أنهى الهاتف ونظر خلفه ليجد (سلوى) تقف عند باب غرفة النوم بلا أي تعبير على وجهها، نظر لها محرجاً في البداية لكنه سرعان ما نظر لنقطة ما خلفها بتركيز

نظرت هي الأخرى خلفها لترى شاب يحلم على الأرض يسد ظهره إلى
الدولاب صرخت وهي تتراجع للخلف . هنا جاء صوت دقات من الطرقة
الموصلة للحمام.

نظرت للحمام بينما جرى (عصام) ناحيتها يحتضنها من الخلف،
تعالى صوت الدقات بسرعة شديدة أحدهما (عصام) وتراجعا للخلف
عند باب الشقة، نظرا لغرفة النوم فلم يجدا الشاب

توقفت الدقات فنظرت له ملامحها ممتلئ بالرعب. لا يعرف لما لم
يمزق هو الآخر مثلما فعل بالبارحة، ربما نسمد شجاعته من خوفه عليها
لم نستطع (سلوى) كتمان دموعها فافجرت بالبكاء بصوت مكنوم.
صمها هو لصدره أكثر وهو يربت على ظهرها بحنان.

وسط دموعها قال:

-أنا أول مرة أشوف حاجة زي كده

-طلب اهدي

قالها وراح يمسح على شعرها .

مر من الوقت ما لم يحسبه (عصام) وهما على نفس الوضع منذ
سمعا الدقات ورأيا الشاب في الغرفة.

-الحمام فيه سر

قالتا (سلوى) وهي تدفن رأسها بين صدره، أبعدهما عن حضنه برفق
وهو يقول:

-لو تحي نمشي يللا بينا

مسحت دموعها ونظمت لنفسها

-لا .. أنا عابزة نكمل

سحبها من يدها لتجلس على الأريكة بركن الصالة. نظرت له قائلة
بعجدة:

-لازم نكمل. أنا بقيت كويسة

-نكمل إيه ؟ ما أكيد اللي حصل اتسجل على الكاميرات، ممكن
نشوفه دلوقت

-الجرامافون

قالتا (سلوى) وهي تشير إليه وتكمل عبارتها

-قلتلي امبارح في التليفون إنك لما شغلت عليه اسطوانة محددة
حصلت حاجات في الشقة غريبة
أه.

هضت وهي تذهب للجرامافون وتقول:

-انت متشغله وأنا هَدَوِّن الملاحظات، بس روح شيل أي فيشة في أي
كَبْس كهربا الأول

تركها (عصام) وبدأ بتحرك بين الغرف ليتأكد من خلو القواس الكهربائية من الأسلاك. عند الغرفة الرئيسية التي احتوت على الصديق توقف أمامها يتأملهم .. سحب احد الصناديق فوجد بداخلها معدات تصوير قديمة. أخذ ينقل في الصناديق حتى وجد صندوق معدني مغلق بقفل صغير غزاه الصدا. رجّهُ قليلاً فسمع صوت حركة بسيطة لأشياء تتخبط داخل الصندوق.

-إليه ده

قلتها (سلوى) وهي تقف عند باب الغرفة

-مش عارف. دي معدات تصوير قديمة أوي. مش ممكن تكون لعماد الله يرحمه. في الغالب هي لصاحب استوديو التصوير التي كان عايش هنا زمان. البواب قاللي إن اسمه (منصور)

استنحت صلمة الدولاب اليسرى ببطء. نظر الاثنان لبعضهما ثم اقترب (عصام) يتأمل الأوراق والصور المبعثرة داخل أرفف الدولاب .. ترك الصندوق على الفراش وأخرج كل شيء من الدولاب ليضعه على الفراش بجانب الصندوق.

جلسا على الفراش وأحد كُلاً منهما يقرأ ما استطاع ويعطي الآخر ما قرأه. بعد ربع ساعة انتهوا من كل شيء.

-(عصام) الكتابة واضحة .. (منصور) صاحب الاستوديو كان قاتل متسلسل بيفتل البنات .. بيتعرف عليهم ولما يفعلوا في حبه يقتلهم. وانت شوفته واقف في الحمام امبارح بيعمل حاجة للجنة. كان يفصل رأس

الجثة هما في الحمام ويحتفظ بها. كان يعمل فيها إيه وليه يحتفظ
بيها؟ (سعيد) أخوه يحاول يمسكه بأي شكل. بس مصير (سعيد) مش
معروف ولا مصير (منصور). طالما محدش يعرف إن الشقة دي ساكنها
قاتل يقش (منصور) قدر يهرب. لكن (سعيد) إيه مصيره؟

شعر (عصام) بآلم خفيف بيده اليسرى لكنه نفس بعق وقال:

إيه مصير أي حد هيقف قدام سماح؟ أكيد (منصور) قتل
(سعيد). لكن مصير (أميمة) إيه يا ترى؟

لأها وأمسك كتفه وهو يتأوه

-مالك يا (عصام)؟

قالتا بلهفة شديدة

مفيش. بس حاسس بوجع في القلب كأن هتجيلي أزمة قلبية

-انت عندك القلب؟ فين الأدوية بتاعتك؟

-لأ ما عنديش

-أمال شايل أجهزة قياس القلب والصعط ليه معاك؟

تحامل على نفسه وهو يقول:

احتياطي علشان لو جالي القلب أعرف بدري واتعالج

اختفى الألم فجأة فعاد وجهه طبيعياً مرة أخرى وقد حمل الكثير من

الدهشة. بينما هي نظرت له يشك وقالت:

-الألم راح؟

راح فجأة بشكل مش طبيعي .. أول مرة هاجمني الألم ده كان امبارح
في الشقة وقمعت الضغط والبصبات ولقيت نفسي طبيعي. ودلوقت رجع
تاني !!

طوب تحب ترتاح؟

-لا .. خيلنا نكمل تمكيز

اعتدل على الفراش وهو يقول:

-دلوقت احنا معانا تفاصيل كتير لكن مش مفيدة. يا ترى لو حاولنا
نفتح الصندوق ده هنلاقي حاجة جديدة ؟
بظرا للصندوق فقال (عصام) ساخرًا.

-لو كنا في فيلم حد فينا كان هنطبخش القفل ده بدهوس شعر
فالها وضحك لبعسه ثم تقلص وجهه ثانية والألم يعاوده. سحبته
(سلوى) بسرعة لينام على الفراش وهي ترفع قدميه وتقول.
-آب لازم أزل أجيبلك أي دوا موسع للشرايين احتياطي
انتهى الألم مرة ثانية.

-لا أنا بقيت كويس خلاص. ممكن الموضوع يبقى نفسي
-نفسى وبجيبلك كل شويه كدة. تقدر تستلاني هنا
قالتها وهي تمك شعر رأسها وتعديل ملابسها
-هتترني برصه

-خبينا في المضموع، وكمان ممكن ألاقى محل فاتح أشتري منه حاجة
نفتح بها الصندوق .. فين مفتاح الشقة

بحث بجيب بنطاله فوجده، أعطاه لها فتأكدت من ملابسها وشعرها
وجرت تعمل حقيبتها وهي تنجيه لباب الشقة قائلة:

-مش هتأخر ما تخافش

سمع صوت الباب يفتح ويعلق فقال بصوت مسموع:

-أنا بقيت خيخة ولا إيه .. زمانها خدت عني فكرة وحشة

مرت عشر دقائق هادئة نظر بعدها للصندوق واعتدل وهو يمسك
قفله بيده ويجذبه بعنف لربما يفتح.. فشل فبظر لإحدى الكاميرات
الصغيرة بالفرقة وقال:

-وكمان خبيتي اتسجلت صوت وصورة

رُبَّ جرس الهاتف في الصلاة فاتسعت عيناه فرغاً وهو يتذكر كلمات
الروح الذي عاش هنا من قبل عندما تكلم عن الهاتف، نهض ببطء
وخرج إلى الصلاة يحذري تأمل الهاتف..

مازال يرن بصوت مرعج كأنه يصر على أن يرد عليه، اقترب منه
ويتردد رجع السماعاة الباردة ليضعها على أذنه

قلبك ضعيف .. هتعاول تمسرها بمقنيا، لكن الحقيقة ان الأزمة
القلبية الجاية هتموتك بأسرع مما تفعيل

وضع السماعة على الهاتف وهو ينظر للشقة من حوله ، نظرت تغيرت
من الترقب إلى التحدي، صرخ فجأة قائلاً:

أنا معرفش ازاي الشقة دي بتعمل كده .. لكن عرفت بتعمل إيه

أخذ يسير في صالة الشقة بعصبية وهو يلوح بيده في الهواء ويسطر
لأركانها قائلاً:

-الخوف .. كل اللي عاشوا هما وكانوا حايمين من حاجة رادت أكثر
مائوا من خوفهم .. وأنا مش هموت من شوية حيالات .. لأنني مش خايف

أدار مقبض النجرامافون بغضب وأنزل الإبرة على الإسطوانة التي لم
ينزعها منذ البارحة وصرح لنفسه والإسطوانة تدور:

-أنا مش خايف

نعال صوت (سيد درويش) متبغماً (أنا وحببي في الفرام مميش كده
.. مميش كده ولا في المنام .. أحبه حتى في الخصام .. أحبه حتى في
الخصام ..)

ارتعشت إضاءة الشقة أكثر، جاء صوت الدقات من نفس موضعه
السابق، جرى ناحية الحمام .. لكنه في طريقه خرج شخص فجأة من
جدار الطرفة يجري ناحية الحمام .. جفل وتراجع (عصام) خطوة للوراء
لكنه سرعان ما سار بخطوات واثقة ناحية الحمام.

دخله فلم يجد شيئاً صوت الدقات مازال مستمراً، عاد للصالة وهو
ينظر حوله غاضباً حتى ظهرت له فتاة تخرج من غرفة التصوير بردي

ملابس قديمة ورأسها مذبوحًا يميل على كتفها .. تراجع خطوة للخلف
لكنه لم يفقد جذوة غصية بعد. أشارت له الفتاة بيدها ناحية الحمام.

-فيه إيه في الحمام .. إيه السر .. (ملصور) قتلکم جوا

تلاشت الفتاة في الهواء كال دخان وصوت (سيد درويش) يتعشج
ويتوقف .. توقف بعدها كل شيء.

فتحت (سلوى) باب الشقة بلهفة لتجد آخر ما تتوقع رؤياه الآن.
(عصام) يجلس على مقعد متضدة المسفرة يدخن الشيشة بهدوء
والسخان الكهربى موصل بقابس والمحم يتوهج عليه.

أغلقت الباب ثم وصعت الحقيبة البلاستيكية على المنضدة أمامه
وأخرجت منها علبة دواء (diniera) وأعطته إياه.

-مش محتاجه خلاص

-مالك يا (عصام)؟

-جيبني حاجة نفتح بها أم الصندوق اللي جوه ده

ففتحت الكيس البلاستيكي وأخرجت ما به .. شاكوش وأرميل حديدي.

-إني قَتَيْتِي حيطَة

-ما أنا ما رضىتش أسأل بتاع الحديد أفتح قفل ازاي، اخترت
حاجتين عارفاهم

أمسك بها الشاكوش وترك الشيشة وهو يقول:

-كفاية لحد هنا .. أنا هخس أفتح الصندوق وانتي شيلي الكاميرات والميكروفونات وشووي حاجة ظهرت فهم ولا لا.

طب مش لما نجرب موضوع الجرامافون الأول

ذهب لغرفة النوم وهو يقول:

-أنا جريت .. شووي انتي بمن

دخل الغرفة وتوقف أمام الصندوق يتأمله قليلاً قبل أن يقول.

-تعالالي يا ابن الكلب

طرق على القفل بقوة فلم يتأثر .. طرق مرة ثانية فانشئ. عدة طرقات عفيفة حتى انكسر القفل وافصل تماماً عن قائميه. دخت (سلوى) في نفس اللحظة وفالت وهي ترع احدى الكاميرات.

ها انفتح

-اه . كمي اني وأنا هشوف فيه إيه واجهلك

فتح الصندوق بترب ليجد به مفكرة صغيرة انثلت على نفسها بعد الرطوبة ومادة واضح أنها سالت عليه فأصابت الورق. أخرجها هوجد نجها ساعة قديمة تتدل بها سلسلة فضية والصدأ غطى بعض جوانب الساعة.

آخر ما وجده بالصندوق كان محمظة جلدية فتحتها فوجد أوراق بقدية قديمة لم يتعرف عليها وتحقيق شخصية لم ير مثله حتى في تحقيق الشخصية الورقي.. عريض مطوي على نمسه علقت عليه صورة

صغيرة بالأبيض والأسود لرجل يشارب كتب بجانيه اسمه وبياناته. قراه بصعوبة بسبب اصفرار بعض مناطق الورقة .. ضابط بما يسمى (القسم المخصوص) بالبوليس المصري ؟؟ يدعى (موسى عبد العليم صبيحي المحمدي).

جلس على طرف الفراش وهو يفكر في صاحب هذا الاسم وما أتى به
لها.

انتهت (سلوى) من جمع الكاميرات والمكروفونات .. أخرجت الكمبيوتر المحمول من إحدى الحقائب الجلدية وفتحته وهي تخرج وصلة تصل بها أحد الميكروفونات لنقل ما سجل عليه الى الكمبيوتر فعلمت الملل مع الكاميرات ثم جلست لتستعد لمشاهدة ما حدث.

فتح (عصام) المفكرة ليجد أن بعض أوراقها في البداية قد تشربت مادة .. زجج أنها الدماء. صفحات احتوت على أسماء وأرقام هواتف تتكون من خمس أرقام تحتها عناوين منازل بالقاهرة.

قلب الصفحات حتى وجد صفحات تمتلئ بأسماء وأمامها مواعيد مقابلة .. قلب أكثر حتى وجد عبارة (ملاحظات شخصية على حوادث مقتل الفتيات)

وجد رسماً بسيطاً لشيء يشبه الخريطة وعليه نقاط محددة. في الصفحة التالية كتب:

(الجثث ألقيت بدءًا من منطقة وسط البلد في حط سير سيارة ملاكي حتى روص، الفرج موجهة الى الرنتون. لم يتغير الحط كل مرة ألقيت فيه جثة جديدة كان القاتل مجبر على السير في هذا الخط بسيارته كل مرة، لو وصفت في الاعتبار أن العترة المناسبة لرمي تلك الجثث وهي من العجر حتى الشروق فالاحتمال الحالي انه رجل يذهب لعمله بشكل يومي صباحًا، ويكون هذا الوقت هو الأنسب له للتخلص من الجثث)

بدأت (سلوى) بالتسجيلات الصوتية. شغلت أول تسجيل في غرفة التصوير، ووصفت سماعات على اذنها اوصلتها بالكمبيوتر حتى تستمع بدقة لا شيء مجرد أصوات تأتي من بعيد لها ولعصام يتحدثان، وصفت التسجيل على برنامج الأصوات التي تعلمت العمل عليه من المركز الألماني الذي رودها بكل شيء. حذفت أصوتهما كي تركز على أي شيء آخر.

لا شيء. زودت دفعة وضوح الصوت 500 مرة .. هنا برقت عينها وهي تستمع لصوت ذهبية.

Binaural Beats-

قالت، وهي تعري لتلنقط أوراقًا من كيس بلاستيكي وتنفحها بسرعة حتى وصلت إلى إحدى الصفحات كانت تظهر تخطيطًا لرسم موجات المخ من جهاز التخطيط الكهربائي للدماغ.

عادت لتستمع إلى الذبذبات وهي تحول التسجيل لرسم بياني يتصاعد ويهبط مع علو الذبذبة وهبوطها. نظرت إلى الورقة وإلى الرسم البياني وقالت:

الميكروفون لقط نشاط كهربى زي اللي بيخرج من المخ في شكل نبضات كهربية

نظرت إلى الرسم البياني على شاشة الكمبيوتر فتابعه بدقة

-كان مخ حد متوتر وبيريد للخوف بالتدريج

نظرت أمامها والأفكار تغترق مغها بسرعة .. منذ الثلاثينيات في القرن الماضي استنطاع علماء النازية الألمان التأثير على المخ خلال إطلاق ذبذبات كهربية تعمل نفس التردد الذي تعمله مخططات أجهزة رسم نبضات المخ الكهربائية.

يقلدون نفس تخطيط المخ الدال على الغضب ويعيدون إنتاجه في شكل نبضات كهربية يتأثر بها المخ فتصيبه بالغضب. وهكذا على أي شعور آخر . إذن هذا هو السبب في تمامي إحساس الفوبيا لكل من سكن الشقة .. يتعرض لتلك النبضات التي يلتقطها المخ فتتغير حالته مع الوقت ليزيد خوفه

وخبئت نظرها لجهاز قياس الضغط والقلب الخاصين بعصام .. يبدو أنه يخاف من الإصابة بالقلب لذا بدأ بالشعور بألم القلب مع الوقت.

لكن ما مصدر تلك النبضات ؟ هل هم من قُتلوا في مواضع مختلفة بالشقة ؟

عادت للتركيز وهي تستمع لبقية التسجيلات لتجد أنها تحمل ذبذبات لحالات بين الغضب والخوف والتوتر والحزن.

توقفت عن الاستماع واتجهت لترى أول تسجيلات الكاميرا.

قَلَّبَ (عصام) أكثر في الصفحات حتى عثر على صفحة كتب في بدايتها (الاستنتاج قبل النهائي)

(لم أجد فائدة من إعادة استجواب الشهود الذين عثروا على الجثث، لكن عند استجواب أهالي الفتاتين الذين تعرفوا على جثث بناتهم طلبت خط سير من أهل كل قناة لشهر قبل الاختفاء، ووجدت ما لم أره غربيا في البداية. ذهب كل واحدة منهن إلى ستوديو تصوير فوتوغرافي بوسط البلد، رايت آخر صورة لكل واحدة منهما فكان عليهما شعار (ستوديو منصور) بشارع عماد الدين. بالقرب من هذا المكان عُثِرَ على أول جثة بلا رأس.

كَلَّفْتُ أحد زملائي في القلم المخصوص بجمع بعض التعريبات عن هذا الاستوديو بحجة اشتباه في قضية سياسية. كنت حريصا على ألا تقوم المباحث الجنائية بالتعريبات كي لا ينكشف الأمر لصاحب الاستوديو، لن أترك أي شيء للمصادفة)

قَلَّبَ (عصام) الصفحة ليجد أنه لم يبق إلا صفحة واحدة مكتوبة.

(نتيجة التحقيقات حول المشتبه به)

(أمس أتى رميلي بملف كامل عن منصور صاحب الاستوديو هو منصور عبد الباقي وله شقيق أصغر منه اسمه سعيد، منصور لاشهيات سياسية عليه ويعمل بمهنة التصوير منذ 1951 أي عند بداية ظهور الجلت. لكن لم يجذبني ملف منصور بقدر ما جذبني شقيقه سعيد، الذي يعمل ببنك مصر فرع الزينوث ويمتلك سيارة ملاكي، نفس حظ السير الذي رسمته من قبل. يجب أن أرور هذا الاستوديو بدون وجود الشقيقين كي أتأكد من نظريتي. ثم أبدأ الإجراءات الرسمية. غذا سأجعل أحد أصدقائي بقسم الأريكية يستدعيه صباحا بهجة تشابه أسماء في قضية نفقة ويحتجزه يوما أو اثنين ريثما أدخل وسعيد بعمله في بنك مصر. أحتاج لدليل مادي لئنهي القضية)

رفع (عصام) وجهه لأعلى وهو يقول:

-(منصور) كان في القسم. و(موسى) أكيد اتقتل، اللي قتله (سعيد)

(سعيد) هو القاتل المتسلسل

هنا أتى صوت (سلوى) من الخارج

-(عصام) تعالى بسرعة

ترك المفكرة وجرى للصالة فوجدها تينظر لمشاشة الكمبيوتر المحمول بخوف، وقف بجانبها فقالت

-(كاميرات فيها تسجيل صوت خاص بها. كاميرا الصالة هي أول

واحدة أشوفها

أعادت مقطع الفيديو للوراء وهي تقول:

-الميكروفونات لقطت ذبذبات كهربية بنغش على المخ وتدي تأثير
الخوف أو الرعب. كأن مع اللي اتقتل هنا خُرج دذبذبة كهربية فضلت
موجودة في المكان بتأثر على أي حد يعيش هنا وتسببه هلاوس بالخوف
ابنلت ريقها بصوت مسموع وهي تشير لشاشة الكمبيوتر وقالت.

-لما فتحت تسجيل الصلاة ما لقيتش فيه أي حاجة غريبة حتى لما أنا
وننت سمعنا صوت الخيط من الحمام. لكن لما أنا مشيت لقيتك بترفع
سماعة التليفون وبغديها بتشغل الجرامافون. نص

شغلت المقطع ونرعت سماعات الأذن ليخرج الصوت من الكمبيوتر
مباشرة .. ظهر (عصام) في المقطع وهو يصرخ بلا صوت وبشغل
الجرامافون

-إتمرجت على الجزء ده وصوتك كان ظاهر لكن أنا حدفت تردد
صوتك وصوت الجرامافون وعليت الصوت علشان أشوف اللي بيحصل
(عصام) داخل المقطع بصرخ وبغظ لأركان الصلاة بقصب. بجانب
باب غرفة النوم ظهر شابان أحدهما يصرخ في الآخر:

-كماية

دخل (منصور) الشقة بعدما عاد من القسم ليلاً. تشابه أسماء لم
يهم سببه جعله يقصي ثلاثة ليالي. خرج (سعيد) من غرفة نومهما جرياً
وهو يحتضنه

-اختفيت حين كل ده، أنا خوفت أبلغ عن اختفائك

ريت (منصور) على ظهره بحب قانلاً:

ما تغافش. الضباط في قسم الأركية حجزوني تشابه أسماء
ومنعوني حتى أتصل بالتليفون. لسه سايبيتي دلوقتي

تراجع (سعيد) خطوة للوراء مفكرًا وهو يقول:

-علشان كده فيه ظابط كان هنا أول يوم اختفيت انت فيه

-إيه ؟

-دخلت الشقة لقبته فيها .. شاف المعرض بتاعي وعرف كل حاجة

السعت عين (منصور) وهو يقول بصوت متوتر

-عملت فيه إيه ؟

-ما كانش فيه حل ثاني إلا موته .. وما ينفعش أرمي جلته

جرى (منصور) ناحية العمام ليفاجأ بعثة عازبة توسطت البانيو
وعليها كمية كبيرة من الملح الأبيض

-بحنطه على طريقتك

قالها (سعيد) بفخر وهو يقف خارج الحمام. نظر له (منصور) وهو
يقول بصوت أجش

-إنت وعدتني إنك مش هتقتل ثاني

-ما أنا ياما وعدتك وخلفت وأنت ياما حميتني

قالتا (سعيد) وهو يسير بثقة باتجاه الصلاة، لحقه (منصور) وصرخ فيه.

-كماية-

-كفاية إيه-

رد عليه (منصور) صارخاً

-كماية قتل .. من أول ما سميت أمنا بالزرنيع وأبوك افكر إني عملتها لحد كل واحدة حاولت أحيها

صرخ (سعيد):

-أنا ما قتلش حد إلا برغبتك-

توقف (منصور) مشدوفاً فأكمل (سعيد)

-كل حد انت كرهته واتمنيت نقتله قنلته أنا بدالك، من أول أمك الغاية اللي أنا عمري ما كرهتها .. كنت بحيا بجد، وقتلتها علشانك، علشان تفرح وترجع طبيبي لحد كل واحدة فكرتك بها.

تراجع (منصور) إلى الوراء ودموع (سعيد) تغادر مقلتيه وهو مازال يصرخ:

-لو أنا قتلت فأنت سكنت كل مرة وسمحتلي أكمل .. من جواك حسيت بالراحة .. بأن ابتصامتك بترجعك تاني حتى لما عملت المعرض بتاعي هنا ما اتكلمتش

جلس (منصور) على الأرض وهو يستند ظهره للجائط بينما (سعيد) يكمل:

-جاي دلوقت ترعل ليه ؟ ولا علشان (أميمة) اللي ضحككت عليك
ورجعتك راجل في السرير ثاني

نظرته (منصور) بدهشة

-فاكرني معرفش انكم بتمم مع بعض على سرير أمي. معرفش إنك
رجعت تبتم ثاني . فاكرها هتخلصلك يا غبي .. طريقها زي طريق أمنا
لازم ينتهي بالخيانة

نهض (منصور) غاصبًا وامسك بملابس (سعيد) وهو يقول بلهجة
حازمة:

-مالكش دعوة بأميمة

-ايه خايف أقتلها

-يقولك ابعد عنها

دفع (سعيد) (منصور) بعيدًا عنه وهو يبتسم ويقول:

-أنا بفكر حقيقي أقتلها، وجهزت كل حاجة خلاص .. يمكن لما تموت
ترجع لعقلك تا...

اختفى الشايبان من على شاشة الكمبيوتر فأشارت (سلوى) للشاشة
(وعصام) يهقف في الصلاة وقالت:

-هنا لما رجعت الصوت عرفت إن الجرامافون وقف واختفى
(منصور) و(سعيد)

تنفس (عصام) بعمق وينظر للجرامافون قائلاً

-يبقى الجرامافون كان مُخَفَّر . ممكن تكون دذبته الصوتيه هي اللي
اللي عملت تحميز للمشهد ده علشان يعيد نفسه

صمت لثانية ثم قال:

-أو دبدة أغنية (سيد درويش) هي اللي حفرت ظهور المشهد ده

تمتكر كانت إيه هاية اللي حصل بين (سعيد) و(منصور)؟

قالتا (سلوى) فصرخ (عصام) فجأة قائلاً:

-إيه المعرض اللي كان بيتكلم عليه (سعيد) وكان عامله هنا في
الشقة؟

قالتا وهو ينظر للشقة .. نظر لسلوى وقال

-استلهي هنا

جرى ليفتح باب الشقة. صعد للطابق الأعلى في العمارة واختار
شقة التي تكافئ موضع شقة (منصور) في البناء وطرق بابها. لم يفتح
أحد الباب فطرق بشكل أسرع وأعلى.

فتح الباب شاب في العشرينات فسأله (عصام) بعصبية:

-شقتكم كام أوضة

-نعم ؟

صرخ فيه (عصام) بعصبية.

أنا جارك في الشقة التي تحتكم. دي مسألة حياة أو موت

أخرج محفظته ومنها سحب تحقيق الشخصية ليريه للشاب

-أهو أنا دكتور ما تخافش مني .. جاوبني بسرعة

ظهر الخوف على الشاب وقال ببطء

-أربع أوض وصالة ومطبخ وحمام

رد (عصام) بسرعة:

3- أوض في الصالة والرابعة فين ؟

-في الطرقة

نزل (عصام) جرياً على السلم حتى دخل الشقة مرة ثانية مُفِئاً بابها.
النقط الأرميل وجرى لفرقة النوم يلتقط الشاكوش وهو يقول:

-صوت الدقات ما كانش جاي من الحمام دا جاي من الطرقة

وقف وسط الطرقة ووضع الأرميل عند موضع ودق عليه بالشاكوش
بعنف فوقع الدهان وظهر دهان آخر من تحته

-شيخ البنت التي ظهرلي ما كانش بيشاور على الحمام .. دا بيشاور
على الأوضة التي في الطرقة

جرت (سلوى) نفق بجانيه بينما هو يدق بالشاكوش في موضع آخر
لم يجد تعته دهان بل طبقة أسمنتية. أخذ يدق بالشاكوش على الأرميل
في هذا الموضع وهو يقول:

- (مسعيد) بيقتل ويحتمظ براس الجثة. أكيد هنا .. وشاه المعرض ..

وقعت قطعة مربعة من الجدار للداخل فأنت رائحة عطرة زكمت
أنف (عصام) بينما سَدَّت (سلوى) أنفها

-كده مصير (منصور) كان الموت هو و(أميمة) (سعيد) قتلهم
وضمهم للمعرض وسد باب الأوصية ودهن الحيطه تاني علشان محدش
يكتشف اللي حصل

قالها وهو يأخذ نفثًا عميقًا مُتَحَيِّلًا الرائحة المسببة الاتية من داخل
الجدار ثم أخذ يضرب الجدار بمواضع مختلفة ليظهر الباب ثانية.

الحكاية الأخيرة

أمام العمارة توقف تاكسي هبط منه الرجل العجوز وهو يتكئ على عصا، دخل العمارة فقابله البواب سائلاً إياه عن وجهته.

-أنا صاحب الشقة التي في الدور الثالث، التي ابني (أدم) حلاك تأجرها

ظهر الخوف جلياً على ملامح البواب وهو يقول.

-لامؤاخذه يا باشا . نورت مصر.. بمن الشقة فيها ناس فوق

ثم يُعزّزُ العجوز اهتماماً وهو يصعد درجات السلم

-طلب اتفضل يا باشا الأسانسير

كأن العبارة لم تصل للعجوز الذي أكمل صعوده

ضربة أخرى بالشاكوش وتهدم آخر جزء يُداري فتحة الباب، الرائحة أصبحت لا تطاق لكن أنف (عصام) اعتادت عليها، أخرج هاتفه المحمول وأصاء كشافه وبالمثل فعلت (سلوى)

دخلتا الغرفة وهما يمرران الكشافات، تتكون الغرفة من بضعة ماصد صغيرة على كل متضدة رأس فتاة برر عظامه وتشفق جلده، لكن كل الرؤوس كانت مهتمة تظهر أسنانها بوضوح

عند طرف الغرفة تكومت جثة بإهمال التصق جلدها بها وظهرت العظام واسود الجلد ووقع الشعر بجوانبها على الأرض

-معرض (سعيد)

وَجَّهَتْ (سلوى) كُشَافها ناحية منتصف الغرفة فوجدت حوص
زجاجي طولي مستطيل الشكل. داخله جثة تشبه التمثال لرجل يقف
مرتدياً بدلة كاملة بربطة العنق.

-(عصام) بُصَ هنا

وَجَّهَ (عصام) كُشَاف الإضاءة ناحية الجثة التي احتفظت بعلامتها
كاملة كأنها لشخص حي . حتى الشعر بقي كما هو

-مش (سعيد) التي قتل (منصور) في النهاية يا (سلوى)

ارتعشت الإضاءة في الشقة في نفس اللحظة التي سمعنا فيها باب
الشقة وهو يُقَفِّع. ذهبنا للصالة ليجدا الرجل العجوز يدخل من الباب
يتأمل الشقة

-انت مين ؟

.. أنا (منصور عبد الباقي) صاحب الشقة

رادت الإضاء ارتفاعاً وتصاعد صوت (سيد درويش) من الجرامافون
مُتَنَبِّهاً (أنا هوينه وانتهيت .. وليه بقي لوم العزول).

نظر (منصور) للطُرْقَة ثم لعصام و(سلوى) وقال:

-بقي عرفتموا كل حاجة .. انزلوا بلغوا البوليس وأنا هستنى هنا

علا صوت الجرامافون أكثر. بينما (منصور) يتكئ على عصاه متجهاً
للطريقة. نظرت (سلوى) لعصام فأشار لها الأخير بأن يذهب .. غادرا
الشقة ليتجها لأقرب قسم.

(أنا هويته .. وانتهيت .. آه .. أنا هويته وانتهت)

وقف (مصور) أمام غرفة الطرقة وانتسم وهو يقول:

- يا، يا، يا، يا، يا، يا (سعيد) بعد كل السنين دي ولسه عايزني معاك

دخل الغرفة المظلمة وتحسس أحد جوانب الحائط حتى عثر على زر الإضاءة فرفعه. أضيئت الغرفة بصوء أصفر باهت

- كل الحوادث اللي عملتها في الشقة دي علشان أرجعك تاني

نظر ينامل الرووس الموضوع على الماصد وهو يقول:

- كنت عايز تحط راس (اميمة) على ترابيزة زي دول أسف يا أخويا
ما كانش يسمع أسمحك كان لازم يقتلك.

بظر للأرض وتهدج صوته وهو يقول:

- على فكرة أنا اتجودرتها وسافرها لندن وعيشت هناك وخلعت لحد ما
ماتت

رفع رأسه بظر لجثة (سعيد) المحنطة

- بس انت كنت معايا كل يوم في أحلامي . عايرني أرجعك تاني
الشقة. صعب عليك بعد عن بعض كل ده حتى لما دخلت مستشفى
نفسي ما بطلتش تجيلي

نظر للرووس المحنطة والجثة المكفأة وقال:

- للأسف ما كنتش بتعرف تحنط يا (سعيد). كل شغلك باظ. حتى
الظابط قبشت فيه .. إنما شوفت أنا عملت فيك إيه أعظم عمل في
في حياتي .. وأخر درس أعلمه بولك في التحنيط

لم يتمالك (منصور) نفسه وبكى بصوت مرتفع وهو يقول

-أنا عارف إنك كنت بت رسم الإلتصامه على وش اللي قتلهم علشانى ..
كان تفمك تشوفنى أنا اللي ببتسم .. أنا ابتسمت يا (سعيد) بعد موتك ..
ابتسمت وعيشت حياتى

نماقت دموعه لتفريق الأرض واهتز جسده وهو يقول من بين البكاء

-أنا رجعتك يا (سعيد) علشان أبقي معاك

(أحبه حتى فى الخصام .. ونفذه على ناس ما هوش حرام .. مادمت
أنا بهجره ارتصبته .. منى على الدنيا السلام)

فتح (عصام) الشقة ليدخل وراءه ضابط بالملايس الرسمية

وعسكري و(سلوى) تنتظرهم خارج الشقة. كان صوت الجرامافون مازال
دائرا بلا صوت سوى احتكاك إبرته بطرف الإسطوانة.

أشار لهم (عصام) كي يتجهوا للمغرفة التي احتوت على الجثث فذهب
الضابط ليدخلها وهو يسد أنفه. نظر إلى الأرض لجثة (منصور)، ركع
بجوارها فوجد وجهه مبتسما وعينه مفتوحة.

جلس (منصور) على الأريكة في الصالة يمسك جريدة يقرأ فيها ويقول:

-الحق دا بنك مصر طالب موظفين جداد .. تعال تروح بكرة تقدمك في الوظيفة دي يا (سعيد)

كان (سعيد) يقف بملايس المنزل أمام الجراففون يضبطه

-(سعيد) .. سامعتي

-لحظة علشان هسفل اسطوانة (أنا هويته) بتاعت الشيخ (سيد)

رمى (منصور) الجريدة بجانبه وقال:

-ليه بس كده، ما قلنك ما بحبش اسمعها

نفلرله (سعيد) وابلسم قائلًا:

-بس أنا بحب اسمعها .. بتفكرني باللي عملته أمي .. وبتفكرني إنك

كنت معايا لحظتها، وهتفضل معايا لحد ما أموت

-ما تخافش هفضل معاك لحد ما اتأكد إنك مُت

فألها (منصور) ساخرًا، فضحك (سعيد) وهو يدير الإسطوانة ويعود

ليجلس بجانب (منصور) على الأريكة وهو يفتي مع (سيد درويش) مستمتعًا

(أنا هويته .. وانتهيت)

تمت

شكر إلى

- مهندس الاتصالات والباحث النفعي بجامعة القاهرة
م/رامي إبراهيم .
- أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس
د/يسري إبراهيم إبراهيم .

شكر شخصي إلى

- المدير العام لدار (ن) للنشر والتوزيع: أ/حسام حسين .
 - مدير النشر بدار (ن) للنشر والتوزيع: أ/هيثم حسن ..
- والذي كان سبباً رئيساً في خروج هذا الكتاب إلى النور .

عبد الله

أعمال الكاتب

- مخطوطة ابن إسحاق (مدينة الموحى)
- مخطوطة ابن إسحاق (المرتد)
- مخطوطة ابن إسحاق (العائد)
- الجزائر
- نصف ميت
- لقاء مع كاتب رعب
- حكايات فرغلي المستكاوي
- في حضرة الجان

للتواصل مع الكاتب

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100001343653770>